السنة الخامسة - العدد

مجلة الشعرية الثقافية الجامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



د. حسن عيسى عبد الظاهر

الاعلام الإسلامي
في ميثاق جاكرتا



رجال الاعلام الاسلامي الذين حضروا مؤتمر جاكرتا

استهل العالم الاسلامي احتفالاته بمرور اربعة عشر قرنا ، واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بالمؤتمر العالمى الثالث للسيرة ، والسنة النبوية المطهرة الذى انعقد فى مطلع العام الهجرى ١٤٠٠ هـ بدولة قطر ، فكان نقطة البدء على طريق وعى يقظ بحاجات المجتمع الإسلامى وقضاياه المعاصرة ، وكان من ثمراته المبكرة إنشاء مركز بحوث السيرة والسنة النبوية بجامعة قطر . ثم تلاه هذا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامى العالمى ، والذى انعقد فى مدينة (جاكرتا) عاصمة اكبر دولة اسلامية من حيث الكثافة السكانية وهى (اندونيسيا) فى الفترة من يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ ـ الموافق الأول من سبتمبر ١٩٨٠ م ، الى يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شوال ١٤٠٠ هـ ـ الموافق الثالث من سبتمبر ١٩٨٠ م ، وقامت على التمهيد ، والاعداد ، والتنظيم له كل من رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وجمهورية اندونيسيا .

ويأتى هذا المؤتمر استجابة لضرورات هامة واولية فى سلم القضايا الإسلامية المعاصرة ، فالانسان المعاصر بعامة والمسلم بخاصة بقدر ما يعايش الآن عصر الفضاء يعايش بالمثل وبالضرورة عصر الاعلام ، وبقدر ما لانجازات عصر الفضاء من تأثير على الحياة بعامة بقدر ما للاعلام ، واجهزته ، وإنجازاته ، من تأثير على الانسان بخاصة : فكره ، وسلوكه ، وحضارته ، وحياته .

ومن المقرر أن الاعلام بمفهومه ، ومضمونه ـ وان تغيرت اسماؤه ومصطلحاته ـ قديم قدم الحياة الانسانية ، صاحبها على ظهر هذه الارض حتى يومنا هذا ، وسيظل الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، والنظرة

- أهمية الاعلام ودوره الخطير في توجيه السياسات والعقائد
- شدة تزاحم وسائل الاعلام جعلت عامة الناس لا يميزون بين الصدق والتضليل
- أين موقع الاعلام الاسلامي في واقعنا المعاصر ؟
- دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على إنشاء أقسام للصحافة الاسلامية
- مطلوب مركز للمعلومات ، وصحيفة يومية ، ومنع النشرات المعادية للاسلام

اليه دراسة ، وتقييما ، لابد وان يتسع مداها لتستوعب الماضي ، والحاضر والمستقبل .

ومن واقع عصرنا لا يخفى مدى ما وصلت اليه اهمية الإعلام ، بل وخطره منذ اخذ دورا خطيرا في توجيه السياسات ، والعقائد ، والمذاهب ، والآراء ، والشعوب وبخاصة بعد ان عرفت البشرية في هذا القرن الحروب العالمية ، وشبه العالمية ، الساخنة منها والباردة ، حتى سمى البعض اوراق الدعاية والاعلام (القنابل الورقية) بل وذهب في تقييم دورها ان جعلها اخطر من (القنابل الذرية) .

وكان من مقتضى هذه الاهمية للاعلام ان قامت له وحوله الدراسات ، والمعاهد والجامعات ، ومراكز البحث والتخصص والندوات ، والمؤتمرات ، وجهدت في التقنين له ، وتوضيح معالم اصوله ، وفروعه ، وتطوير وسائله المتنوعة ، والتي بلغت حدا كبيرا وخطيرا من القدرة ، والتأثير على الانسان في كل مجالات حياته وتفكيره ، في مختلف بيئاته ، وثقافاته ، وسني حياته .

وقد بلغ من شدة تزاحم وسائله الآن وكثرتها وتنوعها ان اصبح من العسير لدى عامة الناس توافر وسائل التحقق السريع من صدقها ، وفحصها ، وقد كان ذلك من اسباب تهيئة سبل انحرافها وتضليلها مما دعا الى تدخل كثير من الدول فيها بالتوجيه ، او الرقابة ، او التأميم الخ.....

وبالتالي كان لهذا التدخل ــ من بعض الدول ــ مخاطره ايضا ، إذ وجدت بعض الحكومات في هذا التدخل فرصة لإستغلال وسائله لأغراضها السياسية ، او العقائدية ، او الحزبية ، وعلى سبيل



المثال بينما تضاعف (الديمقراطية) الحديثة من اهمية الإعلام وخطره تضيق (النظم الدكتاتورية) وما سحبها عليه الخناق ، وتحد من اهميته حتى تكاد تعدمه حريته ، وتجعله موجها متأثرا اكثر منه موجها مؤثرا ، كما عمدت بعض الدول الى كفالة ضمانات الاستقلال له بصورة او باخرى .

وسط هذا الزحام

من المقرر ان الاعلام الاسلامي واضح القسمات محدد الاهداف والوسائل .

ونظرة في كتاب الله عز وجل تبين لنا شرف الهدف ، وشرف الوسيلة بما تضمنه هذا الكتاب لصالح الانسانية كلها (كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) .

ونظرة الى (الاذان) الذي يتردد على سمع الدنيا كلها كل يوم خمس مرات بشعار الاسلام ملخصا الهدف ، والوسيلة ، والثمرة ، والجانب النظري ، والجانب العملي ، لهذه الرسالة الخالدة نجد انه اول واقوى صيغة إعلامية عرفها الانسان حتى الآن في مضمونه وادائه .

وعلى ضوء هذه اللمحة العابرة نتساءل : اين موقع الاعلام الإسلامي المعاصر ؟ ولعل جواب هذا يكمن في محاولة الاجابة عن هذين السؤالين : ــ

الأول : ما هو واقع الاعلام الإسلامي المعاصر ؟ .

الثاني : ماذا يجب أن يكون عليه الإعلام الإسلامي المعاصر ؟ ..

ولعل هذا المؤتمر الاول العالمي بما تمخض عنه من مقررات وتوصيات وميثاق يوضح معالم الاجابة عن هذا كله

أهداف المؤتمر

كان هذا المؤتمر على كثرة عدد المؤتمرين وتنوعهم وقصر مدته محدد الهدف ، وهذا ما تميز به ، فلم يتسع وقته لدراسات وبحوث علمية مجالها قاعات البحث والجامعات ، وإنما كان نصب عينيه موضوعان اساسيان :

الموضوع الأول : شخصية رجل الإعلام الإسلامي المعاصر : وكيف تكون ؟ وكيف تعمل ؟

الموضوع الثاني : الإعلام الإسلامي المعاصر : وماذا يجب أن يكون عليه ؟ وما يجب أن ينهض به من تبعات ؟ وقد طرح هذا الموضوعان على المؤتمر في نقاط تضمنتها كل من ورقة العمل التي صاغتها (الأمانة العامة للصحافة الإسلامية) ، وجدول أعمال المؤتمر وهي :

١ ـ مشروع ميثاق الإعلام الإسلامي .

٢ ـ مشروع ميثاق شرف للصحافة الإسلامية .

٣ ـ مشروع لتطوير وسائل الإعلام الإسلامي .

٤ ـ الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها .

٥ ـ الفكر الإسلامي والتحديات التي تواجهه في مطالع القرن الخامس عشر الهجري .

٦ ـ ورقة عمل حول المقدسات والقضايا الإسلامية ، وطرق مناصرتها .

٧ ـ نص قرارات وتوصيات المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية الذي عقد في قبرص عام ١٩٧٩ م .

برنامج عمل المؤتمر

وفي الجلسة الأولى شكلت أربع لجان وزعت عليها هذه الموضوعات فكانت كالآتي :

١ ـ لجنة إعداد الميثاق ، والبطاقة الصحفية الإسلامية .

٢ ـ لجنة تطوير وسائل الإعلام .

٣ ـ لجنة المشروعات الإعلامية .

٤ ـ لجنة التحديات الفكرية والقضايا الإسلامية .

وفي الجلسة الثانية تمت مناقشة أوراق عمل المؤتمر .

وكانت أولى هذه الأوراق (ورقة عمل) قدمها الوفد العراقي وهي كالآتي : ـ

١ ـ تأييد (البيان العراقي ـ السعودي) حول المقاطعة السياسية ، والاقتصادية لكل دولة تفتح سفارتها في القدس .

٢ ـ فضح الكيان الصهيوني الذي تحدى مشاعر المسلمين بقرار جعل القدس عاصمة دائمة له .

٣ ـ مقاومة ورفض أي عمل فني أو إعلامي يعادي الإسلام .

٤ ـ دعوة الدول الإسلامية الى تعزيز التعاون فيما بينها للدفاع عن مبادىء الدين الحنيف .

٥ ـ دعوة الدول الإسلامية ـ ومن خلال أجهزتها الإعلامية والثقافية الى الوقوف بوجه الحملات الإعلامية ضد امتلاك الدول الإسلامية للتكنولوجيا النووية للأغراض السلمية .

وقد أيد المؤتمرون هذه الورقة بعد مناقشات جادة .

ثم كان اليوم الثاني : وفيه باشرت اللجان أعمالها كل منها حسبما حدد لها ، وتم استخلاص المقترحات ، وتلخيصها في صورة شبه نهائية .

وفي اليوم الثالث والأخير : طرح على المؤتمرين مشروع القرارات ، وعدلت بعض الفقرات ، ثم أقرها المؤتمرون في

هنا انعقد المؤتمر

تتكون أندونيسيا من (أرخبيل) تتناثر جزره الخضراء على مد خط الاستواء ما بين المحيط الهندي غربا ، والمحيط الهادي ـ الباسفيك ـ شرقا وما بين قارة آسيا شمالا واستراليا جنوبا .

وتبلغ مساحتها ٧٣٥٫٠٠٠ ميل مربع ، ويبلغ عدد جزرها ١٣٠٠٠ جزيرة منها ٦٠٠ جزيرة مأهولة بالسكان ، وكبريات جزرها هي : سومطرة ، وجاوا ، وكاليمنتان ، وسولا ، وإيريان الغربية ، أما سائر الجزر فصغيرة مثل جزيرة بالي الشهيرة وتيمور ، يبلغ عدد سكانها الآن ١٤٠ مليون منهم ٩٠ في المائة مسلمون .

والمدينة التي انعقد فيها المؤتمر هي جاكرتا وهي عاصمة أندونيسيا ، عرفت أيام الاستعمار الهولندي باسم (بتافيا) ، وكان قد فتحها الشريف هداية الله باسم سلطان (ديماك) سنة ١٥٢٧ م بعد أن دوخ مملكة باجاجارات البوذية ، وقد تطورت مدينة جاكرتا خلال خمسة قرون لتصبح مساحتها الآن ٥٩٢ كم ويصبح سكانها أكثر من ستة ملايين ونصف المليون نسمة وتقوم بها دواوين الحكومة المركزية ومقار البعثات الدبلوماسية كما توجد بها مختلف المصانع ومطارات الرحلات الدولية والداخلية .

وقد اشترك في هذا المؤتمر التاريخي ما يقرب من (١٥٠) شخصية إعلامية إسلامية من مختلف أنحاء العالم يمثلون كافة أشكال وسائل الإعلام الإسلامي ، ونقلت وقائعه عبر الأقمار الصناعية وتوجهت تركيا ـ بدعوة (من رئيس الحكومة السابقة) لعقد الاجتماع القادم فيها .

صورتها النهائية .

نظرة الى المقررات

اولا : بالاضافة الى إقرار (ورقة العمل) العراقية ـ السعودية ، فان المؤتمر لم يبدأ عمله من فراغ ، وإنما سبقه مؤتمر تحضيرى فى قبرص عام ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م اسفرعن توصيات هامة .

وقد رأى المؤتمر العالمى فى اول مقرراته ضرورة إعادة إقرار وتأكيد ابرز التوصيات التى اقرها المؤتمر التحضيرى فى قبرص بشأن الاعلام الاسلامى ، وتتلخص فى :

١ ـ دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على انشاء اقسام للصحافة الاسلامية بها ، اضافة الى انشاء معهد لتخريج الكوادر العليا .

٢ ـ لتبنى رابطة العالم الإسلامى إنشاء مركز للمعلومات لامداد الحقل الاعلامى ، وحث منظمة المؤتمر الاسلامى على تنشيط دور وكالة الانباء الاسلامية

٣ ـ الاستعانة بالطاقات الاسلامية فى مختلف مجالات العمل الاعلامى ودعوة وكالات الانباء فى العالم الاسلامى الى ابراز اخبار العالم الاسلامى والعناية بها لكسر طوق العزلة الذى تفرضه وسائل الاعلام المعادية للاسلام .

٤ ـ دراسة امكانية إنشاء صحيفة يومية ، ومجلات اسبوعية وشهرية بعدة لغات ، وانشاء شركات اعلانات اسلامية حماية للصحف الإسلامية من ضغوط شركات الاعلانات الاجنبية .

ومناشدة البلدان ، والمنظمات الاسلامية منع دخول ، أو طبع الصحف والنشرات والكتب التى تعادى الاسلام ، أو تؤثر فى نشيه .

رجل الاعلام المسلم

ثانيا : ـ ميثاق جاكرتا الإسلامى : ـ

لعل هذا الميثاق يأتى فى الطليعة من إنجازات هذا المؤتمر العالمى ، فهو فى ابتكاره وجديته يبرز جانبا هاما وخطيرا من اهداف المؤتمر وهو العمل على ايجاد رجل الاعلام المسلم الملتزم ، ذلك ان الاعمال بالرجال وما لم يكن هناك رجل الاعلام المسلم الذى يؤمن بشرف رسالته مستوحاة من إسلامه فان لا بناء فى هذا الميدان لا اساس له

ومن هنا جاء اقرار المؤتمر لهذا الميثاق مستلهما كتاب الله وسنة رسوله ، وصلا بالاسلام وعطائه ، ووعيا بما يحدق بهذه الامة من اخطار ، ووعيا بدور الإسلام فى حمايتها ، وانبعاثها ، وتقديرا لاهمية الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام وحفاظا على واجبها الاعلامى ، وسمو اهدافه ، وشرف المهنة وتقاليدها ، وانطلاقا من الاهداف التى تمثل امال الامة الاسلامية .

من اجل هذا كله اقر الاعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الاعلامى الإسلامى الذى يلتزمون به ، ويجعلونه نبراس اعمالهم ، ومصدر التقنين لواجباتهم .

ويتلخص هذا الميثاق فى ضرورة العمل على : ـ

١ ـ بناء ودعم شخصية رجل الاعلام المسلم بترسيخ قيم الايمان ، ومبادئه الخلقية وتكامل شخصيته .

كما اقر المؤتمر اصدار بطاقة إعلامية يحملها كل منتسب من رجال الاعلام المسلمين للامانة العامة للاعلام الاسلامى .

٢ ـ أن يعمل الاعلاميون على جمع كلمة المسلمين ، والتحلى بالاخوة

التعليم الديني للنساء

الاسلامية فى حل مشكلاتهم ، وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض ، وتثبيت فكرة الامة الإسلامية المنزهة عن الاقليمية الضيقة ، والتعصب العنصرى والملى ، وان يتعهدوا بالمجاهدة من اجل تحرير فلسطين ، وفى مقدمتها القدس ، وكافة الاقطار الاسلامية المضطهدة .

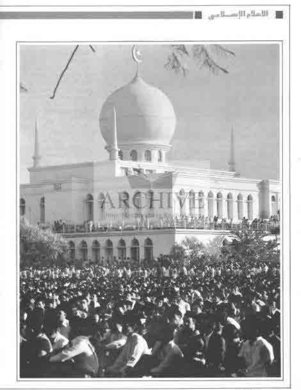
٣ ـ مجاهدة الاستعمار ، والصهيونية ، والافكار ، والتيارات المعادية للاسلام .

٤ ـ تحرى الحق فيما يذاع وينشر ويعرض مع اداء الرسالة فى اسلوب ملتزم بالاداب الاسلامية .

٥ ـ الإلتزام بنشر الدعوة الاسلامية ، والتعريف بالقضايا الاسلامية ، والدفاع عنها ، والاهتمام باحلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعية ، والاهتمام بالتراث الاسلامى ، والتاريخ والحضارة الاسلامية ، ومزيد العناية باللغة العربية ، واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره ، وتحقيق التنمية الشاملة التى تضمن للامة الازدهار والمناعة .

تثبيت الاهداف

ثالثا : ـ ومن اجل العمل على تثبيت اهداف المؤتمر ، وبقاء قوة الدفع ، والنمو والاستمرار له ، اقر المؤتمرون انشاء (امانة عامة دائمة) للاعلام الاسلامى مقرها (مكة المكرمة) تقوم على تنظيم ،



وتنسيق لتكون الاعلام ، والاعلاميين الاسلاميين في العالم ، وانشاء (المجلس الاعلى العالمي) للاعلام الاسلامي ، ويتكون من اربعة وعشرين عضوا من رجال الفكر والاختصاص يمثلون مختلف مناطق العالم ويكون مقره مكة المكرمة ، وتكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للاعلام الاسلامي في العالم وتنبثق عنه اجهزة للتخطيط والتنفيذ ، كما يقوم بانشاء مراكز فرعية له ، ودراسة إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع على اسس اقتصادية وفقا للابحاث المقدمة للمؤتمر بهذا الشأن ، والعمل على انتاج ما يخدم الدين الاسلامي وقضاياه من الافلام السينمائية ، والتلفزيونية ، والاشرطة الاذاعية والنشرات ، وكتب الجيب ، بغرض شرح وجهة النظر الاسلامية من كثير من الموضوعات والقضايا الهامة ، ودراسة إنشاء اتحاد للناشرين المسلمين وإقامة معارض للكتاب الاسلامي ، ومسابقات للبرامج الدينية .



رابعا : وفي سبيل تحسين الواقع الاسلامي يقرر المؤتمر التأكيد على اهمية الدور الملقى على عاتق كل من وكالة الانباء الاسلامية ، واتحاد الاذاعات الاسلامية ، ويدعو لتطويرهما للقيام بمسئوليتهما كاملة تجاه الامة الاسلامية كما يرجو المؤتمر تقوية ودعم اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة ، ويهيب بدعم وتطوير الاذاعات الاسلامية في كافة الدول الاسلامية .

خامسا : ونظرا لما يعانيه العالم الاسلامي من بعد عن تحقيق تقدم فعلي في مجال العمل الاسلامي المنشود وبخاصة في مجال الاعلام ، فان على الاعلام الاسلامي ان يواجه النمو الهائل الذي حققه العالم في مجال وسائل الاعلام والاتصال ، ومن اجل تحقيق هذا فان الاعلام الاسلامي يحتاج الى (فلسفة


المسجد الكبير في جاكرتا

ومنهاج) متطور يواكب هموم الجماهير وقضاياها المعاصرة ، ويحقق التواجد والتواصل الاعلامي الشامل واستخدام أرقى الوسائل الفنية المتاحة .

إن الاعلام الاسلامي يفتقر إلى ربط القول بالعمل ، وإلى مواكبة فهم العصر والهامه كما يفتقر الى التنسيق بين المؤسسات الاعلامية من اجل زيادة فاعليتها وتأثيرها ، ومن اجل المساعدة على تحقيق بعض هذه الافكار فان المؤتمر يأمل من (الامانة العامة) للاعلام الاسلامي ـ بعد قيامها ـ العمل على : ـ

انشاء مؤسسة اعلامية غير حكومية تتعهد الدول ، والمنظمات الاسلامية باحترام حريتها واستقلالها ، وانشاء معهد للاعلام الاسلامي تكون مهمته التدريب السريع للاعلاميين الحاليين ، وانشاء مؤسسة لانتاج الوسائل ، والأدوات الاعلانية ، والتاثير في وسائل الاعلام العالمية ، والتزام الاذاعات الاسلامية بتبادل الانتاج فيما بينها .

مواجهة الغزو

سادساً : ـ وإزاء ما يعانيه العالم الاسلامي من تحديات تواجه فيه : الانسان والعقيدة ، بل والاسلام كله بعقائده ، وشرائعه واخلاقه ، ولغة كتابه وما يعانيه المجتمع الاسلامي من غزو الحضارة الغربية لشتى جوانبه ، والنشاط التبشيري وما يتصل بقضية المرأة ، واللغة ، والحضارة ، فان المؤتمر قدم لمواجهة كل هذا تصورا اسلاميا كليا يجعل من الالتزام به حصانة للامة والمجتمع الاسلامي إذا قام الاعلام الاسلامي بدوره كاملا في إطار التصور الاسلامي لمواجهته هذه التحديات وغيرها الكثير .

تعقيب

هذا وتمثل المؤتمر وهو ينتهي بقراراته الى هذا الحد يوضح امام الاعلام الاسلامي معالم على طريق جاد يلتزم ينعكس به من ضغوط خارجية تؤثر فيه تأثيرا خطيرا وتصرفه عن وجهته ، وضغوط داخلية تضعه في كثير من الاحيان والمواقف في مواضع الريب والتهم .

ثم إن هذا المؤتمر على تميزه وحداثة موضوعه وأهميته هو ـ على أي حال ـ واحد من المؤتمرات التي كثرت في الآونة الأخيرة في العالم الاسلامي ، وتمثل ظاهرة تثير بعض الاسئلة على السنة كثير من المهتمين والمتابعين : منها : هل الجانب التطبيقي لما تسفر عنه هذه المؤتمرات من مقررات وتوصيات يوازي حجمها وكثرتها ؟ أم أن تخلف كثير من الجوانب التطبيقية يكاد يؤثر على مدى فاعلية هذه المؤتمرات ؟

وفي الواقع السؤال وارد وقد ألمح إليه سماحة رئيس المؤتمر معالي الشيخ (محمد علي الحركان) في كلمته في الجلسة الختامية بقوله :

(إننا مطالبون جميعا أن نحمل هذه الامانة على الكتوف والاعناق والسواعد والايدي لنوصلها معا إلى ساحة التنفيذ والعمل الايجابي .....

إن إدراكنا أيها الاخوة لدورنا في مرحلة التنفيذ اخطر واثقل حملا لما وضعناه هنا من قرارات وتوصيات سوف تفقد كل معانيها وقيمها إذا ما تركت حبرا على ورق وستكون ـ لا قدر الله ـ مجالا لسخرية الأعداء في كل مكان وزمان)

وتبقى بعد هذه المشكلة وهي أن هذه المؤتمرات لا تتمتع بأية سلطة تنفيذية تسلك بقراراتها وتوصياتها مسالك التنفيذ والايجاب .

وحتى تتوفر لها هذه السلطة فانها تؤدي دورا خطيرا في جوانب الدراسة ، والبحث ، واستخلاص النتائج في صورة جماعية من اللقاء والاخاء الاسلامي يفتح الأبواب الى (الاجتهاد) الجماعي وإحيائه ، ويضعنا على ابواب ومسالك (الاجماع) الذي هو من مصادر تشريعنا الاسلامي العظيم .

تحية إلى المؤتمر وتمنيات طيبة لقراراته القوية والجادة أن تجد سبيلها للتحقيق والتنفيذ حتى تصل بالاعلام الاسلامي إلى المكانة المرجوة منه وله ، والله ولي التوفيق .

د. حسن عيسى عبد الظاهر





الملك خالد بن عبد العزيز

لقد سرني جدا أن يعقد هذا المؤتمر الإعلامي الإسلامي الذي يعد المؤتمر الأول من نوعه في بلادكم الشقيقة وفي ظل رئاستكم وتأييدكم، وأن تحتضنه أندونيسيا الشقيقة وهي البلد الإسلامي المتحمس لعقيدته فقد عرف الشعب الأندونيسي المسلم عبر تاريخه الإسلامي الطويل بصدق نصرته للاسلام والعمل على نشره



خالد بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

إننا بمستطاعنا يجب أن نبثها في أوساطنا نحن أنفسنا وأن نقنع بها العالم أجمع، وإن وسائل الإعلام هي إحدى الأسلحة الفعالة لتحقيق هذا الغرض، وإذا كنا لانزال نشعر بوجود جور عالمي ووجود سوء التفاهم المتبادل بين الشعوب فيما بيننا نحن المسلمين فإن ذلك يعود فيما يعود الى عدم التوازن في نشر الأخبار العالم ويجب أن نعترف كرهنا أم ابينا أن وسائل الإعلام العالمية مازالت تحت سيطرة الدول المتقدمة وإننا - أردنا أم لم نرد - تفيض علينا الأخبار والرأي العام العالمي مصطبغة بمصالح الدول المتقدمة ....

لا استطيع بالشكر وعلينا ان نعمل بعمل شيء لمصلحتنا ولذلك فأنني أرى أن مؤتمر الإعلام الإسلامي العالمي هذا هو امر في غاية الاهمية

سوهارتو
رئيس جمهورية اندونيسيا



سوهارتو — الشيخ محمد علي الحركان

إن العالم الإسلامي لم يخسر المعارك عبر تاريخه الطويل لقلة طاقته الفكرية ولا لنضب في طاقاته ورجاله، ولكن هذا العالم خسر هذه المعارك لفقدان الجبهة المطلقة في ميادين العمل الصادق والمناول في سبيل الله.

محمد علي الحركان
رئيس المؤتمر والأمين العام
لرابطة العالم الإسلامي

الإسلام في أندونيسيا

دخل الإسلام أندونيسيا في القرن الأول الهجري من شواطيء سومطرة الشمالية وقامت بها مملكة اتشيه أول مملكة اسلامية، وكان التجار العرب هم أول من حمل الإسلام الى أندونيسيا مباشرة من شبه الجزيرة العربية.

وكان المسلمون الأندنيسيون هم المقاومون لكل أشكال الاستعمار وخاصة الصليبي منه على مدى تاريخ اندونيسيا الإسلامي، ويبلغ عدد المسلمين بها الآن ١٠٤ مليون مسلم وتعد بذلك أكبر دولة إسلامية من حيث كثافة السكان وبها ٤٠٤٣٩٧ مسجد ومصلى.

الإسلام في أندونيسيا

تصدر فيها عدة صحف منها صحيفة (بليتا) الإسلامية، ومن المجلات مجلة (نفتجى مشتركات) أسبوعية، ومجلة (قبلة) نصف شهرية ومجلة (سوارا مسجد) - أي صوت المساجد - ومجلة (رسالة اسلامية) وغيرها.

ومن الاذاعات الشهيرة في جاكرتا اذاعة جامعة الشافعية واذاعة الطاهرية، واذاعة جامعة دار المؤمنين، واذاعة جامعة المحمدية واذاعة للمعهد العقلي للدعوة الإسلامية.

ومنذ سنة ١٩٦٨ يجرى العمل كل عام بإقامة مهرجان لمسابقة تلاوة القرآن الكريم وحفظه ويلاقي الترحيب الحار من الجماهير الأندونيسية.





مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الأول يصدر في مطلع

القرن الخامس عشر الهجري

أول محرم ١٤٠١

- العلم لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولا يموت بموت أصحابه
- عندما قال الرشيد : هذا خير مني ، فالعلماء باقون ما بقي الدهر
- العبادة إذا أديت على غير علم فهي كبنيان على غير أساس

الإسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

د . يوسف القرضاوي

الإسلام فيما نعلم ـ أول دين يفضل الاشتغال بالعلم وطلبه والتبحر فيه على التعبد بالشعائر المعروفة ، مع أن القرآن يعلن في صراحة وجلاء أن الله تعالى لم يخلق الثقلين إلا ليعبدوه «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون».

ولكن العبادة إذا أديت على غير علم فهي كبنيان على غير أساس ، فالعلم هو الذي يوضح أركان العبادة وشروطها وآدابها الظاهرة ، وأسرارها الباطنة ، كما يبين ما يصححها وما يبطلها ، وما يكملها أو ينقصها .

والعلم يعرف صاحبه بمنازل الأشياء ومراتب الأعمال ، حتى يميز بين النفل والفرض ، وبين المهم وغير المهم ، وبين الأصول والفروع ، فلا يقدم نافلة على فريضة ، ولا يقدم غير المهم على المهم ، ولا يضيع أصلا من أجل فرع .

وفي مثل هذا قال السلف : «إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة».

وقالوا : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

ومن فضل العلم على العبادة أن معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها . فالمصلي والصائم والحاج والمعتمر ، والذاكر والمسبح وتالي القرآن ونحوهم يتعبدون لله بما يزكي أنفسهم ، وينمي إيمانهم ، ويزيد من حسناتهم ، ويرفع من درجاتهم .. ولكن المجتمع من ورائهم لا ينال من جراء عبادتهم شيئا مباشرا ، يحقق له منفعة ، أو يدفع عنه مضرة .

أما العلم فنفعه متعد ، لا يقتصر على صاحبه ، بل يتجاوزه إلى غيره من الناس ، إلى كل من يستمعه ، أو ينقل إليه ، وقد يكون نفعه ويستفيد جيل وجيل ، أو أجيال وأجيال .

الأثر الباقي

فالعلم لا يعرف القيود ، ولا يعترف بالحواجز والسدود ، وخاصة في عصرنا الذي ينتشر فيه العلم المسموع بالإذاعة والمرئي بالتلفاز في ثوان معدودة إلى المستمعين والمشاهدين في مساحات شاسعة ، وينتشر العلم المكتوب بوساطة الطباعة الحديثة إلى آفاق المعمورة في أيام معدودات .

ولا عجب أن روى أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : ذكر للنبي ـ ص ـ رجلان ، أحدهما عالم ، والآخر عابد ، فقال عليه الصلاة والسلام «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

وروى حذيفة بن النعمان : «فضل العلم خير من فضل العبادة».

وفي حديث أبي الدرداء : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

ومن فضل العلم على العبادة : أنه لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولا يموت بموت أصحابه .

فمن صلى أو صام أو حج أو اعتمر أو سبح وهلل وكبر ، فإن هذه الأعمال لها مثوبتها الجزيلة عند الله تعالى ، ولكنها تنتهي بانتهاء أدائها والفراغ منها . أما العلم فإن أثره يظل باقيا ممتدا ، مادام من الناس من ينتفع به ، مهما تطاولت السنون ، وتعاقبت القرون .

فعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ـ ص ـ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له».

وبهذا يعيش العالم عمرا طويلا بعد عمره المحدود ، وبخاصة من كتب وصنف فإن عمر المكتوب أطول وأثره أبقى .

الحاكم والحارس

ألا ترى أننا اليوم ننتفع بتراث علمائنا السابقين ، وندعو لهم ، ونترحم عليهم ، وبيننا وبينهم أزمان وقرون تدق فيها أعناق المطي .

قال يحيى بن أكثم : قال الرشيد يوما : ما أنبل المراتب ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ما أنت فيه .

قال : فتعرف من هو خير مني ؟ قلت : لا .

قال : لكني أعرفه : رجل يقول : حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ـ ص ـ قال .

قلت يا أمير المؤمنين : أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ـ ص ـ وولي عهد المؤمنين .

قال : نعم ، ويلك ! هذا خير مني ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ـ ص ـ لا



الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

يموت أبدا ، ونحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقي الدهر .

وما أبلغ ما قال الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ لكميل بن زياد : «العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه . العلم يكسب العالم الطمأنينة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، ومصيبة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة» .

الاشتغال بالعلم

وهذه الأحاديث وما جاء في معناها ، وما جاء في فضل العلم عامة ـ هي التي جعلت كثيرا من السلف يعتبرون العلم أفضل ما يتطوعون به متقربين الى الله تعالى .

فعن ابن مسعود قال : الدراسة صلاة . وعن أبي الدرداء قال : مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة .

عن ابن عباس : تذاكر العلم بعض ليلة أحب الي من احيائها .

وقال قتادة : باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه ، وصلاح من بعده ، أفضل من عبادة حول .

وقال الثوري : ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وعنه أيضا : ما أعلم اليوم شيئا أفضل من طلب العلم . قيل له : ليس لهم فيه نية : قال طلبهم له نية .

وقال ابن وهب : كنت عند مالك قاعدا أسأله ، فجمعت كتبي لأقوم . قال مالك : أين تريد ؟ قال : قلت : أبادر الى الصلاة . قال : ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب اليه ، اذا صح فيه النية .

وقال الزهري : ما عبد الله بمثل الفقه .

وقال : مطرف بن عبد الله بن الشخير حظ من علم أحب الي من حظ من عبادة .

وقال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وقد نقل عن أبي حنيفة ما نقل عن الشافعي ومالك وسفيان من تفضيل العلم على سائر النوافل .

هؤلاء هم أئمة الفقه وأصحاب المذاهب المتبوعة .

وبهذا يتضح أن المفاضلة بين العلم والعبادة لا تعني المفاضلة بين العلم المفروض والعبادة المفروضة ، ولا بين نفل العلم وفرض العبادة ، ولا العكس ، فانه لا مفاضلة بين نافلة وفريضة ، ولا بين فريضتين لازمتين .

فلا يجوز أن يشغل شيء عن العبادة المفروضة كالصلاة في وقتها ، ولو كان هو طلب العلم .

ولا يتصور من ذي علم أن يحتج بطلب العلم أو غيره من الاشتغال بتحقيق في أداء الفرائض المفروضة .

ولهذا قال المحقق ابن القيم حديث عائشة : فضل العلم خير من فضل العمل . قال : وانما العلم هو فضل التطوع في النوافل .

فانه اذا كان كل من العلم والعمل فرضا ، فلابد منهما كالصوم والصلاة . فاذا كانا فضلين ـ وهما النفلان المتطوع بهما ، ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها ، لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه ، والعبادة يختص نفعها لصاحبها ـ ولأن العلم تبقى فائدته .. ولما مر من الوجوه السابقة .

العلم والجهاد

ويندرج في فضل العلم على العبادة فضله على الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام ، والذي استفاضت في بيان فضيلته آيات القرآن وأحاديث الرسول .

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أحد أوعية العلم ، ومصابيح الهدى ، والذي نفسي بيده ، ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء ، لما يرون من كرامتهم ويقول الفقيه الداعية المربي الحسن البصري : يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء .

ذلك أن الجهاد لا يعرف فضله الا بالعلم .

ولا تتضح شروطه وحدوده الا بالعلم ولا يتبين الجهاد المشروع من القتال غير المشروع الا بالعلم .

ولا يتميز النفل فيه عن الفرض الا بالعلم .

ولا يعرف فرض الكفاية فيه من فرض العين الا بالعلم .

وكم رد النبي ـ ص ـ من مسلم جاءه يجاهد معه ، لأنه رأى أنه ترك واجبا يخصه ألزم من الجهاد . فعن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل الى النبي ـ ص ـ فاستأذنه في الجهاد ، فقال : أحي والداك ؟

قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد .

وفي رواية : أن الرجل قال : يا رسول الله ، جئت أريد الجهاد معك ، ولقد أتيت وان والداي يبكيان . قال : فارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما .

وعن أبي سعيد : أن رجلا هاجر الى النبي ـ ص ـ من اليمن ، فقال هل لك أحد باليمن ؟ فقال : أبواي . فقال أذنا لك ؟ فقال : لا . قال : ارجع اليهما فاستأذنهما ، فان أذنا لك فجاهد ، والا فبرهما .

وفي حديث آخر أنه ـ ص ـ قال لمن جاء يستشيره في الغزو معه : هل لك من أم ؟ قال : نعم . فقال : الزمها فان الجنة تحت رجليها .

وبهذه الأحاديث استدل العلماء على وجوب استئذان الأبوين في الجهاد وبذلك قال الجمهور ، وجزموا بتحريم الجهاد اذا منع منه الأبوان أو أحدهما ، لأن برهما فرض عين ، والجهاد فرض

كفاية ، فإذا صار الجهاد فرض عين فلا اذن ، لأن تركه معصية ، ولا طاعة لبشر في معصية الله تعالى .

وهذا بشرط ان يكون الابوان مسلمين لأن الكافرين لا يرضيان يوما بالجهاد لنصرة الاسلام وخذلان دينهما .

طلب العلم

وكل هذه الحدود والفوارق الدقيقة انما تعرف بالعلم ، فمن أعرض عن العلم واشتغل بالجهاد كان حريا أن يقع في الخطأ ، او ينحرف عن سواء الصراط وهو لا يدري .

وكم من الناس في الماضي حملوا سيوفهم على عواتقهم يقتلون من عصم الله دماءهم واموالهم ، يزعمون انهم بذلك مجاهدون ، فيقتلون اهل الاسلام ، ويدعون اهل الاوثان . اولئك هم الخوارج الذين صح الحديث في ذمهم من عشرة اوجه .

وما ذلك الا لانهم تعبدوا قبل ان يتعلموا ، وجاهدوا قبل ان يتفقهوا ، وتعجلوا العمل قبل العلم ، فضل سعيهم ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

وكم من شباب اليوم دفعهم الحماس الكثير في صدورهم ، مع العلم القليل في رؤوسهم ، والاعجاب المزهو برأيهم ، الى رفض اسهم ، وتكفير جماهيرها ، واعتبار اوطانها ديار كفر لا دار اسلام ، فاستحلوا بذلك ما حرم الله ، واسقطوا ما اوجب الله ، اتباعا لمتشابه النصوص ، وابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله .

ولو تعلموا وفقهوا ، وتلقوا العلم من اهله ، وعرفوه من مناهله ، لوقف بهم العلم عند صدورهم ، وعرفهم حقيقة الجهاد كيف يكون ؟ ومتى يكون ؟ ولمن يكون ؟

وهذا ما جعل الامام الحسن البصري — رضي الله عنه — يقول : العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد اكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم ، فان قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا باسيافهم على امة محمد — ص — ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا .

● كثير من السلف يعتبرون العلم أفضل ما يتطوعون به متقربين إلى الله

السيف والحجة

على ان الجهاد الذي جاء به الاسلام ليس كله جهادا بالسيف ، فهناك جهاد بالقلم واللسان ، وبالحجة والبيان ، أي جهاد بالعلم ، وهو المذكور في قوله تعالى «فلا تطع الكافرين وجاهدهم به (أي القرآن) جهادا كبيرا» .

فلم يكتف القرآن بتسميته جهادا ، بل سماه جهادا كبيرا وهذا في مكة قبل ان يشرع القتال .

وهو جهاد المنافقين في قوله سبحانه «يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» سورة التوبة .

فجهاد الكفار اخص باليد ، وجهاد المنافقين اخص باللسان ولا تعجب اذا جاء في الحديث «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» .

قال الامام ابن القيم : انما جعل طلب العلم من سبيل الله لان به قوام الاسلام ، كما ان قوامه بالجهاد ، فقوام الدين بالعلم والجهاد ، ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد والسنان ، وهذا المشارك فيه كثير ، والثاني الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل ، وهو جهاد الائمة ، وهو افضل الجهادين ، لعظم منفعته وشدة مؤنته ، وكثرة اعدائه . قال تعالى في سورة الفرقان ، وهي مكية «ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا» فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو اكبر الجهادين . وهو جهاد المنافقين ايضا ، فان المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم . ومع هذا فقد قال تعالى :



«يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» التحريم : ومعلوم ان جهاد المنافقين بالحجة والقرآن . قال :

«والمقصود ان سبيل الله» هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به الى الله ، ولهذا قال معاذ رضي الله عنه : عليكم بطلب العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، ومدارسته عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد .. ولهذا قرن - سبحانه - بين الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوي عزيز الحديد ، فذكر الكتاب والحديد ، إذ بهما قوام الدين . كما قيل :

فما هو الا الوحي او حد مرهف
تميل ظباه اخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل
وهذا دواء الداء من كل جاهل

والمقصود ان كلا من الجهاد بالسيف والحجة يسمى «سبيل الله» وفسر الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» بالامراء والعلماء فانهم المجاهدون في سبيل الله : هؤلاء بايديهم وهؤلاء بالسنتهم .

فطلب العلم وتعلمه من اعظم سبل الله عز وجل .

قال كعب الاحبار : طالب العلم كالغازي الرائح في سبيل الله عز وجل .

وقال ابو الدرداء : من راى الغدو والرواح الى العلم ليس بجهاد ، فقد نقص في عقله ورايه .

د. يوسف القرضاوي

لا يولد الناس على فطرة . لكنهم يولدون في مجتمع تختلف فيه العادات

كل أولئك مشاكل متأخرة من طراز اليوم في آراء بعض ذوي الآراء

اللغة العربية الفصحى .. واللهجة العامية من لغتنا العربية

مقال لم ينشر من قبل

الجديد القديم

عباس محمود العقاد

من إنفع ما في الذكريات الماضية انها تذكرنا بالحاضر الذي ننسى حقيقته، وهو بين ايدينا .

إنها تذكرنا بالحاضر لانها تعرفنا بالجديد ، الجديد منه حقا وواقعا . كما تعرفنا بالقديم الذي يتكرر في عصرنا ، ولم يزل يتكرر على الاقل مرة في كل عصر ثم يقال عنه في كل مرة إنه جديد ، ويخطر في الظن كل مرة انه بدعة لم يسبق له مثيل .

عدت بنا الذكرى الى سيرة عبد الله النديم ، وعادت بنا سيرة هذا الرجل

-الكثير السير- الى آثار قلمه المحفوظة بين الايدي في هذا العصر ، فاذا بنا نفاجأ اليوم تلك المفاجأة المألوفة المتكررة عما يسمى كثيرا بالجديد ، وعما ننسى جانب القدم فيه ، فلا نعرف انه قديم إلا بعد فوات الاوان .

مشكلة التبرج في الازياء .

مشكلة الشباب المدلل المضلل ، وفي طليعته شراذم الاحداث الذين اشتهروا باسم فتاهم المفتون جيمس دين !

مشكلة المسرح العربي بين الشرق والغرب .

مشكلة اللغة العربية الفصحى

واللهجة العامية من لغتنا العربية في المسرح والصحافة ، وفي كل كتابة تعرض على القراء الذين تختلف بينهم درجات التثقيف والقدرة على الاطلاع ، وعلى الانتفاع بالكلم المكتوب ، او الكلم المطبوع ، او الكلم المسموع .

كل اولئك مشاكل متاخرة ، من طراز اليوم في آراء بعض ذوي الآراء ، وفي آراء الذين لا يعرفون من الرأي إلا الحديث المعاد من رواجع الاصداء .

وكل مشكلة من هذه المشكلات قيل فيها إنها بنت يومها ، وبلغ بعضهم في

ربط النسب بينها وبين العصر فنسبوها الى الحرب العالمية الثانية بتحديدها وتوكيدها ، وبالغ آخرون فربطوا النسب بينها وبين أزمات الصناعة الكبرى ، او بينها وبين العلل التي كشفتها بحوث فرويد وأصحابه ، ولم يكن لها وجود في ظنهم قبل هذه الكشوف ، ولا سيما كشوف الجنس او كشوف الأدب المكشوف .

وراق في خواطر الكبار والصغار ان يحسبوا انهم بدعة بين العالمين وراق في خواطر الصغار خاصة ان يحسبوا انهم «خلقة وحدها» بين خلائق الله ، وان «الموديل» او النمط الذي نشأوا عليه من مبتكراتهم هم دون آبائهم وأجدادهم ، لأنهم لا يسمحون لآبائهم بفضل الابتكار مثلهم ، وإن كانوا هم من مواليد هؤلاء الآباء .

ونعود الى صفحات «الأستاذ» من صحف عبد الله النديم .. نعود اليها حتى نرى مثيلاً لتلك الصور التي قيل انها لم يسبق لها مثيل .

ربات البيوت

كانت مشكلة التبرج ومشكلة الشبان المدلل المضلل ـ إحدى مشكلات الزمن قبل نيف وسبعين سنة وكان أهل الزمان يقولون عن يقين إنهم في آخر الزمان ، وإن مايرونه من البدع شيء لم يبدأ من قبل ، وشيء لن يعاد .

وفي حديث من أحاديث رمضان كان النديم يقول باللهجة العامية على لسان سيدة من ربات البيوت : هي السيدة التي سماها «الست صلوحة» وهي تحاور جارتها التي سماها «الست تقية» وجمع لهما بين سمة التقوى وسمة الصلاح .

قالت الست صلوحة : « الست تحفة قالت لي نبقى نطلع في رمضان ونروح نتفسح في شبرا وإلا في سكة الجزيرة ، وبالليل نزور الستات معارفنا» !

قالت الست تقية :«انا ياختي عمري لا طلعت ، ولا اعرف الخيص ولا اللبص .. الست منا لما تطلع وتمشي في السكة وإلا تركب عربية .. تتطلع للجدعان والرجال وهم ينظرون اليها ، وربما يكلموها بكلام قلة حيا ... خصوصاً جدعان اليوم ، ولكونهم عرفوا ان بعض النسوان يطلعوا ويمشوا في السكة صاروا يحطوا في وجوههم الاحمر والابيض مثل النسوان ، والواحد منهم يسبسب شعره ويصلح حواجبه ويطلي

عبد الله النديم

جيمس دين

وجهه ويحط على صدره من البودرة ، ويمشي كأنه بنت ... فانا عندي ان الواحدة اللي تطلع من بيتها للمشي في السكك قليلة الحيا وطالعة للفرجة على الرجال والشبان ، وإلا ماذا يجرى لها إذا قعدت في بيتها تضحك و تلعب مع عائلتها والنساء الزائرات لها ... نحن صرنا في آخر الزمن «فان المتقدمين قالوا في آخر الزمن تطلع النسوان في السكك وتروح الغيرة من الرجال ... ربنا يكفينا شر فضيحة العرض ... ربنا يكفيك شر ولاد الحرام يامدتتي ! » .

وفي مساجلة رمضانية الحوار يجري الحوار بين عميشة المستعدية ومرجانة المسلمة ... وتسأل مرجانة صاحبتها متعجبة ... [illegible] ... [illegible] ... ولن نظرنا النخلة جوز ... تلاقيه أخلف من غيره ، لأنه بيخبى بأكثر في لقمته ...

شوفي انت الجدعان ومفودهم في اللوكاندات عيني عينك ، يأكلوا اللحم والسمك والسمن وكل ماحرمته الديانة ولا يخافوا من الله ولا يستحوا من الناس .. حتى اليهود بعد ماكان الواحد منهم يفرط في روحه ولا يفرط في دينه أصبح فيهم ناس يأكلوا من ذبيحتنا وذبيحتكم وتركوا عوايدهم وعملوا الافرانكه ... انا عارفه ياأختي الالافرانكا دي كانت فين وكنا فين ... لما دخلت علينا بالمنجل والمنجل وقلبت عقول أولادنا ، وخسرت علينا الدنيا والدين .. » .

ورحم الله النديم ورحم معه «استاذه» الذي جعله في مدرسة الصحافة معلماً بين المعلمين . فهذه هي دروسه باللهجة العامية للأمهات ، يوم كان الآباء في كثرتهم الغالبة من الأميين . وكان الدرس الواحد من دروسه البدائية ـ حلا لمشكلة البيت ومشكلة المدرسة والتدريس ، او حلا لمشكلة التعليم بما يفهمه المتعلمون والمتعلمات ؛ يكلمهم في

هذه الصفحة كما يتكلمون ثم يقلب الصفحة على كلام آخر لا ينبغي ان يقال بغير الفصحى التي لا يلغيها جهل الامهات والآباء ، ولا جهل الأبناء .

التشخيص العربي

ويمر «بالقارىء» الحديث عنوان بين الصفحات يوشك أن يتخطاه ، ولكنه يعلم بعد سطرين ان «التشخيص» العربي عنوان يدل على فننا الذي نسميه الآن بالتمثيل ولعله يقف حائراً بين الكلمتين : أيهما أصح دلالة على رسالة المسرح بين الفنون : إن المسرح يعطينا شخوصاً او شخصيات ، ... فهو كذلك اقرب الى الدلالة عليه بكلمة التشخيص ، ولولا ان تصريف كلمة التمثيل للممثل والممثلة والرواية التمثيلية أيسر على اللسان وأطيب موقعاً في الآذان ، ولولا ان لقب الممثل أحب الى الفنان من لقب «المشخصاتي» لبقيت كلمة التشخيص عنواناً على هذا الفن إلى الآن ...

ومن توافق الخواطر ان نرى في أخبار التمثيل قبل سبعين سنة انهم كانوا يهتمون يومئذ بالذي نهتم به اليوم ، ويقيسون درجة التقدم فيه بالمقياس الذي نعول عليه اليوم : مقارنته بالتمثيل الغربي وإحصاء عدد المقبلين عليه .

ويقول النديم في العدد الرابع من ابريل سنة ١٨٨٣ :

« سرنا تقدم هذا الفن الجليل في هذه الأيام وارتقاؤه الى درجة لا تنحط عن درجة «التشخيص» الغربي ، وسرنا ايضاً مارأيناه من اقبال الجمهور عليه وارتياحهم الى تقدمه ونجاحه » .

ثم يقول ان مؤلف الرواية دعي بين الفصول لشرح روايته « فقام وارتجل خطاباً في فضل التشخيص وتقدمه ثم مدح هذا الجوق بما هو أهله » .

ولاريب انها عادة حسنة فقدناها في برامجنا العصرية ، لأنها تحفظ للمؤلف مكانه على المسرح بين ممثلي روايته وتهيىء للنظارة فرصة الالتقاء بمؤلفهم كما تهيىء للمؤلف فرصة الالتقاء بجمهوره والإفضاء اليهم بما يحبون أن يعرفوه عن شخصه ، وعن عمله ، وعن تلك الحواشي والهوامش التي يبحث عنها جمهور اليوم في مكان بعيد عن المسرح : وهو مكانها في الأحاديث الصحفية .

الجديد القديم

أما قضية اللغة ، ومعها قضية التأليف بين الفصحى والعامية فهي اليوم قصة معادة ، وهي بالأحرى أن تسمى بالقضية الجديدة في الصحافة على الأقل ، إن لم تكن جديدة كل الجدة في مباحث الكتاب والنقاد .

وكما رأينا في الحوار بين «صلوحة» و «شقية» يبدو أما أن الحل الذي وصلوا اليه قد بلغ عندهم مرحلة النهاية التي لامزيد عليها ، فنحن اليوم — مهما نبذل من جهد — لانطمع في الوصول الى حل أوفق لحياتنا الحاضرة وتراثنا من الحل الذي وصلوا إليه ، وهو خطاب العامة بالعامية وتحرير الكتابة في موضوعات الأدب والعلم والثقافة وسائر شئون

الأمة المشتركة بلغة الاعراب : لغة البقاء ، ولغة الجماعة العربية في مختلف الأقطار ، ولغة التعليم والكتاب .

وبالأمس كان لهم مجمعهم العربي الذي دعا اليه عبد الله فكري باشا واشترك فيه السادة البكري ، والهلباوي ، وأحمد سمير ، وأمين الشميل وغيرهم من فضلاء سورية ولبنان . ومما قرروه في مجمعهم بعض الآراء والمقترحات التي يتلاقى فيها القديم والجديد أمس ، واليوم وغدا الى غير أجل معلوم ، ومنه تفضيل الكلمة العربية كلما وجدت سائغة قابلة للشيوع والتعميم ، وإن لم توجد فالترجمة أو التعريب .

ومنه إدخال الكلمة المولدة في أساليب اللغة الفصحى ، وإحياء القديم المهجور إلا إذا كان الخطأ الشائع مغنيا عن الصواب الذي طال عليه الترك والاهمال .

ولكنهم كانوا بالأمس أشد منا تطرفا في خطة الإلزام والاملاء على المتعلمين وذوي الأقلام ، ومنهم من اقترح أن تعرض القرارات على العلماء والقراء فترة من الزمن للمناقشة فيها ، فإذا استقر عليها الرأي وجب تنفيذها بحكم الاصطلاح .

قال التقرير : « ولا تتخذ بعد هذه الجمعية إلا إذا تقرر في محفل البلاد اعتبارها جمعية لغوية والزام مدرسي العربية وغيرها بالنقل عنها وتعليم الطلبة ماتقرره من الفوائد اللغوية ، ويصدر الأمر العالي بالتنفيذ » .

وبعد ، فالى أين يذهب بنا اليوم تجديد هذا القديم ؟

إنه يذهب بنا الى المستقبل البعيد ، ليقول لنا إن هذا المستقبل سيرى كثيرا من القديم معادا متكررا باسم الجديد ، وسيعلمنا مدى الدهر أن الأجيال تتجدد أبدا كما يتجدد الأفراد : كل طفل يعيد في حياته عملية الرضاع والتسنين والحبو والمشي والمراهقة والرشد والتعلم ، وكل جيل يعيد مراحل الأجيال على هذا المثال وإنما تتغير العادات والعلاقات ولا تتغير طبائع الفطرة ووظائف الأجسام ومدارك العقول .

لا يولد الناس على فطرة جديدة في كل زمن ، ولكنهم يولدون في مجتمع جديد تختلف فيه العادات والعلاقات ، وتختلف فيه المطالب والأشكال ، وفي هذا الاختلاف تتقدم الجماعات الإنسانية في طريق القديم الذي يسمى جديدا وطريق الجديد الذي لم يسبق له مثيل .

عباس محمود العقاد

اليهود مبثوثون في مراكز الإعلام الغربية وغيرهـــا من مراكز التأثير !

الإعلام وجه من وجوه المعركة القومية كنظام الحكم أو الاقتصاد أو بناء المصانع

مسوغات التقصير الاعلامي في القضية العربية

د. حافظ الجمالي

لو أن إسرائيل لم توجد في حياتنا ، ولم تسبب لنا كل ما نعانيه منها الآن ، لكان لدينا من متاعب الحياة ما يكفينا بدءاً من طبيعة الأرض الصحراوية وجفاف المناخ ، وقلة الأمطار ، ومخلزي التخلف ، فضلا عن متاعب أخرى نشأت يوما ما في ظلام التاريخ ، وظلت منذ نشوئها ، وهي تستفحل أكثر فأكثر ، كالطائفية ، والفرقة المذهبية ، والعصبية القبلية والعائلية والاقليمية ، كما لو اننا لا نعيش حاضرنا وحده ، ولا الحاضر مضافا إلى الماضي ، بل الحاضر مضافا

اليه بصورة خاصة ، ماسى الماضى دون مسراته ، وآلامه دون أفراحه . أما وقد وجدت اسرائيل ، فإن القضية العربية كلها اصبحت مشكلة إسرائيل .

وطبيعى ولا ريب أن نجند كل طاقاتنا الصغيرة والكبيرة معا لمجابهة هذه القضية . ولم يعد يعنينا الفقر لانه فقر ، ولا الجهل لانه جهل ، ولا المرض لانه مرض ، ولا الثروة من حيث هى ثروة ، بل ما من شىء بذاته يعنينا بصورة أو بأخرى إلا بمقدار ما يطل على حل مشكلة اسرائيل . ولئن كان الفلاسفة اليونانيون يقولون : الانسان مقياس كل شىء ، فعلينا أن نقول نحن : إسرائيل مقياس كل شىء ، بل حتى الحلال والحرام ، مقياسهما هو إسرائيل : فكل ما يعود بالخير من جانبنا نحن ، على إسرائيل ، هو الحرام ، وكل ما يؤذيها ويفسد عليها حياتها هو الحلال ، سواء أكان ذلك بوعى أم بغير وعى . فاللاوعى هنا خيانة موضوعية ، والوعى خيانة موضوعية ونفسية معا . وهكذا فإن على كل انسان أن يتساءل عن معنى كل عمل من أعماله ، وعلى كل حكومة أو قيادة أن تطرح نفس السؤال . ومتى لاح لهما أن فى أى عمل من أعمالهما ، شيئا يطل بالخير على إسرائيل ، فإن عليهما أن يحرماه تحريما مطلقا ، يستوى فى ذلك ما يقصران به فى عمل ، أو ما يضيعانه عبثا من الوقت ، أو ما يقصران به فى الكفاءة ، والعكس بالعكس . وإنا أعلم أن ذلك حقل أعلى قد لا يطيقه البشر ، ولكن ما لا يبلغ كله لا يترك جله .

التساؤل الاعلامى

والاعلام وجه من وجوه المعركة القومية ، كنظام الحكم ، أو الاقتصاد ، أو بناء المصانع ، أو صورة استغلال الثروات القومية . وعلينا فى كل لحظة أن نلاحظ ماذا يقدم لنا إعلامنا من خير ، وما يدفع عنا من شر . وإنا أعرف ، ككل عربى آخر ، أن إعلامنا فى مواجهة إسرائيل قليل الجدوى ، ضئيل الخطر ، حتى ليفقدنا التعاطف الطبيعى مع الضحية ، ويقلب حقنا الى باطل ، ويجعل الحقيقة الموضوعية ، الظاهرة الواضحة ، وكأنها خطأ مبين . ترى ما هى مسوغات هذا التقصير ؟ وهل يصح أن نعتبرها مسوغات معقولة ، لا مجال





لتجاوزها ... ، أو أنها ... أنها شيئا غير معقول ولا مقبول ، ويمكن تجاوزه إذا ما وجدت الأفكار والمسوغات ... مما يجعلنا نعفو للاعلام زلاته ونقلل عليه من الاتهام ، ونقدر أو نقتنع أنه بلغ رغما عنه حيث هو من الهبوط والتفاهة واللاجدوى ، أو الجدوى المعادية لا الصديقة ، إلا أن نقاده كذلك أمر قسرى ، لا حيلة له فيه ولا هو عنه بالمسؤول . ولكن ألا يجب فى هذه الحال أن نعذر الاعلام ، وننسبه فى قدره ؟

ومن جهة أخرى ، أليست القضية أوسع من الاعلام وأكبر ، باعتباره جزءا من كل يصلح بصلاحه أو يفسد بفساده ؟ أو لا يقال ، من حيث المبدأ مثلا ، إن العرب لا يملكون أصلا أدوات الاعلام ، بل القدرة على التخطيط له ؟ أو صحيح أن الاعلام نفسه شىء لا يقوم بذاته ، وأنه محصلة لصورة الحياة الإجتماعية كلها ، وما يسودها من مبادىء ، وما يوضع فيها من نظم ، وما يسن لها من قوانين . فإذا كانت الدولة سليمة كان إعلامها سليما ، وإذا كانت مريضة تجلى مرضها فى الاعلام أيضا ، كما يتجلى فى أى مجال آخر ؟ أوليس بالحق أن الاعلام ثمرة بمقدار ما هو دالة ، أى ثمرة لصورة الحياة العامة ، ودليل على نوعيتها ؟

لكن هذا يمضى بنا إلى بحث طويل ، فلنبق منه عند السطوح وحدها ، ولو أنها ستمضى بنا هى نفسها الى الاعماق ، حتى من غير بيان أو تحليل .

مبررات التقصير

● وأول مبرر نجده هو أننا لا نملك فى العالم أدوات الاعلام المناسبة ، أو قل إن عدونا هو الذى يملكها لا نحن . والحق أننا نجد يهودا مواطنين فى أكثر الدول الاجنبية ، ولا سيما فى أرقاها ، أو فى صاحبة الشأن والقوة منها ، فهم يعرفون لغة البلاد التى ولدوا فيها ، كما أنها لغة الأم تماما ويتقنون علومها ، وآدابها ، ويعرفون عاداتها وتقاليدها أحسن المعرفة .

ولا أظن أنها محض مصادفة أن نجد عددا كافيا منهم يتسربون إلى مراكز الاعلام فيها ، وغيرها من مراكز التأثير (المصارف ، البيوت المالية ، تجارة الاستيراد والتصدير ، مخازن البيع بالسعر الارخص ....) . وما دمنا نتكلم عن الاعلام ، فأقول إنه ليس بيننا من يجهل أن فيهم عددا غير قليل فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، والسينما ، ودور النشر ، ودور التوزيع مؤيدين فى ذلك كله بمنظمة أو جملة منظمات تتبادل العون ، وتعرف كيف تفكر ، وتخطط ، لإشاعة رأى عام مؤيد لأهدافها ، مناقض لأعدائها . وليس الأمر كذلك فيما يتصل بالعرب ، فهؤلاء غرباء عن كل البلاد الأجنبية ، ولا يتقنون لغاتها ، إلا فى القليل النادر ، حتى ولو حصلوا منها على أعلى الشهادات وأرقاها ، ولا تعرف دور الاعلام لأى منهم وزنا فيها ، وليس وراءهم من يخطط ، ويحسن التفكير ، ويدعم بالمال ، ويوضح الأهداف الاعلامية . ولهذا حكم علينا نحن العرب أن نكون دون الصهاينة رغما عنا ، فى هذا المجال ، كما فى المجالات الأخرى . أو لا نذكر هنا قول القائل : إن وراء كل كتاب ينشر أو يشتهر فى العالم ، واحدا يهودية على الأقل ، من ثلاثة هم المؤلف أو الناشر أو الموزع .

ويخطر بالبال ولا شك حالة مهاجرينا الكثر الى البلاد الأجنبية ، لكن مهاجرينا

سوءات التقصير الاعلامي

في الغالب يمضون الى بلاد متخلفة اكثر منا ، او مثلنا تخلفا ، كامريكا اللاتينية ، ومتى عاشوا زمنا ما فيها ، وانقضى جيلهم الاول ، رأيت ابناءهم يجهلون لغة ابائهم ، ويقطعون كل صلة لهم بالوطن الأم (باستثناء بعض المهاجرين اللبنانيين) . وقد تجد منهم من يتنكر للوطن الأم ، ويتجاهلونه ، ويضعون على عيونهم عصابة اهل البلاد التي يعيشون فيها ، ويتبنون وجهات نظرهم ، كما هي ، حتى ولو كانت معادية لأهل ابائهم وامهاتهم .

اوليس من الملفت للنظر ان اليهود يعيشون في بلاد الشتات منذ الفي سنة ، ولا تجد منهم من يتحلل في وطنه الجديد على قدم عهده فيه ، وحياة اجداده لاجيال واجيال فيه ، وان العكس تماما هو الذي يلاحظ لدى العرب . إن العرب مادة سريعة الذوبان في اية مادة اخرى تلامسها ، اما اليهود فقد حرم عليهم اي تفاعل مع من يعايشونهم ، وهم يستعصون على اي انحلال فيه ، ما عدا ذاك الذي يساعدهم فيه على بلوغ ماربهم الخاصة .

ترى هل هذا العائق من النوع الذي لايمكن تجاوزه ؟ إننا نعرف ان مثقفي لبنان والمغرب يملكون الفرنسية كابنائها ويكتبون بها ، ويؤلفون فيها كتبهم ، وينظمون بها شعرهم ، وينشئون بطريقها ادبهم ، وبحوثهم ، فاذا كانت الفرنسية لغة شائعة بين الناس ، او عالمية ، كما يقال ، او ذائعة جـداً على الاقل ، فلا شك ان ادوات الاعلام العربية في هذه اللغة ، موفورة جداً .

اما الانجليزية ، وهي اللغة العالمية حقا ، والشائعة في كل ارجاء العالم ، بمقدار ما هي لغة امريكا صديقة إسرائيل وسندها واصلها وفصلها ، فلا شك ان بين الفلسطينيين ، والسودانيين ، والمصريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، وبعض ابناء الجزيرة العربية ، من يحسن هذه اللغة كابنائها ، او كافضل ابنائها ، وبالتالي فان ادوات الاعلام البشرية موفورة جداً هنا ايضا .

يضاف الى ذلك ان لدينا عشرات الالوف ممن يتابعون الدراسة العلمية في مختلف بلدان العالم ، من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، وانك لتجد العرب في باريس كما تجدهم في بودابست وبراغ ، وفرسوفيا ، وكل العواصم الشرقية الاخرى كما تجدهم في ايطاليا واسبانيا . وبجهد رسمي منظم بعض الشيء نستطيع ان نوفر لنخبة من طلابنا في ايطاليا واسبانيا معرفة بقية اللغات العالمية ، بحيث تصبح كل ادوات الإعلام اللازمة موفورة بين الايدي ، وقابلة للاستخدام فورا .

والان هل نتوفر الاقامة الدائمة في البلدان الاجنبية لهذه العناصر ؟ ان الدكتور الياس زين الذي يتناول موضوع هجرة الادمغة العربية الى الخارج ، اي اصحاب الكفاءات العليا يلاحظ ان نسبة المهاجرين السنوية من خريجي الجامعات في الاقطار العربية كانت من عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦ تعادل ٥٫٥ ٪ من المهندسين ، و٢٫٩ من الاطباء و ٦٦٫١ ٪ من علماء الطبيعة و ٨٫١ ٪ من علماء الاجتماع ، وهذا كله في سوريا ، لكن اللبنانيين لا يقلون عنا هجرة ، والارقام او النسب السابقة ، تبلغ هنا ٣٥٫٥ ٪ و ٢٤٫٩ ٪ و ١٠٫٥ ٪ وقل مايشبه ذلك عن العراق ، ومصر ، وتونس والاردن ، ويضيف الباحث قائلا انه جاء في تقرير ختامي لمؤتمر وزراء التربية العرب في (ابو ظبي) ١٩٧٧ ان ٢٥ ٪ من الاطباء العرب يهاجرون و ٢٠ ٪ من المهندسين ، و ١٥ ٪ من الحاصلين على شهادات علمية اخرى .

وكذلك فقد بلغ عدد المهاجرين في العام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ من خمسة اقطار عربية هي مصر والاردن ولبنان وسورية والعراق ٣١٣٢ مهاجرا من المهنيين والفنيين ، اي ما يعادل ١٧ ٪ من مجموع المهاجرين ، الذي يبلغ ١٨٦٢٣ مهاجرا . وهكذا نجد بغض النظر عن اسباب الهجرة التي لا نحب الخوض فيها ، انه لا تنقصنا بحمد الله ، نعمة هجرة المواطنين ، وهي على ما نرى ، هجرة «مبروكة» . اما وجهتها الدائمة وخاصة بالنسبة للادمغة الثقيلة فهي البلاد المتقدمة .

وصحيح ولا ريب ان المهاجر لا يهاجر وهو راض عن نفسه . . . . إلا ان الوشائج مع الوطن اكبر بكثير مما يظن الناس ، وحتى المهاجر نفسه ، ومتى وجدت الظروف المناسبة ، فان اكثرية المهاجرين ستلبي نداء الوطن ، وستقوم بكل الخدمات التي تدعى إليها ، وهذه طاقة وطنية «نستثمرها» عادة كما نستثمر كل ثرواتنا الوطنية

والفرق كبير ولا شك بين حسن استثمار هذه الطاقة ، وسوء استثمارها ، ومع ان هجرة الادمغة عامل سلبي في ذاته ، وخسارة وطنية مؤكدة ، فان مما لاريب فيه ان في وسعنا جعلها هجرة رابحة لا خاسرة ، إلا ان يعجزنا ان نجند من نحتاج إلى كفاءته من بين هؤلاء ، لحساب منظمة عربية ما ، او مؤتمر عربي ما ، على طريقة الصهاينة ، أو اية طريقة اخرى نبتكرها لدواعي الحاجة الحيوية

وعلى ذلك ، فان جهل اللغة ليس هو العائق ، ولا عدد المهاجرين ، واقامتهم الدائمة في الخارج ، بالشيء الذي نفتقد وجوده ، وهذا شيء هام ، ولكن هل نملك مؤسسات صحفية ، او إعلامية ، او دور نشر ، او دور سينما ، او مخرجين سينمائيين ، او ما يشبه ذلك من وسائل الاعلام ، لتكون بين ايدي الرجال الذين نكلفهم بواجب ما من الواجبات الاعلامية وفي هذه المرة نتساءل : هلا! تنفق كل دولة عربية على الاعلام جملة ، وما هي نسبة ما يخص الاعلام الخارجي من هذا الانفاق ؟ ولئن كان هنالك ما نسميه بالاعلام الخارجي ، فما هي خطته ؟ وما هي أدواته ؟ ومن القى عليه يوما نظرة تقويم او تقييم ؟ وحتى الاعلام الداخلي

هل نحن حقا بحاجة الى ذلك ؟ وهو يحرص على الاشادة بمنجزاتنا الداخلية ، وروائع ما نفعله ، ولكن هل فطن الاعلام الى مدى التوازى بين الاعلام الرسمى والاعلام الشعبى ، وايهما هو المصدق لدى الناس ؟ ولئن كان الاعلام الداخلى مخفقا فى ناحية او اخرى ، كما لو انه يخدم بصورة عكسية جملة الاهداف الموضوعة له ، فهل قام اى انسان بقياس مدى هذا الاخفاق ؟ وبالتالى ايمكن ان يخفق الاعلام الداخلى ، وينجح الاعلام الخارجى ؟

مقترحات للمستقبل

وفى هذا الاطار يمكن التساؤل : لماذا لا يقدم المفكرون اية صورة رائعة عن منجزاتنا العربية المشهود لها فى الاعلام الرسمى ، بالعظمة والتفوق ؟ او لماذا لا يقدمون إلا صورا سلبية ، غاية فى السلبية ، لا عن قطاع الاعلام وحده ، بل عن كل قطاع ؟

ولندع هذا الآن ، ولنتساءل : هل بين مسئولين العرب من يتمنى انتصار إسرائيل ، وهزيمة العرب ؟ والقول لاريب ان كلا منهم يتمنى لو صوره التاريخ بصورة صلاح الدين ، وسجل له نصرا فى معركة كمعركة حطين .

ومع ذلك فان الاعلام العربى الخارجى فيما يتصل بإسرائيل ، يمكن ان يكون واحدا ، وإن مؤسسات كثيرة كدور النشر او التوزيع ، او المسارح ، او الاعلان ، يمكن ان تشترى ، وإن إعداد الاعلاميين ، وتيسير السبل أمامهم للتسرب إلى دوائر الاعلام الاجنبية ، امران ممكنان بصورة او بأخرى .. لكن المشكلة هى اننا نريد ان يتحقق كل شىء بمعجزة خارجية بلا خطة منا ، ولا جهد يبذل ...!

ترى اليس الوقت مناسبا ـ بعد كل معاركنا مع اسرائيل التى نقدر انها لن تنتهى بسهولة ـ لفتح ملف الإعلام العربى ، وغيره من الملفات ايضا ، ولا سيما تلك التى يستند اليها هذا الاعلام ، ويصورها ، ويعبر عنها ؟

د. حافظ الجمالى

القرآن الكريم يضعنا فى قلب الطبيعة على مستوى الكون والعالم

ليس هناك مبرر فى الرؤية الاسلامية لأى توقف أو رجوع إلى الوراء

المسلم الجاد يرتفض وصاية احد من الوضعيين ويرتفض تصنيفهم للناس

الاسلام يستقبل القرن الخامس عشر

الانسان المسلم هو التقدمى

د. عماد الدين خليل

يمثل الاسلام موقفا فى قمة (حركة) التاريخ لأنه دعوة لاكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها ـ ليس مع حركة التاريخ فحسب ، ولكن مع نواميس الكون والعالم كله : (أولم ينظروا الى ملكوت السماوات والأرض ؟) (افلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا اكثر منهم قوة ..) (فلينظر الانسان مم خلق ؟) (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ؟) (فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ؟) .

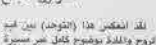
ولو شعر المسلم الجاد انه يقف فى موقع ساكن ، او رجعى ، لغادره مباشرة بمجرد ان يملك ذرة من ذكاء فى التعامل مع معطيات دينه ، لكن قناعته تنبثق من كونه ينتمى الى العقيدة التى تجعله الارادة الفاعلة فى العودة بذاته وبمجتمعه وبالبشرية عموما ، الى طريق (التوافق) ، والتقدم ـ من ثم ـ برخم عظيم يتولد ـ بالضرورة ـ من التقاء الطاقات الانسانية والمادية فى إطار التوافق وليس تصادمها وتقاطعها وتفتتها .. التقدم إلى كشف اعظم ، وخطوات اوسع ، وبناء حضارى اكثر ديمومة ورسوخا يقام على هذه الكشوف.

ولو تمعنا قليلا فى كتاب الله فلننا سنجده يؤكد ، فى موقفه من العمل الحضارى ، على الجوانب الأخلاقية ، الروحية والمادية على السواء .. وسنجد انفسنا بإزاء ايات عديدة تضع الجماعة البشرية المؤمنة فى قلب العالم والطبيعة وتدفعها الى ان تبذل جهدها من اجل

الانسان المسلم هو التقدمي

التنقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة وفي صميم العلاقات الدقيقة بين الجزيئات والذرات .. انما بإزاء حركة حضارية تقدمية شاملة تربط وهي تطلب من الانسان ان يحفر في بنية السماوات والأرض ، بين مسألة الإيمان ومسألة الابداع ، بين التلقي عن الله والتوغل قدماً في مسالك الطبيعة ومخبآتها وغوامضها ، بين تحقيق مستوى روحي عال للانسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق نفس الدرجة من التقدم والعلو الحضاري على المستوى المادي (المدني) .

ولم يفصل القرآن يوماً بين هذا وذاك .. انه ـ كعادته ـ يقف دائماً موقفاً شمولياً مترابطاً .. ويرفض الفصل والتقطيع والتجزيء في تقييم الموقف (الحضوي) أو الدعوة اليه .



التوازن المبدع

لقد انعكس هذا (التوحد) بين قيم الروح والمادة بوضوح كامل عبر مسيرة الحضارة الإسلامية التي قطعت القرون الطويلة وهي تحتفظ بتوازنها المبدع بين الطرفين .. وانجزت وابتكرت وكشفت ونفذت الكثير الكثير من المعطيات الحضارية التي لم تهمل جانباً من الجوانب المرتبطة جميعاً ارتباطاً متيناً بخلافة الانسان على الأرض ودوره الحضاري في العالم . وليس من داع لأن نشير هنا الى ان ما حققه ابناء هذه (الحضارة) التي استمدت منهجها من ١٢ ان الكريم نفسه ، في مجالات الطبيعة والفلك والرياضة والطب والعلوم التطبيقية وغيرها لا يقل في مستواه ـ كماً ونوعاً ـ عما انجزوه في ساحات العلوم والدراسات الانسانية ..

وعما تخلفوا به في مجال الروح والتعليد .. وما كان لها إلا أن تكون كذلك وهي تعمل في ظلال منهج حضاري متوازن غير منكر نلمسه بوضوح من خلال آيات عديدة عرضنا لبعض منها وهذا بعضها الآخر ، على سبيل المثال لا الحصر : (فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً . وعنباً وقضباً . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلباً . وفاكهة وأباً) (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ؟) (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟) (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً) (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) .

ان القرآن [illegible] الآيات [illegible] [illegible] ان يختار لنا موقفاً (تجريبياً) يعتمد العقل [illegible] النظر والفحص والتجريب من أجل الكشف والاستنتاج والابداع ، والتقليد من ثم ، ومن أجل ألا

تكف توازننا الحضاري لصالح جانب الروح أو الأخلاق وتهمل التكييف والتطوير الماديين اللازمين لأية حضارة متوازنة .. إن هنالك بداهة من أشد بداهات الإيمان أهمية (رغم شدة الظهور تكون أخفيتها في الكفه !!) ، تلك هي أن الله سبحانه ما دام قد (عبر) عن ابداعه وقدرته الفائقة على مستوى الروح والمادة ، الانسان والطبيعة ، فليست ثمة معنى أبداً لأي موقف يفترق عن المادة أو الطبيعة بالهروب أو الاحتقار أو السلبية أو الاستعلاء . إن هذا (الموقف) مهما كانت درجته ، غير مبرر في بداهات الإيمان ، ولا في مقتضيات استخلاف الانسان في الأرض ، ليس هذا فحسب ، بل انه يقف نقيضاً لهذه البداهات والمقتضيات ، ومن ثم فهو مرفوض في القرآن ابتداء .

حركة في قلب العالم

إن القرآن يوجه انظارنا في الآيات السابقة الى أشد الأمور مادية وثقلاً : النطفة ، النطفة الأولى ، الأرض والسماء والجبال ، والتي تمدنا النبات والحيوان ... ويدعونا لأن نسير تحدياً عن سنن هذه العوالم ، وادراكاً لابعاد خلقها المعجزة التي لا تتحقق الا لمراد كلية مطلقة لا يعجزها شيء .. إن القرآن يدعو الى (حضارة) (تنمو) و(تتقدم) على كل المستويات الروحية والاخلاقية



والطبيعية .. وهو يخصص المقاطع والآيات الطوال للمسألة الحضارية في مستواها الطبيعي ، المادي ، ولكن شرط أن تضبطها القيم والمقاييس الدينية الآتية من عند الله .

إن كل آية تتناول مسألة طبيعية أو حيوية أو مادية تنتهي بأفعال التقوى والإيمان وبالدعوة الى ربط آية فاعلية بالله .. وهذا التأكيد المتكرر له مغزاه الواضح .. إن منطق (التوازن الحركي) الذي يرفض الانحراف أو السكون ، هو القاعدة التي نتلمسها في القرآن الكريم بوضوح من خلال عدد كبير من آياته ، والتي تكفل نموا سليما لأية حضارة تستطيع أن تحافظ على نقطة التوازن بين تجربتي الروح والمادة ولا تنحرف بإتجاه احداهما ، مهملة الأخرى ، أو ضاغطة عليها ، مستخدمة إزاءها أساليب القمع والكبت والتجديد .. التوازن الذي يمكن الحضارة من الحركة لأن الأهداف التي يضعها أمامها تأخذ مستويات صاعدة لا يحدها أفق ولا يقف في طريقها تحديد صارم إنها تبدأ بتأمين متطلبات الحياة اليومية المباشرة .. وتتقدم ، بعد هذا ، صوب إعمال الفكر في قلب العالم للكشف عن نواميسه ، أو في آفاق الكون لإدراك سره المعجز ، هذه الفاعلية الفكرية التي ما لها من حدود تقف عندها ، حيث تشتعل دوما فتيلة الإيمان التي ما لها من نفاد ..

لا تناقض مع العقيدة

لو أن المسلم الجاد يشعر لحظة بأنه يقف في موقع رجعي أو ساكن لتخلى عنه توا لأنه لا يريد أن يناقض نفسه وعقيدته ، ولكنه يحس أنه يتحرك في قمة المسيرة التاريخية دائما .. لأنه تلبية لكلمة الله التي تقوده وتحدوه .. وكلمة الله ترفض ، أشد ما ترفض ، نزوع بعض الزعامات والقيادات والجماعات الى الوراء ، ومواقفهم الرجعية التي ترفض أية دعوة تسعى لكي يحتلوا مواقع في الأمام : (أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟) (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟) (وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا) (قالوا : أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد

لقد تحدث عشرات الوضعيين
من مفاهيم الحركة واتخذ
كل منهم موقفا إزاءها

آباؤنا؟) (قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (إن هذا إلا خلق الأولين) (وإنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون ، ولقد ضل أكثر الأولين) (بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون ؟)

من الذي يصنف الناس ؟

وهل غير الله سبحانه يقدر على تحديد مواقع الرجعية ، والسكون ، والتقدمية .. الله الذي يعلو على مواصفات الزمان والمكان النسبية ، ويستشرف بعلمه المحيط صيرورة الكون .. والتاريخ .. والطبيعة .. والحضارات ؟

لقد تحدث عشرات الوضعيين ، بل مئاتهم ، منذ عهد أرسطو وسقراط وأفلاطون .. وحتى عصر برغسون ، وديوي ، وتوينبي ، وسارتر .. تحدثوا عن مفاهيم الحركة .. وكل اتخذ موقفا إزاءها وحدد على ضوء موقفه ما هو رجعي ، وما هو ساكن (ستاتيكي) ، وما هو حركي تقدمي (ديناميكي) .. موقفا يختلف بدرجة أو أخرى عن مواقف الآخرين .. فمن منهم يا ترى يكون مصيبا ؟ ولماذا يكون إدعاء العلمية والصواب المطلق حكرا على هذا المفكر أو الفيلسوف .. أو ذاك .. ما داموا أنهم جميعا أعملوا عقولهم ، من خلال قدرات نسبية ومعرفة غير كاملة بالحقائق .. ثم أصدروا حكمهم بعد هذا :

ليس ثمة قول فصل في هذا المجال ..

كما هو الحال في أي من مجالات الفكر الوضعي فيما يسمى بدائرة العلوم الإنسانية والتي يحلو لرجالاتها ادعاء العلم المطلق ، وأن ما يطرحونه من فلسفات هو بمثابة كشف نهائي لسنن العالم والحياة .. على العكس من رجال العلم المختبري الذين علمتهم مناهج بحثهم (العلمية) حقا أن يتواضعوا فلا يقعوا في مظنة الإدعاء ... ونظرة في كتاب الكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول) وكتاب سوليفان (حدود العلم) تمنحنا حشدا من الشواهد على ما نقول

والمسلم الجاد يرفض وصاية أحد من الوضعيين ، ويرفض تصنيفهم للناس الى رجعيين وسكونيين وتقدميين ، كما يرفض تصنيفهم للحقائق والسنن والنواميس ، لأنهم كما يصفهم القرآن (إن يتبعون إلا الظن ... وما تهوى الأنفس) .

والمسلم الجاد ، الذكي ، مقتنع حتى آخر قطرة من دمه ، وأعمق خلية في دماغه ، أنه يختار بإسلامه أكثر المواقع حركية وتقدمية في مسيرة التاريخ ونواميس الكون وخرائطه .. وأن جهاده ، الذي هو بمثابة ثورة دائمة ، إنما هو ستراتيجية الحفاظ على هذا الموقع ، ودعوة الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها الى اختياره ..

الجهاد .. حركة صوب الإمام

والجهاد هو حركة المسلمين التقدمية الدائمة في العالم لإسقاط القيادات الجاهلية الضالة وإتاحة حرية الاعتقاد للإنسان حيثما كان هذا الإنسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء .. إنه ـ في الحقيقة ـ مبرر وجود الجماعة الإسلامية في كل زمان ومكان ، ومفتاح دورها في الأرض ، وهدفها العقيدي ، ومعامل توحيدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط المبرر ويضيع المفتاح ، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والإستمرارية والبقاء .. إن الجهاد ، كهدف إيماني حركي دائم ، أشبه بمعامل عقائدي ـ اجتماعي يشد أفراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ويوجههم صوب بؤرة واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى

الانسان المسلم هو التقدمي

اهداف ابعد فابعد ، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يجيء بمثابة ضمان اكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكها واستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة ..

وعلى العكس ، ما إن تفتر روح الجهاد في نفوس المسلمين ، افرادا وجماعات ، قيادات وقواعد ، حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدد اهدافهم ، وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطؤ فالسكون ، وتتساقط مواقعهم الامامية ، بدلا من ان يسددوا ضرباتهم الى القوى الجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية في العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية في الخطوط الخلفية .. وإن تاريخنا ليقدم لنا عشرات الامثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

التقدم الى اخر لحظة

إن الجهاد ، يقول الرسول المعلم عليه السلام (ماض الى يوم القيامة) .. فليس ثمة مبرر في الرؤية الاسلامية لاى توقف او رجوع الى الوراء .. وإن الابداع ماض هو الاخر الى يوم القيامة .. فلذا قامت الساعة ، يقول الرسول ـ ايضا ـ عليه السلام (وفي يد احدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها ، فليغرسها فله بذلك اجر) !! فليس ثمة توقف ، او استسلام ، او رجوع .. إنما هو الانطلاق ابدا الى الامام ، والى اخر لحظة ..

وما دام المسلم يلتزم طريق الله ، وقد لفتنا ببعض ابعاده ، فليس ثمة (رجعية) في الحسبان .. وإنها لكلمة باطلة هم قالوها ليدفعوا المسلم الى التشكك بسلامة الاتجاه حيث تنعدم الرؤية وتتفرق السبل ..

وصدق الله العظيم (.. انك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) .

د. عماد الدين خليل

● المرونة ، والاتزان العاطفي ، والقدرة على اتخاذ القرارات . اهم مكونات القيادة

● متطلبات الحياة تقتضي إعادة النظر في القديم وتشكيله من جديد بصورة معاصرة

● تنحية جانب المشكلة الماثلة تدفع القيادة المستوعبة الى ملاحظة مايجد من دراسات

الخبرات الادارية ؟ كيف تقتلع الهياكل الجامدة

د. حسن أبشر الطيب

لقد تعاظم دور الدولة في مجتمعنا الحديث بالقدر الذي جعلها السلطة المهيمنة والمنسقة لكافة وسائل الانتاج وكيانات الخدمات ، وهو دور تؤديه من خلال الاجهزة الفنية في الوزارات والمصالح ، وعبر الكيانات التنظيمية في الاقاليم والادارات المحلية .

إن بناء الدولة الحديثة وتحقيق سبل النمو والتطور فيها قد اصبح رهينا بفاعلية مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . لهذا كله فان السمة اللازمة والمميزة للدولة الحديثة هي انها دولة مؤسسات .

إن تنوع اساليب الحياة في مجتمعاتنا الحديثة وما استوجبه من تعدد اساليب الانتاج والخدمات ، اضافة الى معطيات التقدم التقني ، قد انعكس بطبيعة الحال على تكوين المؤسسات ، سواء كانت انتاجية أو خدمية ، فنجد لذلك ان فروع العمل فيها قد تشعبت وتعددت اساليبه واصبحت في كثير من الحالات تكوينا مركبا ومعقدا من الخلائط وعمليات الاتصال ، يضاف الى ذلك حقيقة ان جميع هذه المؤسسات تعمل في ظروف متغيرات عديدة في البيئة ، وهو تغيير دائم ومستمر لان متطلبات الحياة تقتضي دوما إعادة النظر في القديم وتشكيله من جديد لكي يتواءم مع مقتضيات النمو والتطور .

القيادة الموهوبة

إن اهمية المؤسسات في الدولة الحديثة والضرورة اللازمة لتحقيق فعاليتها في اطار ظروف التغيير المستمر تقودنا منطقيا الى القول بان اهم القدرات والكفاءات التي تحتاج اليها في مجتمعنا الحديث هي قدرات القيادات التنفيذية ذات الكفاءات العالية التي تستطيع ان تحقق لهذه المؤسسات فعاليتها وتتمكن من تأمين الاهداف المحددة لكل منها .

لقد بينا قبلا ان السمات الاساسية الواجبة في القيادات التنفيذية لادارة المؤسسات في الدولة الحديثة تختلف في جوهرها عن طبيعة القيادات التقليدية . بينما يعني مفهوم القيادة في المعنى التقليدي المهارات الشخصية ـ الموروثة والمكتسبة ـ المبنية على الموهبة وحسن تدبير المقلب وانتهاز الفرص ، فان القيادة في معناها العلمي الحديث تنبني على حقيقة ان العملية الادارية علم له اصول وقواعد ومبادىء . لهذا يصبح القائد التنفيذي شخصا لابد ان تتوافر فيه مؤهلات يكتسبها بالعلم والدراسة ومهارات يصقلها بالتدريب والمتابعة الذاتية للتجارب المتجددة والتجاهات ينميها بالانفتاح على كل النظم والاساليب التي اثبتت جدواها في تجارب مماثلة .

من هنا تنبع اهمية تنمية القيادات الادارية كعملية لها قواعدها واصولها واهدافها في اثراء وتوجيه نمو القيادات سواء اكان ذلك عن طريق برامج المدى القصير التي تفتح افاقا للقيادات الحالية لمواكبة التطور في النظم والعلوم الإدارية والسلوكية وتعينهم على التعرف والافادة من الوسائل والأساليب المتجددة ، او عن طريق برامج المدى الطويل للتنمية الادارية التي تركز على إعداد وتأهيل بعض افراد الادارة الوسطى للقيادة في اطار الظروف المرتقبة والمتوقعة بحكم ما تستوجبه مراحل التغيير والنمو والتطور .

التنمية الإدارية

إن التنمية الادارية في مفهومها المتكامل لا تقتصر على مجرد التدريب النظامي ، فهي عملية مستمرة ومتصلة تتكون من جوانب ثلاثة :



اولها : انتقاء الافراد الذين تتوفر فيهم بعض من الصفات والقدرات اللازمة للقيادة .

وثانيها : التدريب العملي الذي يثري المعرفة، ويكسب مهارات وخبرات جديدة ويهدف لتطوير السلوك وتنمية الاتجاهات .

وثالثها : التثقيف الذاتي الذي يحقق التغذية المستمرة بالنظم والمعارف والنظريات والأساليب المختلفة في العلوم الإدارية وما يتصل بها من المعارف .

ترتبط هذه العناصر الثلاثة المكونة للتنمية الادارية ارتباطا عضويا بالقدر الذي يجعل إغفال عنصر من العناصر الثلاثة عاملا مقوضا للنتائج الكلية المرتقبة من التنمية الإدارية .

القدرات العقلية

وينبغي ان يهدف جانب الانتقاء او الاختيار للافراد الى المقارنة والمفاضلة بينهم على ضوء المقومات النفسية والقدرات العقلية الواجبة في القيادة التنفيذية، وهي عملية اساسية لابد ان تؤخذ بالدقة والحيطة اللازمة الا ان اي خطا يتم فيها لايمكن تلافيه مستقبلا مهما تنوعت مناهج التدريب وتعددت اساليب التثقيف . إن من اهم المقومات النفسية والقدرات العقلية ، التي اتفقت حولها الدراسات النفسية والاجتماعية ، والتي يمكن ان نفيد منها كمؤشر لتوفر بعض المكونات الاساسية للقيادة السمات التالية :

- الاتزان العاطفي ونضج المشاعر النفسية .
- القدرة على التأثير الايجابي في الاخرين .
- المرونة في تقبل اراء الاخرين والاستعداد للاقتناع بالرأي الموضوعي .
- القدرة على التصور الكلي دون ضياع في الجزئيات .
- القدرة على تحليل الظواهر ، والتعرف على العوامل المكونة لها وتحديد البدائل لحلها .
- القدرة على اتخاذ القرارات .
- القدرة على الابتكار والخصب منبع الابداع .

الاختيار بالترقية

وعادة ما تمثل المستويات الوسيطة في المنشاة المصدر الأساسي لتغذية المناصب الادارية العليا بحكم ان كل المؤسسات تميل الى اختيار القيادات العليا من الداخل عن خلال الترقية .

إن من ابرز مزالق هذا الاتجاه التي ينبغي التحوط منها هو ان الترقية في كثير من الاحيان تتم على أساس الأقدمية . فاذا اخذنا هذا الاسلوب بحرفيته فاننا نجد ان كل من اكمل عددا معلوما من السنوات يصبح صاحب حق في الوصول الى المناصب القيادية العليا دون ان يثبت جدارة مبنية على بعض خصائص القيادة .

يضاف الى ذلك حقيقة ان مبدأ الترقية عادة ما ينبني على اساس كفاءة



الخبرات الادارية

الشخص في عمله الحالي وقد يكون عملا فنيا بحتا لا يمكن من اختبار مقدرات الشخص الاسلسية في القيادة ، فتكون نتيجة الترقية في بعض هذه الحالات ان يوضع الموظف في موضع حرج حيث ينقل من وظيفة اثبت فيها كفاءة الى وظيفة لايملك من متطلباتها الاساسية شيئا ، الامر الذى يقود الى احباطه وينتهي به الى العجز والفشل .

تحسبا لمثل هذه المزالق ينبغي ان تكون القيادة الاساسية في الترقية للمناصب الادارية العليا مبنية على الخصائص والمقومات الواجبة في تلك المناصب ، وليس على الكفاءة فيما دونها من وظائف ، وهو امر يستوجب بالضرورة نظرة فاحصة متأنية ومفاضلة بين الافراد على ضوء الخصائص النفسية والاجتماعية والفكرية وما يتصل بها من قدرات ومهارات واجبة في القيادة العليا .

تنمية القيم والاتجاهات

وكثيرا ما يتخذ بعض الدارسين من مصطلح «التدريب» ، معنى مرادفا لمصطلح «التنمية الادارية» ، وما حقيقة الامر كذلك ، إلا ان هذا الفهم يثبت من جانب آخر الأهمية القصوى «للتدريب» كجهد نظامي مكثف يهدف الى تنمية وتطوير كفاءة ومقدرات القيادات العليا . ينبغي أن يكون الهدف دائما من برامج التدريب للقيادات العليا هو تهيئة المناخ المناسب لهم للافادة من المبادىء والنظريات الحديثة في علم الادارة ، وتمكينهم من ممارسة الاساليب والنظم المتجددة في العمل على اسس تجريبية يعينهم على الانتقاء منها ما هو امثل لمواقف العمل المختلفة .

إضافة الى عونهم في استكشاف جوانب النقص والقصور في اتجاهاتهم وميولهم الحالية بالقدر الذى يحفزهم لتنمية قيم واتجاهات ايجابية . تحقيقا لهذه المكونات الاساسية في برامج التدريب للقيادات العليا فإن التخطيط لها يستوجب العناية الكاملة بالعناصر الثلاثة التالية :

● تنمية المعرفة واثراء المعلومات بفتح آفاق تمكن المتدرب من التعرف على النظريات والمبادىء العلمية الحديثة في علم الادارة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية المكملة لها ، اضافة الى المعلومات المتصلة بالعوامل البيئية (سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية) بالقدر الذى يعينه على الادراك المتكامل والتحليل الموضوعي للتغيير والتطور الذى يحدث في المجتمع ويزيد من قدرته في التفاعل معه تفاعلا ايجابيا هادفا .

● تنمية المهارات الواجبة في الوظائف القيادية وهي في جملتها تتبلور في القدرة على تحليل المشاكل واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها اضافة الى اكتشاف مهارات ادارية متخصصة في اساليب التخطيط وطرق التحليل وتبسيط الاجراءات ، كيفية تحديد معدلات الاداء ، والبرهان لاساليب والوسائل الحديثة التى ترقى من قدرته في ممارسة مهام الادارة .

● تنمية الاتجاهات الايجابية بفتح للمتدرب فرصة التعرف على مزايا اتجاهات مغايرة للاتجاهات التى عرفها وتعود عليها .. مثال ذلك ان يهدف التدريب الى تغيير اتجاه القيادي من تركيز السلطات في شخصه الى الاقتناع والممارسة الفعلية لمبادىء التفويض الاداري واساليب مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات .

الثقافة العامة

إن مزايا التنمية الادارية لاتكتمل ولاتتحقق الفائدة الكاملة منها إلا بتحقيق جهد مستمر ومنتظم لتوسيع دائرة اهتمام القائد الاداري بأكثر مما تستوجب مقتضيات العمل المماثلة .

من هنا تنبع اهمية الركن الثالث في عملية التنمية الادارية وهو جانب الثقافة العامة التى تحفز القيادة التنفيذية على متابعة ما يجرى حولها من احداث داخلية وخارجية وتدفعها للتزود من المعارف الانسانية على اختلافها وتنمى رغبتها في ملاحقة ما يجد من دراسات وبحوث وتجارب في مجال العلوم الادارية وما يتصل بها من معارف .

وبالرغم من ان جانب الثقافة العامة يعتمد على دوافع الفرد ورغبته الذاتية إلا ان المنشأة يمكن ان تسهم في هذا الجانب اسهاما فعالا بتوفيرها لادوات الثقافة وتشجيعها لكل ضرب من مناشط الثقافة الهادفة ومنها على سبيل المثال انشاء المكتبات العلمية ، عقد المؤتمرات الدورية والندوات العلمية ، ايفاد القادة لزيارة مؤسسات مماثلة ، تكليف مجموعات عمل من القياديين لاجراء دراسات وبحوث تستوجب في طبيعتها مشاركة تخصصات متعددة .

علم وفن

ويمكننا ان نخلص من دراستنا هذه الى القول بأن القيادة الادارية علم وفن .

علم في مناهجها المتكاملة المبنية على توظيف المبادىء والقواعد والنظم المحدثة في علوم الادارة وروافدها لبناء الاطر التنظيمية المتجددة التى تنمى وتعمق التناسق الداخلي والتعاون الطوعي بين الفروع الفنية ، وتحقق التفاعل الايجابي والتوازن الديناميكي مع البيئة ، وتجعل من كل العمليات والمناشط جهدا هادفا لتأمين الاهداف .

والقيادة فن في ممارستها واسلوبها الذى يبث الحياة في الهياكل الجامدة بابتداع سبل التأثير وابتكار نظم المشاركة الايجابية التى تجعل الافراد والجماعات في المنشأة كلا موحدا ، معتزا بحاضره ، منتميا اليه ، متطلعا للزيادة فيه بكل ما توفر له من امكانات .

إن القيادة الإدارية هي قطب الرحى في الفعالية الادارية وبدونها تصبح كل اجتهاداتنا في وضع الهياكل التنظيمية وتوفير الامكانات واستقطاب الوسائل التقنية جهدا مبددا وكما رائلا لا طائل منه .

ايمانا بهذا الدور الاساسي للقيادة فانه من الواجب اللازم ان تكون الاسبقية الأولى في كل مشروعاتنا الانمائية موجهة لانتقاء الكوادر القادرة من القادة الاداريين ، وان نوفر لهم من اساليب التنمية الادارية ما يصقل مهاراتهم

ويعمق اتجاهاتهم الايجابية وينمي فيهم الرغبة المتصلة لمواكبة الجديد من المبادىء والتجارب في العلوم الادارية وما يتصل بها من روافد .

حسن ابشر الطيب

- هل تؤثر المنتجات المحتوية على الفلور في طبقة الأوزان المحيطة بالأرض ؟
- الروابط بين العلماء على المستوى العالمي تخطت كل الحواجز
- مازالت الخبرة التكنولوجية غير موزعة توزيعا عادلا بين دول العالم

العلم و التكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل «٢»

نحو قدرات علمية عالية في عالمنا العربي

د . محمد كامل

استعرضنا في المقالين السابقين اهم التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة والمتوقعة في السنوات القليلة القادمة ونواصل في هذا المقال الحديث عن ثلاث موضوعات هي :—

اولا : زيادة الروابط بين العلماء على المستوى العالمي

ثانيا : اهم المشكلات التي يواجهها العلم والتكنولوجيا في عالمنا المعاصر .

ثالثا : دعم القدرات العلمية والتكنولوجية في بلدان العالم الثالث وخاصة في بلدان العالم العربي .

وبالنسبة للموضوع الأول يمكننا ان نقول ان الروابط تزداد بسرعة كبيرة بين العلماء في جميع انحاء العالم متخطية جميع الحواجز الجغرافية والسياسية وغيرها ويظهر ذلك بوضوح في انتشار المجلات والنشرات العلمية العالمية المتخصصة التي ينشر فيها العلماء من جميع انحاء العالم ابحاثهم ، كما يظهر ذلك جليا ايضا في الالاف المؤتمرات الدولية التي تعقد سنويا في مختلف انحاء العالم ويحضرها المتخصصون من جميع الجنسيات ، ولعل اكبر دليل على تحرك المجتمع العلمي العالمي نحو الترابط هو انشاء الجمعيات والمجالس العلمية العالمية التي من اهمها المجلس العالمي للاتحادات العلمية وهو عبارة عن هيئة يتبعها ١٨ اتحادا عالميا واكثر من ٦٠ اكاديمية ومجلس بحوث ، ويتبع هذه الاخيرة عدد من الجمعيات العلمية الوطنية . ومن اهم اهداف المجلس العالمي للاتحادات العلمية هو تشجيع النشاط العلمي العالمي لخدمة البشرية جمعاء . وتقوم اللجان التي تتبع الاتحاد بتبني عديد من المشروعات العلمية العالمية مثل البرنامج العالمي للبيولوجيا والبرنامج العالمي للبيئة وهكذا .

ويزداد عدد الهيئات والبرامج العلمية العالمية يوما بعد يوم .

المشاكل والتحديات

اما عن المشاكل التي يواجهها العلم والتكنولوجيا ، ففي الوقت الحاضر يواجه جميع البشر وبينهم العلماء مجموعة معقدة من المشاكل والتحديات يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين :

اولا : المشاكل التي حدثت في بيئة الانسان نتيجة التقدم .

ثانيا : تقسيم العالم الى دول صناعية متقدمة ودول نامية او ما يسمى بالتناقض بين الشمال والجنوب .

وفيما يتصل بمجموعة المشاكل التي حدثت في بيئة الانسان نتيجة للتقدم ربما كانت مشكلة سرعة استنزاف الموارد الطبيعية ومشاكل تلوث البيئة هي اخطر هذه المشاكل .

ولعل من اهم القضايا الحاحا امام العلم والتكنولوجيا في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب وخاصة في بلاد العالم النامي هي قضية توفير الغذاء

نحو قدرات علمية عالية

المناسب للاعداد المتزايدة من البشر مع عدم استنزاف الأرض الزراعية ومصادر المياه فى نفس الوقت . فمن المعروف أن مساحة اليابسة تبلغ ١٣٫٠ بليون فدان ربعها فقط أراضى قابلة للزراعة وربع آخر أراضى قابلة للرعى والنصف الآخر لا يصلح لا لهذا الغرض أو ذاك .

ومن الأرض القابلة للزراعة يستغل النصف حاليا أما النصف الآخر فهو لا يزال إما على شكل غابات أو أراضى جرداء أو صحارى تحتاج أساسا الى وجود مياه لريها .

أما بالنسبة لمشكلة المياه فكما هو معروف يخضع رصيد الماء لحصيلة الأمطار والتناقص كميته مع زيادة الإستهلاك وسوف يواجه العالم فى المستقبل القريب نقصا فى الغذاء والمياه ان لم يبادر المجتمع الحالى الى دراسة هذه الأمور وايجاد الحلول العلمية لها .

وقد ظهرت فعلا فى الوقت الحاضر بوادر النقص الشديد فى الغذاء الذى يكاد يصل الى حد المجاعة فى عدد من بلدان آسيا وافريقيا . إذ أن هناك حوالى ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية كما أن هناك ثلاثة أرباع المليون يموتون كل شهر نتيجة الأمراض الناشئة عن شرب المياه الملوثة فى بعض بلدان العالم الثالث .

كما أن من أخطر القضايا التى يواجهها العالم أيضا هو النقص الشديد فى الطاقة المتمثلة فى احتياطات البترول والغازات الطبيعية والفحم ومساقط المياه واحتياطات الوقود النووى كما سبق أن ذكرنا ويتضاعف الطلب على البترول والغازات الطبيعية مرة كل عشر سنوات ، أى بمعدل يزيد ثلاث مرات عن معدل النمو السكانى العالمى وعلى المجتمع العلمى والتكنولوجى أن يجابه هذه المشكلة وأن يجد الحلول المناسبة لها قبل نهاية هذا القرن .

الأرض فى خطر

إن النمو المطرد فى معدلات استخدامات المعادن والخامات الأخرى يمثل هو الآخر قضية أساسية مطروحة على العلماء والتكنولوجيين لايجاد بدائل للخامات التى ينضب معينها واستنباط مواد مصنعة جديدة .

إن تغيير معالم البيئة بل والاعتداء عليها أحيانا هى ظاهرة صاحبت النمو العمرانى فتحويل الغابات والأراضى الزراعية الى مدن ومبان ومنشآت وشوارع هى اعتداء صارخ على البيئة يحدث كل يوم فى أجزاء كثيرة من العالم وللأسف يمر دون انتباه كبير .

إن تلوث البيئة بمخلفات المدن والصناعة من غازات وسوائل ومواد صلبة أصبح مشكلة واقعة فى عدد من بلدان العالم الصناعى وبعض بلدان العالم النامى .

إن الانسان ظل مدة طويلة يعتقد أن الأراضى الفضاء والأنهار والبحار والمحيطات من سعة المجال التى تتلقى فيها مخلفات المدن والصناعة مستغلا فى ذلك نظرية التخفيف وقدرة البيئة على تمثيل ما هو قابل للتحلل والاستهلاك بواسطة الميكروبات والأحياء المائية وقد حان الوقت لكى يغير البشر مفاهيمهم كما حان الوقت لفرض الرقابة فى جميع انحاء العالم على مصادر التلوث سواء فى اليابسة أو فى البحار والمحيطات .

إن الزيادة التى تحدث فى نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الجو نتيجة حرق الكميات الهائلة من الوقود فى جميع انحاء العالم فى الوقت الذى تقطع فيه الغابات التى تمثل المصادر الأساسية لتمثيل هذا الغاز وما سوف يترتب على ذلك من تغيرات فى جو الأرض مثل احتمال زيادة الحرارة بضع درجات مئوية وما قد يسببه ذلك من تغير كمية الأمطار أصبح خطرا حقيقيا وموضع اهتمام العلماء وهناك فى الوقت الحاضر برنامجا علميا عالميا لرصد هذه الظاهرة .

ومن المشاكل المقلقة أيضا هو زيادة نسبة الغازات المسماة بالهيدروكربونات المحتوية على الفلور المستعملة فى جميع أنواع المنتجات المستعملة بالرش إما للتجميل أو للقضاء على الحشرات أو غير ذلك وتؤثر هذه الغازات تأثيرا ضارا على طبقة الأوزون المحيطة بالأرض .

البحث عن حلول

وعلى الرغم من ضخامة المشاكل والتحديات السابقة التى تجلبه البشرية جميعا ، فان هناك تفاؤلا عالميا بقدرة العلم والتكنولوجيا على حل هذه المشكلات . ويكفينا أن نذكر الجهود التى تبذل فى الوقت الحاضر فى البحوث الزراعية لزيادة الانتاجية وتقليل الخسائر فى المحصولات الزراعية وبحوث ترشيد استغلال الأراضى والمياه وحماية النبات والحيوان واستنباط أصناف جديدة ذات صفات ممتازة ، ولعل من البحوث العلمية الرائدة التى تجرى فى الوقت الحاضر لزيادة الغذاء هى البحوث التى سبق الاشارة اليها وتهدف الى زيادة تثبيت النتروجين الجوى بالطرق البيولوجية وزيادة قدرة النباتات على التمثيل الضوئى واستنباط وسائل جديدة للتحكم فى الصفات الوراثية للنباتات .

وفى مجال مجابهة مشاكل المياه ونقصها يقوم العلماء والتكنولوجيون فى الوقت الحاضر بتحسين الوسائل المعروفة لتحلية المياه المالحة بطرق أكثر بساطة والتصفية كطريقة التقطير والأزموز العكسى كما يقومون بتطوير تكنولوجيات الرى بالرش والتنقيط ومحاولة استخدام المياه المالحة فى الزراعة .

وللتغلب على مشاكل نقص المعادن سبق ان نوهنا الى الجهود التي تبذل حاليا بالبحث عن انواع جديدة من المواد تحل وقت اللزوم محل المواد التي سوف تنضب مصادرها وهكذا .

اما في مجال المحافظة على البيئة فالعمل قائم على قدم وساق وخاصة في الدول المتقدمة في اصدار التشريعات واجراء البحوث للمحافظة على التوازنات الطبيعية بين الانسان وبيئته وقد انشأت الهيئات العالمية والوطنية المختلفة للمحافظة على البيئة .

الفجوة الهائلة

على ان اخطر ما يجابه البشرية في الوقت الحاضر هو الفجوة التكنولوجية الهائلة الموجودة بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ، فالخبرة العلمية والتكنولوجية ليست موزعة توزيعا عادلا بين دول العالم المختلفة ، فاكثر من ٩٥ بالمئة من ميزانيات البحوث والتطوير واكثر من ٩٠ بالمئة من علماء العالم موجودون في الدول الصناعية الكبرى وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان والمانيا الغربية وفرنسا والمملكة المتحدة . وليت الأمر اقتصر على هذا بل ان هناك اتجاها متزايدا لتركيز القدرة التكنولوجية في عدد محدود من المؤسسات والشركات في هذه البلاد نفسها ، ويكفي على سبيل المثال ان نذكر ان حوالي ٥٠ مؤسسة عملاقة وبعض مؤسسات البحث العلمي الحكومية التي تعمل في مجالات الدفاع والفضاء والصحة تنفق وحدها حوالي ثلاثة ارباع ميزانية البحوث والتطوير في الولايات المتحدة الامريكية التي بلغت في عام ١٩٧٦ حوالي ٣٨٫٠٠٠ مليون دولار .

وقد ادى هذا الوضع غير المتكافىء الى ان عدة مئات من الافراد في الدول الصناعية الكبرى اصبحوا يملكون القرار فيما يتعلق بحصول هذا البلد او ذاك على هذه التكنولوجيا او غيرها وبأي شروط .

إن معظم الجهود العلمية والتكنولوجية في الدول الصناعية الكبرى موجهة في الوقت الحاضر إما الى انتاج الاسلحة او انتاج السلع الترفيهية غير الضرورية دون النظر الى المشاكل الحقيقية التي يجابهها العالم النامي ، فحوالي ٥٠ بالمئة من الجهد العلمي في العالم موجه لانتاج الاسلحة التي يصدر معظمها الى بلاد العالم الثالث ، وحوالي ثلثي الباقي موجه لزيادة استهلاك سلع غير ضرورية .

وفي حين ننفق في كل دقيقة حوالي ثلثي مليون دولار على الأسلحة هناك ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية ، ٨٠٠ مليون امي ، ١٥٠٠ مليون انسان محروم من الخدمات الصحية والطبية ، ٢٥٠ مليون طفل تحت سن ١٤ بلا مدارس في بلدان العالم الثالث في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

تدعيم القدرات

ان الدول العالم الثالث محتاجة الى التكنولوجيا لتنمية مجتمعاتها والتكنولوجيا موجودة عند الدول الصناعية الكبرى ، وقد ادى ذلك الى تحكم هذه الدول في الطاقة الانتاجية لدول العالم الثالث والحصول على المواد الخام منها بالشروط التي تفرضها وقد ادى هذا الوضع الى سيطرة الدول الصناعية على اسواق البلاد النامية واغراقها بمنتجات استهلاكية غير ضرورية .

إن العلاقات بين الدول الصناعية الكبرى والبلاد النامية او ما يسمى بمشكلة الشمال والجنوب اصبحت من اهم الموضوعات التي يدور حولها الحوار في الأمم المتحدة وكافة المستويات الدولية في الوقت الحاضر ، ومحور هذه المشكلة هو مشكلة انتقال التكنولوجيا والمعرفة التي اصبحت المصدر الوحيد للقوة بعد ان تمكنت بعض بلاد العالم الثالث وهي البلاد المنتجة للنفط من التحكم في رؤوس الأموال ، التي كانت الى عهد قريب وسيلة الضغط التي تستخدمها الدول المتقدمة للسيطرة على اسواق العالم الثالث .

وقد انعقد في فيينا في اغسطس من العام الماضي مؤتمر الامم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من اجل التنمية ، وكان من اهدافه الرئيسية مناقشة تدعيم القدرات العلمية والتكنولوجية لدول العالم الثالث .

وقد اجمع المجتمع العلمي والتكنولوجي الذي حضر المؤتمر انه لا بديل عن ان تقوم الدول النامية نفسها بتطوير قدراتها العلمية والتكنولوجية الذاتية بان تضع لنفسها سياسة وطنية للعلم والتكنولوجيا تحدد فيها الموضوعات حسب اهداف خطة التنمية لهذه الدولة . كما رأى الحاضرون في المؤتمر ان تقوم حكومات الدول النامية بتنشيط التعاون العلمي والتكنولوجي على المستويين الاقليمي والعالمي .

وقد اوصى المؤتمر بمجموعة من الاجراءات اللازمة لتعزيز القدرات العلمية والتكنولوجية ، مثل ضرورة ان يقوم كل بلد نام بانشاء هيئة وطنية او اكثر تقرر السياسة العلمية وتنفذها على ان تتمتع هذه الهيئة باعلى مستوى من الدعم الادبي والمالي وان تضم ممثلين لمختلف قطاعات المجتمع .

وفيما يتعلق بحرية انتقال التكنولوجيا رأى المؤتمر ان تقوم الدول المتقدمة بتشجيع مصدري التكنولوجيا فيها على الامتناع عن الممارسات التجارية المقيدة والمستغلة وان تساند منشآت وصناعة البلدان النامية للحصول على مزيد من المعلومات التكنولوجية والاطلاع على وثائق تسجيل الاختراعات .

وعلى المنظمات الدولية مساعدة ودعم هذه الانشطة واتخاذ التدابير المؤدية الى زيادة قدرة البلدان النامية في مجالات العلم والتكنولوجيا والى احتفاظها بالعقول القادرة والقوى العاملة الماهرة .

كما اتخذ المؤتمر مجموعة من التوصيات فيما يتعلق باعادة صياغة العلاقات العلمية والتكنولوجية الدولية وخاصة فيما يتعلق بحيازة التكنولوجيا ونقلها واعادة تنظيم الاعلام العلمي والتكنولوجي الدولي والاجراءات اللازمة لاعادة تنسيق العلاقات الدولية .

كما اوصى المجتمع العالمي بتعزيز دور منظمات الامم المتحدة في ميدان العلم والتكنولوجيا وتوفير موارد مالية متزايدة .

نحو قدرات علمية عالية

ولعل اخطر ما اتفق عليه هو :-

١- انشاء اللجنة الحكومية للعلم والتكنولوجيا من اجل التنمية تكون تابعة للجمعية العامة للامم المتحدة وترفع تقاريرها اليها من خلال المجلس الاقتصادى والاجتماعى بالامم المتحدة .

٢- انشاء جهاز دولى لتمويل انشطة العلم والتكنولوجيا تنفيذا لبرنامج العمل الحالى وقد تم الاتفاق على ان جملة الاسهامات التى تقدمها الدول المتقدمة خلال المرحلة ١٩٨٠ - ١٩٨١ لن تقل عن ٢٥٠ مليون دولار كل عام .

مازلنا فى المهد

وفيما يتعلق بعالمنا العربى تمثل مشكلة نقل التكنولوجيا احد اهم المشاكل التى تعوق انطلاق التنمية وتعتبر المنطقة العربية من اكبر المناطق فى العالم استيرادا للتكنولوجيا والسلع والخدمات . ويبلغ اجمالى استيراد المنطقة للسلع (اسلحة - مواد غذائية - مواد خام - وسائل نقل - سلع هندسية - ماكينات وغيرها) حوالى ٦٠٠٠٠ - ٨٠٠٠٠ مليون دولار سنويا وتتوسع السوق العربية عاما بعد عام .

فالدول العربية التى تمتد على مساحة شاسعة من المحيط الى الخليج يسكنها حوالى ١٥٠ مليونا من البشر يتزايدون بمعدلات تبلغ حوالى ٣ بالمئة وتعتبر الزراعة الحرفة الأولى بها اذ يعمل فيها نحو ٥٠ بالمئة من القوى العاملة العربية رغم انها لاتسد سوى ٥٠ بالمئة من الاستهلاك من الغذاء .

والصناعة فى دول العالم العربى لازالت فى مهدها ومعظم السلع الهندسية والصناعية تستورد رغم وجود عدد من الصناعات كالصناعات النسيجية ، وصناعة الاسمدة والحديد والصلب والبتروكيماويات وغيرها فى عدد من البلاد العربية والطريقة السائدة لنقل التكنولوجيا فى العالم العربى هى طريقة «ادارة المفتاح باليد» .

وفى رأينا انه قد ان الاوان لان تولى حكومات الدول العربية المختلفة الموضوعات المتصلة بالعلم والتكنولوجيا عناية خاصة حتى تستطيع ان تلحق بالركب العالمى فى هذا المضمار .

د . محمد كامل

متى ظهرت فنون وعلوم ومناهج الأدب العربى ؟

لايجوز محاكمة الأدب العربى بقوانين المذاهب الغربية

هناك خلاف عميق بين الأدبين : العربى والغربى

الأدب العربى ومقاييس المذاهب الغربية

أنور الجندى

لاريب ان الادب هو واحد من عناصر الفكر ، يستمد منه وجوده ويتحرك فى دائرته ويختص بالتعبير عن النفس الانسانية فى تركيبها القائم على عقيدة الامة التى يمثلها وثقافتها .

وادب اى امة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وهو عصارة مزاجها النفسى وطابع روحها ، وهو فى نفس الوقت مرتبط بهذه الامة : ارضها وسمائها وقيمها وتقاليدها واحداثها ومجتمعها ، فهو عصارة وجهة نظرها الى الحياة مستمدة من داخلها ومن هنا كان الاختلاف بين ادب امة وادب امة اخرى ولاريب ان الادب هو نتاج الفكر الاسلامى وعنصر من عناصره التى لا تنفك عنه ،

تمثل المزاج النفسي للعرب الذي شكل الإسلام ثقافتهم وعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم وكون طابعهم الروحي والنفسي

والأدب العربي : أدب أمة عريقة وأدب لغة عريقة تشكل في صورة كاملة بعد ظهور الإسلام الذي جمع العرب في الجزيرة العربية فكان عاملا في تحويل القبائل العربية الى أمة تامة . وبذلك يمكن القول بأن الأدب العربي قد تشكل في صورته الحقيقية بالإسلام، ولايمنع هذا من وجود (ديوان الشعر القديم) وما يتصل به من اسجاع الكهان وهي في مجموعها لاتشكل صورة الأدب بمفهومه الفني ولابمعالمه الأصيلة ، التي وضحت بعد نزول القرآن : الذي كان هوالعامل في بناء الأدب العربي الإسلامي وظهور فنونه وعلومه ومناهجه

أساليب النقد

واللغة العربية سابقة على الإسلام ، وهي عماد وجود الأمة العربية ، وهي لغة تطورت ونمت خلال مئات السنين حتى وصلت الى صورتها التي عرفت بها قبيل الإسلام وإن ظلت لها لهجاتها المتعددة فلما نزل القرآن الكريم انصهرت اللغة العربية في لهجة واحدة ثم كان أن أعطاها القرآن ـ كما أعطى الأدب العربي ـ هذا البيان المعجز الفائق الذي فهمه العرب وأعجبوا به وعجزوا في نفس الوقت عن الاتيان بمثله .

وفي مجال أدب اللغة العربية نجد الأمة العربية كانت مجموعة من القبائل التي لم تجتمع تحت أي لواء سوى الإسلام ولكنها كانت ذات قيم وتقاليد ولها طابعها الذي أورثه اياها مكانها في هذه الجزيرة شبه المنعزلة عن حضارتي عالمها:حضارتي الفرس والرومان : هذا الطابع البدوي الخالص الذي أهلها لتلقي رسالة انسانية كبرى كالإسلام فقد عصاها وجودها المنعزل عن أن تذوب في مفارق الحضارات وانحلالها ومكن لها من تنمية قيمها .

كل هذه العوامل أعطت أدب اللغة العربية ذاتية خاصة وطبيعة على نحو خاص يختلف به عن آداب الأمم الأخرى فظهرت فنون لم توجد في الآداب الأخرى واختفت فنون وجدت في الآداب الأخرى ، وظهور هذه الفنون فيه واختفاء تلك الأخرى منه لاينقص من قدره ما دام


أرسطو

يحس من أعماق روحه الطبيعية ومقوماته الخاصة .

ومن هنا فان هذا الأدب لا يعرض على مقاييس وضعت لآداب أخرى ، ذلك أن أساليب النقد والبحث إنما توضع للأدب بعد نشوء هذه الآداب ولذلك فهي مستمدة منها [illegible] .

ومن هنا [illegible] مذاهب [illegible] تحاول النقد بمحاكمة الأدب العربي عليها [illegible] مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها في الآداب الأوربية وهي في الحقيقة ليست مذاهب وإنما هي أسماء عصور : كالكلاسيكية والرومانتيكية وغيرها . وهي تتصل في مجموعها بتاريخ الأمم التي وضعت هذه المذاهب فلماذا نظل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذي يختلف من حيث تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذه الآداب ؟!

اختلاف المفاهيم

هذا من ناحية النقد ، أما من ناحية أصول الأدب نفسه : أصول الشعر والنثر والقصص والتراجم ، فهلا يخضع الأدب العربي لقواعد مستمدة من آداب تختلف عن الأدب العربي ، مزاجا وشكلا وطابعا .

وهل يمكن أن يقال أن هناك أصولا يضعها الأوربيون لتخضع لها الآداب في العالم كله ؟ وإذا قالوا هم ذلك فهل نقبل نحن ذلك ، والأدب العربي عريق الجذور وسابق لهذه الآداب كلها في النشأة والتكوين ؟ هل نقبل أن يخضع أدبنا لقواعد غريبة عنه ، بينما يشكل أدبنا بوجوده أربع عشر قرنا قواعد وقيما مستمدة من جوهره وطوابعه ؟

إن اختلاف المصادر والمنابع بين الأدب العربي والآداب الغربية تجعل من العسير خضوع الأدبين لمقاييس واحدة أو لقوانين واحدة . والمعروف أن الآداب الغربية جميعا تستمد مصادرها من الأدب الهلينى والفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية ، فقد اتجه الأدب الأوربي الحديث منذ أول ظهوره في عصر النهضة الى هذه المنابع وربط نفسه بها وجعلها أساسا ثابتا لمختلف وجهات نظره ومفاهيمه وقيمه .. واتخذ من النظرات التي قدمها أرسطو في الأدب والنقد والشعر وغيره أساسا له ، ولا ريب أن هذه الحصيلة التاريخية الضخمة وهذا التراث الاغريقي الروماني يقوم على أساس يختلف اختلافا واضحا عن الأساس الذي يقوم عليه الأدب العربي الذي استمد مصدره أساسا من القرآن الكريم والإسلام والقيم العربية الأصيلة التي تلاقت مع مفاهيم الإسلام وانصهرت معها ، ومن ثم كان ذلك الخلاف الواضح والتباين الكبير بين المشاعر والعواطف والأحاسيس في كلا الأدبين .

ولا شك أن هذا الاختلاف البعيد المدى في طبيعة البيئة وفي طبيعة النفس الانسانية وانعكاس هذه البيئة عليها يجعل من المستحيل التقاء أدبي العرب والغرب في وجهة واحدة ، أو مشاعر واحدة ومن ثم فانه من المستحيل أن يخضع كلا الأدبين الى قوانين واحدة ومناهج في الصياغة والنقد والبيان والمضمون واحدة .

العلماء الخمسة

هذا هو أهم أوجه الخلاف بين الأدبين العربي والغربي وهو خلاف عميق أشد العمق ، متصل بالنفس الانسانية باعثة الأدب ومنشئته ، ومن ثم فان خضوع الأدب العربي لقوانين وقواعد ونظم قامت أساسا في ضوء حصيلة الأدب الأوربي وفنونه أمر بالغ الخطر وبعيد الأثر .

الأدب العربي

هذا هو - التحدي الأول - الذي يواجه الأدب العربي في مطالع القرن الخامس عشر من حيث نرى تلك المحاولة الخطيرة لإخضاع الأدب العربي الى مذاهب سانت بيفي وتين وبرونتير مع ان هذه المذاهب قد صيغت لتقويم الأدب الغربي واستمدت مفاهيمها من الفلسفة المادية ونظريات فرويد للتحليل النفسي ونظريات دوركايم في علم الاجتماع .

وقد أشار ستانلي هايمن في كتابه (النقد الأدبي ومدارسه الحديثة) الى ان النقد الأدبي الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم : داروين وماركس وفريزر وفرويد ورلوي - اما داروين فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعي (اى ان داروين قد نظر الى الانسان على انه حيوان وطبق عليه علميا كل ما يطبق على الحيوان والحشرات) .

اما ماركس فهو الذى ذهب الى ان الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والإنتاجية لهذا العصر او ذاك . اما (فرويد) فهو الذى يرى أن الأدب تعبير مقنع ، وانه تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الأحلام . وان هذه المعتقدات تعمل حسب مبادىء معروفة وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعي وان بين الرغيب والرغبة في التعبير صراعا مستمرا .

اما (فريزر) فهو منقب الأفكار عن السحر البدائي والأسطورة البدائية وان هذه كلها تكمن في أساس أعلى المناهج والموارد الأدبية .

اما (ديوي) فهو يرى ان قراءة الأدب وكتابته ليست الا صورا لفعالية انسانية يمكن ان تقاس بأى فعالية اخرى وانها خاضعة للقوانين نفسها .

هذه المفاهيم التى قامت عليها نظرية نقد الأدب تكشف في وضوح عن الأساس المادى المغرق في المادة الذى تعتمد عليه والذى يتعارض تعارضا كاملا مع مختلف قيم الأدب العربي ومفاهيمه وأسسه حتى حين يتصل هذا الأدب بخطر إنحرافاته في مجال الغزل والكشف . وأخطر ما تحمله هذه المناهج هى إزدراء (الخلقية) الأدب واحتقارها والتخلى عنها .

مراحل وليست مذاهب

والمنهج الاجتماعي الذى كان ابرز المناهج في مجال النقد الأدبي انما يقوم على مفاهيم الفيلسوف دوركايم اليهودي الاصل والمادى النزعة . وقد استمدت نظريات تين وسانت بيف وبرونتير التى أغرقت نقد الأدب الغربي مفاهيمها من الفلسفة المادية الهرمية التى ترى ان الانسان بمواهبه ومعنوياته ان هو الا اثر من آثار البيئة والطاقة الاجتماعية الوراثية ولا يفترق عن الحيوان [illegible] في [illegible] الحياة وانعدام الارادة .

فهذه هى النظرة (تين) [illegible] العضلية والرذيلة ليستا الى حد كبير الانتاجا لعملية تلقائية مثل الاحماض والقلويات وانهما منتوجات مثل الزواج والسكر . هذا بالإضافة الى اثر نظرية المشئوم والتطور الواضح الاثر في هذه المذاهب الادبية والتى تنكر انسانية الانسان وارادته وقيمه الوجدانية والروحية وتشبيهه بالحيوان الذى لا حول له ولا قوة والتى تنظر إليه على انه شيء تافه جدا في الكون وانه تحت رحمة القوى المحيطة به ومن ثم فان الانسانية - عندها - ليست الا نتاجا عارضا للوراثة والبيئة .

ويرى اكثر الباحثين ان (تين) قد إشتط في اتجاهه المادى في مفهوم النقد الادبي الى ان اصبح من رواد الحتمية التاريخية او الجبر التاريخي وهذا هو المذهب الذى قدمه في الجامعة المصرية القديمة طينو وكارينوفا ، ولاريب ان هذه المذاهب في النقد الادبي تبدو معارضة لمفاهيم الادب العربي وقيمه معارضة كاملة ولا تصلح لان تكون منهجا يطبق على الادب العربي القديم او الحديث ، ومن ثم فان كثيرا من الاحكام التى صدرت على هذا الادب لم تكن صحيحة لانها اعتمدت في الاصل على مذهب لا يصلح تطبيقه على الادب العربي .

فكشف كثير من الادباء عن الخطأ البالغ في التملى مفهوم (الكلاسيكية) او (الرومانتيكية) او (الواقعية) كمذاهب يحكم على اساسها الادب العربي ، ذلك ان هذه الاسماء ليست في الحقيقة مذاهب بقدر ما هى مراحل تاريخية ظهرت في عصور متوالية وفقدت مكانتها واحدة بعد الاخرى ، واصبحت لمراحل اخرى جاءت بعدها نتيجة للتطور السياسي والاجتماعي في بلادها ، فلماذا نظل تحتل مكان الصدارة في الحكم على ادبنا العربي بينما يمكن للادب العربي ان يشكل مراحل ادبية ترتبط بتاريخه وتطوره السياسي والاجتماعي .

الأدب ودائرة الفكر

ومن القضايا الاساسية التى هى بمثابة التحدى مسألة حرية الادب واستقلاليته او تقرير مكانه من دائرة الفكر .

ولقد كان من اخطر المفاهيم الوافدة : الدعوة الى فصل الادب عن دائرة الفكر ، واعطائه الحرية المطلقة في التعبير دون الالتفات الى مسؤولية الادب في المجتمع والاسرة وعلاقته بالدين والقومية ، فاستغل الادب واندفع يشق طريقه الى مختلف قطاعات الفكر دون دليل واضح او دراسة عميقة ، فقد تطرق الادباء - وهم غير متخصصين - الى مجالات التاريخ والفلسفة والعقائد والاخلاق ليصدروا فيها احكاما جريئة مستمدة من نظرتهم الادبية الوجدانية

المتأثرة بمذاهب الغرب في الحرية والكشف والانطلاق .

وقد واجه هذا الاتجاه معارضة وردا في سبيل تحديد دائرة الأدب ودفع خطر التدخل بين دوائر النشاط العقلي المختلفة وكف عدوان بعضها عن بعض. وأشار كثير من الباحثين ومنهم فريد جري الى هذه المحاذير التي جاءت نتيجة تدخل الأدباء فيما ليس من اختصاصهم من المباحث الدينية .

الأدب المكشوف

لاريب ان ابرز ما يواجه الأدب العربي من تحديات هو مذهب «الفن للفن» .

هذا المذهب الوافد الذي حمل لواءه المستشرقون ودعاة التغريب والشعوبية ، وهو يهدف الى تحرير الأدب من طابع الأخلاق ودفعه الى تصوير الغرائز والأهواء في غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب ، ولقد بدا هذا الاتجاه بظواهر ثلاث :

(١) الافاضة في الحديث عن حياة بشار وابى نواس والضحاك وغيرهم من شعراء الاباحة في العصر العباسي ونشر الجوانب الشاذة من اخلاقياتهم واسمائهم.

(٢) ترجمة القصة الفرنسية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع الحسي في العلاقات الشاذة بين الرجل والمرأة وترجمة اشعار بودلير وغيره من شعراء الأدب المكشوف .

(٣) الاذاعة بمذهب حرية الأدب والدعوة اليه والدفاع عنه وفق منهج علمي زائف بدعوة انه منطلق انساني اصيل .

وقد لقيت نظرية حرية الأدب ومعارضة الأخلاق نقدا وتمحيصا شديدين. مصدره تعارضها مع طابع الأدب العربي أصلا . وكشف الباحثون المنصفون عن ان حرية ابى نواس وبشار وغيرهم لم يكن مصدرها الأدب العربي او مفاهيم الاسلام الاجتماعية وانما كان مصدرها تطلعاتهم الحسية واهدافهم الشعوبية التي ارادوا اذاعتها والجهر بها لهدم مقومات الأدب العربي الأصيلة واعلاء مفاهيم المجوسية والاباحية التي كان الأدب العربي قد تحرر منها بعد الاسلام .

وقد استغل بعض الكتاب في العصر الحديث هذه الأطروحات في سبيل

مذهب الفن للفن يهدف إلى تحرير الأدب من طابع الأخلاق تحت شعار حرية الأدب!

توهين القيم الاسلامية والقضاء على الأخلاق والتقاليد والأعراف الاسلامية حين يرون انها تعوق الفن وتحول دون ترقى الأدب . وقد دحض هذا المفهوم كثير من الباحثين وفي مقدمتهم الدكتور محمد احمد الغمراوي حين قال : إن الفطرة هنا مشتملها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجمعا على استحالة التناقض في الفطرة فما ثبت منه العلم [illegible] وجب الا يحقق او تناقض بين الفطرة ودين الاسلام في شيء .. فاذا خالفته في أصوله ووجدت صراحة ونصها التي ردته من امهات الرذائل التي جاء الدين لا يحجبها على الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح ، اذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا او في شيء غير هذا ، فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ، ودابرت الخير واخطأت الفطرة التي فطر الله عليها والتي تريد الفنون ان تكون منها في الصميم . فاذا كان من شان بعض من يعمل او يكتب باسم الفن والأدب ان يتجاوز في تاثيره مما سبق فيحول بين الانسان وبين ربه ويدخل عليه الشك في دينه باى صورة من الصور ولاى حد من الحدود ، كان ذلك البحث المعمول او المكتوب باسم الفن، او باسم الأدب زورا وافكا في الفن والأدب والفطرة والدين على السواء ، فالمسالة في الأدب ليست مسالة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها في صميمها مسالة روح : فريق يريد ان يجعل روح الأدب روحا شهوانيا بحتا يتمتع صاحبه

بما حرم الله وما احل ، لا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما تلقى من ذلك من لذة او الم او غيرهما من الوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على انه هو الأدب . وفريق يريد ان يحيا الحياة الفاضلة في حدودها الواسعة التي حدها الله ومظاهرها المختلفة في الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها ويريد ان يدنسها الانسان ، والمقياس الذى انتهينا إليه في الفن والأدب ليس من البعيد عن الفن والأدب بل هو من روح الفن والأدب في الصميم ، اليس روح الفن والأدب ،الجمال. اليس الجمال الفنى : روح الجمال الانساني .

المصادر الزائفة

ولا يزال من اشد التحديات التي تواجه الأدب العربي خطرا صالة المصادر والرأي في كتب المحاضرات والنوادر وما سجله الرواة والقصاصين من اخبار وهل تصلح كمصادر علمية يمكن الحكم عن طريقها على الامم والمجتمعات حكما صادقا لا شبهة فيه .

ومن اليقين الذي لا شك فيه ان كتب المحاضرات وروايات القصاصين ليست مصادر علمية صحيحة وإنما هي مراجع زائفة اعتمد عليها خصوم الأدب العربي والفكر الاسلامي من اجل ترويج اراء كاذبة مضللة . ذلك ان هذه المؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب حسب اصول العلم والبحث وإنما كتبت للتسلية والترويح وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والأحاجي والقصص الصادق والكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والأباطيل .

من هذه ما كتب اسحق بن ابراهيم الموصلي وابن خرداذبة والمروزى وابن المرزبان وكذلك ما كتبه ابو بكر الصولى الذى مات مستترا بالبصرة لأنه روى خبرا زائفا عن علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لقتله وله من الكتب كتاب الأوراق في اخبار الخلفاء والشعراء . ومن هذه الكتب ثمار القلوب للثعالبي فالثعالبي مهما علت منزلته في الأدب فليست له منزلة ما في فن الحديث ونقد رجال الرواية وهو اديب يحتب



الفكاهة ويروى النكتة . ومن هؤلاء الاصفهاني صاحب الاغاني الذي قال عنه النوبختي انه اكذب الناس لانه يدخل سوق الوراقين فيشترى منها كثيرا من الصحف ثم يحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها .

وقد ظلت هذه المؤلفات مجهولة ضائعة حتى جاء المستشرقون والمبشرون في العصور الاخيرة فكشفوا عنها واعادوا طبعها واذاعوها في العالم الاسلامي كله واخرجوا اغلبها في طبعات فاخرة واوغروا الى تابعيهم من دعاة التغريب الاشادة بها والنقل عنها واعتمادها مصدرا من مصادر التأليف .

وكان كتاب الاغاني من اخطر هذه الكتب التي حاول بعض الباحثين ان يجعلها من المصادر الاساسية للبحث الادبي بالرغم من ان العلماء الصادقين يرون بان هذه الكتب تقصد الى الفكاهة والتسلية فكيف تكون ميزانا يوزن به رجال التاريخ وتؤخذ منه تراجم العظماء

واعتمادا على كتاب الاغاني اصدر الدكتور طه حسين رأيه الذي قال ان القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون اعتمادا على شعر ابي نواس وبشار والضحاك وحماد عجرد بالرغم من ان هذا العصر كان حافلا بعشرات العلماء والباحثين والفقهاء ولا يمكن ان يحكم على عصر عن طريق قلة من هؤلاء المجان الذين كانوا معزولين عن مجتمعهم مكروهين لان المجتمع حافل بالبادر والورع والزهد والاحتشام .

وكيف يمكن ان يكون هؤلاء هم نموذج العصر حيثما يعيش في هذا المجتمع حسن البصري ومحمد بن ادريس الشافعي ومالك بن انس وابو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبد الله بن المبارك وربيعة الراي ورابعة العدوية وابن سيرين وعمرو بن عبيد والشعبي .

والاعتماد على كتاب الاغاني في استخلاص هذا الراي باطل : ذلك ان صاحب الاغاني يحدثنا في مقدمته بانه قصد من كتابه الى اللهو والتسلية قبل ان يقصد العلم والتاريخ ، اما شعر الماجنين وحياتهم فلا ينهضان دليلا على فساد عقيدة عصر واخلاقه .

• • •

هذا جانب من التحدي الذي يواجه الادب العربي في دراساته ونقده ومناهجه .

اما الادب العربي الحديث فان هناك تحديات اخرى تحتاج الى بحث خاص ذاتي اللقاء .

انور الجندي

النص استوفى ثروة لغوية هائلة

مجموعة من الحيوانات تتحاور ابرزها فرس وبغل معصوب العينين !!

بعد رسالة الغفران
رسالة الصاهل والشاحج للمعري ايضا

يوسف الشاروني

ترك لنا ابو العلاء المعري ثروة ادبية عظيمة وصلنا بعضها ولم يصل الينا بعضها الاخر . وهي ثروة متنوعة تبرهن على عبقرية هذا الاديب المفكر العربي وتتراوح بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي تتخلله فقرات نثرية والرسائل التي يغلب فيها الاسلوب التصويري على الاسلوب الوصفي التقريري .

ومن حسن حظ ادبنا العربي المعاصر ان توفرت ادبية كبيرة مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) على اثار ابي العلاء لتحققها وتنشرها وترفقها بدراسات عنها . ومن اخر ما اصدرته محققا من اثار ابي العلاء رسالته المعروفة باسم (الصاهل والشاحج) وهي موجهة من اديبنا الكبير الى (عزيز الدولة فاتك) والي حلب من قبل المصريين من سنة ٤٠٧ هـ حتى مقتله بقلعتها سنة ٤١٣ هـ وذلك في ايام الحاكم بامر الله ، وبعض ايام خلفه الظاهر .

وقد املى ابو العلاء المعري هذه الرسالة تحت ضغط الضاع من بني القيه لكي يوقع

مظلمتهم الى الوالى مثال ارض قاطنة لهم (ولن البغل الذى يكدح فيها انطقه الله تعالى بقدرته اجار مما يكابد فيها من عناء ونصب) غير ان الجباة وقعوا الى العزيز ان عليها مالا ينبغى إيداعه بيت المال . وقد أعلن أبو العلاء فى مقدمة رسالته انه تحرج من مكاتبة السيد (عزيز الدولة وتاج الملة) فى هذا الموضوع الهين ، وسأل بنى اخيه أن يعفوه من تجشم عناء هذا الحرج ولكنهم مازالوا به حتى استجاب لهم ، وفاء بما يجب لهم عليه من حق القربى والرحم واستحياء من تفانيهم فى خدمته ورعايته لهذا . ولأن أبا العلاء لايريد لرسالته أن تكون رسالة مما يكتب مثله الافراد العاديون ، فانه يتحين هذه الفرصة ـ كما لعل فى معظم رسائله لا سيما رسالة الغفران التى كتبها بعد هذه الرسالة بخمسة عشر عاما ـ ليجعل منها عملا فنيا يقوم على أساس حوار بين مجموعة من الحيوانات أبرزها بغل الشاحج معصوب العينين وفرس (الصاهل) يترجل عنه فارسه ليرد الماء ويأخذ بعض الراحة قبل مواصلة السفر ويشترك فى الحوار الحيوانى الحمامة (الفاختة) والجمل (أبو أيوب) والثعلب (ثعالة) والضبع (أم عامر) . ومن حوار هذه الحيوانات نفهم أن مكان حلب ليسوا فى حالة عادية . فقد وقع خلاف بين الحاكم بأمر الله السلطان الفاطمى بالقاهرة وعزيز الدولة واليه فى حلب الذى ضرب الدينار والدرهم باسمه داعيا لنفسه على المنابر فأعد له الحاكم الجيوش لطرده من حلب عام ٤١١ هـ . فما كان من عزيز الدولة الا أن اتفق مع باسيل ملك الروم ليسلم اليه حلب فلبى باسيل الدعوة حتى اذا وصل الى موضع يعرف بمرج الديباج ، كان قد بلغ عزيز الدولة مقتل الحاكم ، فأرسل الى باسيل يخبره أنه نقض ما بينهما من شروط، فعدل باسيل عما هم به .

وكان الناس قد ابتلوا من خروج ملك الروم الى حلب . فكانت هذه الحقبة تسمى (جفلة عزيز الدولة) لانها بسببه . ومما يدور بين الحيوانات من حوار نفهم ما كان يدور بين الناس من مخاوف ومن أنباء متضاربة .

أما بقية القصة كما يرويها المؤرخون فان عزيز الدولة اطمأن بموت الحاكم وضاعف من طمأنينته ما أظهره له خلفه الظاهر من رضى . غير أنه سرعان ما تبين أن كل ذلك كان مجرد خدعة حتى لا يسلم عزيز الدولة حلب الى الروم . فقد حرضت ست الملك أخت الحاكم عمة الظاهر غلاما هنديا يدعى



(تيزون) دخل على عزيز الدولة وهو نائم فى أول الليل بقلعة حلب ، وفى يده سيف مجرد مستور فى كمه ، ضرب به عزيز الدولة فقتله عام ٤١٣ هـ .

تلك هى الخلفية التاريخية لرسالة الصاهل والشاحج . أما الرسالة نفسها فان الدكتورة عائشة عبد الرحمن تعلن فى مقدمتها أنها قصة مترابطة الفصول والمشاهد ، وهى لا تروى بطريق الحكاية والسرد وسوق العبرة وضرب المثل ، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والاخراج المسرحى بمناظر متحركة وحيوية وكأنما قصد تمثيلها لتؤديها شخوص من النهاية .

والواقع أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن تعيد النظر المشكورة فى تراثنا على ضوء مفاهيمنا المعاصرة ، فتحاول أن تبرز العناصر المسرحية فى هذا التراث من حوار وتشخيص وان لم يكن مسرحا بالمعنى المعاصر . والواقع أن العنصر القصصى والمسرحى موجود فى كثير من رسائل أبى العلاء المعرى ، لكنه يتسرب فى باطن الرسائل كائنا فى خفية ، وقد يطفو لحظات من حين لآخر ، لكنه يعود ويختفى تحت ركام الشعر والساجلات والالغاز اللغوية .

الخيط القصصى فى الرسالة

فرسالة الصاهل والشاحج تبدأ بتحية أبى العلاء الى السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الامراء أعز الله نصره . ثم يعتذر عن مكاتبته فى شكوى بنى أخيه . ويختفى أبو العلاء بعد هذا المشهد . ويسمع الشاحج المعصوب العينين (البغل) صهيل فرس يترجل عنه فارسه ليرد الماء قبل متابعة السفر ويبدأ الحوار بقدرة الله تعالى بين الصاهل والشاحج الذى لا يكاد يسمع أن الصاهل

فى طريقه من مصر الى حلب حتى يلتمس من عالمه أن يرفع له شكوى منظومة الى الحضرة العالية بحلب . ويستنكر الصاهل خؤولته للشاحج قائلا له : أغرك أن جاهلا من القوم كان يدعو أمك فرسا ؟ ثم يذكر إذلال بنى آدم للبغال والبهائم . كالابل والبقر والثيران وذوات الجناح والضب واليربوع وبنات اللجة (أى الحيتان) والنحل . مما يذكرنا على الفور بشكوى الحيوان من جور الانسان فى رسالة الحيوان لاخوان الصفا التى كتبت فى القرن الرابع الهجرى نفسه الذى أنشأ فيه أبو العلاء رسالته ، مما يدل على أن انطاق الحيوان لغة الانسان وان كان لونا أدبيا معروفا من قبل ، الا أن انطاقه بالشكوى من ظلم الانسان كان هو الجديد الشائع ـ فيما يبدو ـ فى أدب هذا القرن ويدافع الشاحج عن خؤولته وامكان نظمه الشعر ، فيطلب الصاهل حكما بينهما ويقترح لذلك الحمامة (الفاختة) . غير أن الشاحج يرفض تحكيم الفاختة التى يضرب بها المثل فى الكذب ويقترح أن يكون الحكم إلا وردت الماء . وينتصر الصاهل للفاختة بينما ينتصر الشاحج للبعير .

وتسمع الفاختة الحوار فتوقع بين الجمل والشاحج وتثيره حتى يتهجم على الشاحج ويتوعد ، فلا يكون من الشاحج الا أن يسفهه ويدعو عليه ويكشف له عن وقيعة الفاختة ويقترح التكفير عن ذنبه أنه يحمل رسالة نثرية الى عزيز الدولة . ويرحب أبو أيوب (الجمل) بهذه المهمة ، فيلقى اليه الشاحج نص الرسالة منبها الى ما فيها من ألغاز وتورية قصد اليها ، غير أن أبا أيوب لا يفهم الرسالة ويستحمق الشاحج ، فلا يكون من الشاحج الا أن يحل ألغاز رسالته ، فيعلق أبو أيوب على ما سمع من شرح باستبعاده أن يفهم عزيز الدولة منطق البهائم ! فييأس الشاحج من أبى أيوب ويتفنن فى الدعاء عليه بالتورية والالغاز ، ثم يحل ألغاز دعواته على أبى أيوب .

وترد أم عامر (الضبع) فثعالة (الثعلب) الماء وبينما يهزأ الشاحج بأم عامر فانه يثنى على ثعالة ، واذا بضجة تقطع الحوار فيطلب الشاحج القيد المعصوب العينين من الثعلب أن يستكشف جلية الأمر ويعود الثعلب من جولاته ليعلن أن العامة يرددون أن زعيم الروم فى طريقه الى أرض المسلمين . وأن عزيز الدولة أرسل الى الطاغية الرومى يطلب منه الكف عن الغزو ولكنه لم يتلق الجواب ، وأنه أرسل اليه هدية دالة بالرغبة وحقنا للدماء . ثم يروى الثعلب

الصاهل والشاحج

حفلة النامي وما يحتمل أن يحدث أثناء هجرتهم ديارهم خوف الغزو . كيف يكون تصرف المرضى وأصحاب العاهات والنساء والتجار وأصحاب الحرف والأمهات والطفالهن والأتباع ... الخ ويصف ارتياب الشركاء في المتاجر والأملاك وتشاجرهم ، كما يردد أراجيف العدو بأن عزيز الدولة قليل العدد وقلعة حلب معقل المسلمين . وأن العدو شيمته الغدر وأن ملكهم يافع مريض مصاب بالشيخوخة قلسق فاجر .

ويفترق ثعالة والشاحج ويلتقيان بعد شهرين فيصف الشاحج لثعالة ما يتصوره من حالة المهاجرين من البلد في العودة الى ديارهم باستخدام النكت ... بينما يقص ثعالة ما جد من أخبار استعداد العدو للحرب، فاحتمال الغزو قائم ، مع التنبؤ بهزيمته ، كل ذلك بنكت عروضية وتوقع النصر عليه بالفال والطيرة باسماء بلدان الشام ورياحها وثماره وأسماء أصحاب الطاغية . ثم تروى مختلف الاشاعات ومنها خروج المتطوعين للقتال ، خروج قائد رومي خطير على الطاغيه ، الطاغيه يصرح بعزمه على الاستيلاء على بلاد المسلمين بالشام ، هدية من الملك الروم الى عزيز الدولة رغبة في المسالمة ، عزيز الدولة يأمر بحفر خندق حول حلب ، غضب عزيز الدولة على القائد مضيء الدولة لكلام هذى به بعض ولده في مجلس شراب ، رسالة يقسم على براءة مضيء الدولة من تهمة الخيانة .

ثم يتحدث عن فروسية السلطان بل وعن نظره في العروض الخليل (وهذه قريبة من الأولى في العجب - الملوك وقد شغلوا عن العروض . فما بال النظر في العروض) .

ويختتم أبو العلاء رسالته بقوله أن الماء غرق من احسان الحضرة العالية فأراد أن يميله فأعداه بالغرق . فاستعمل أفواه الحيوان ، ليدوم شكرها في كل أوان .

وقصص الحيوان عند أبو العلاء نجدها في كثير من مؤلفاته مثل (رسالة الهناء) و(القصر والغابك) و(القائف) التي لم يصل الينا ولكن [illegible] في كتاب (احكام صنعة الكلام) للكلاعي وقصص الحيوان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحيوان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (الصاهل والشاحج) فهي رسالة واحدة [illegible] [illegible] الحيوان عن الانسان .

الجانب اللغوي في الرسالة

والجانب اللغوي في الرسالة يوازن الجانب القصصي (أو الدرامي طبقاً لوجهة نظر الدكتورة عائشة عبد الرحمن) بل لعله يغلب عليه في كثير من الأحيان فيطول حوار احدى الشخصيات عشرات الصفحات حتى نكاد ننسى الخيط القصصي أو الدرامي ، ويبدو كأنما أهم ما في الرسالة هو الالغاز اللغوية والتورية والنكت العروضية ، وهو أسلوب مألوف لدى ابي العلاء المعري في معظم رسائله يستعرض فيها عبقريته وذاكرته الفذة . وقد قابلت في جامعة امستردام بهولندا المستشرق بيتر سميور الذي يعد رسالة للدكتوراة عن الالغاز في رسالة الصاهل والشاحج . والواقع أنه لو استطاع أن يستوضح هذه الألغاز فسيفهم من لغتنا مالا يفهمه كثير من الناطقين بها .

ذلك لأن هذه الرسالة القيمة قد استوعبت ثروة لغوية هائلة ، وقد قامت بنت الشاطيء بمجهود - ليس غريباً عليها في تحقيقاتها السابقة - في تشكيل الالفاظ وشرح كثير منها والتاريخ للأعلام .

ونحن نأمل مع الدكتوره عائشه عبد الرحمن من ناحية أن تتاح الفرصة لتجريد النص مما يتخلله من الغاز بجهوده ونكت عروضية بالغة الدقة ، لتقدم منه نسخة ميسرة لجمهور القراء في الوطن العربي . لكننا من ناحية أخرى يمكن أن نستفيد من رسالة مثل رسالة الصاهل والشاحج عند تأليف قواميسنا اللغوية ، بل نستخرج قاموسا خاصا بما أورده أبو العلاء المعري من الفاظ على لسان حيوانه وشروحها وما استشهد به تأييداً لهذا الشرح ، سواء في هذه الرسالة والرسائل العلائية الأخرى .

يوسف الشاروني

ضغوط الحياة الزوجية على المرأة العاملة

ربما كانت المرأة في بلدان العالم الصناعي قد حققت بعض المساواة التي ظلت تنادي وتطالب بها .. أمام القانون ، ولكن ليس بالضرورة في نظر زوجها أو اصدقائها من الرجال .

ففي الاجتماع السنوي للاتحاد الكندي للأطباء النفسانيين ، قالت الدكتورة جوديث جولد أستاذة الطب النفساني بجامعة دالهوس بهاليفاكس إن الرجال مازالوا يواصلون تقليلهم من شأن وجهود زوجاتهم .. وما حققنه ، مما أورث الزوجات العاملات شعوراً بالجرم



والبلد في أنفسهن ، وبالتالي صار التردد ديدنهن وخاصة بالنسبة للمطالبة بالمزيد من الاستقلال . فاذا كانت إحداهن قوية في عزمها على فرض نفسها وسبيلها ، فان غضبها وشعورها بالاحباط والشلل قد يؤدى بها الى الامتلاء بعقد نفسية تدفع بها الى البحث عن العلاج المهني النفساني .

وتقترح الدكتورة جوديث أن بداية الحل لهذه المشكلة هو أن تكون العائلة متفهمة لظروف المرأة العاملة ، ومقدرة بشكل أكبر للمساواة بين الجنسين . واعترفت بأن المساواة لايمكن فرضها بقوة القانون ، لأن كثيراً من القناعات والمواقف الراسخة في الأذهان والسلوك لا يمكن تغييرها بمجرد سن قانون جديد

(مقطوعة من ملحمة القسام التي يعدها الشاعر للنشر)

يا وطني
يا وطني



شعر : ناهض الريس

يا أقصى .. يا قبلتنا الأولى
يا قبلة رب الكون على جبهة أرض باركها
جبلا .. سهلا
امرأة .. رجلا
يا معراج رسول الله الى الملا الأعلى
أعطيك دمي
في مصباحك للساهر فوق صحائفه
يتلو آيات النور
بيانا كالصبح وبشرى كالنسخ
يا أقصى .. يا علمي
افسح لي في صدرك يوم الجمعة موطيء قدم
ها أنا جئت اليك
تسابق روحي قدمي
ويسابق سيفي قلمي
ها أنا جئت اليك
فجاج الأرض دروب نحوك
كل العالم يدفعني
يا وطني
افسح لي في صدرك مأوى يدفئني
أو مثوى يدفنني
يا ثديا أرضعني
ورفيقا لاعبني
وحبيبا عانقني
يا روحي .. يا بدني
يا وطني .. يا وطني

* * *

دع من أزهارك زهرا مياسا
يتغلل وجهي
في لحظات الخطر
حتى أضحك بحنان من هذا الطفل اللاهي
دع من بحرك موجا وشواشا
ينشد أهزوجته الأبدية
في ساعة نومي !
حتى أحلم أني والشمس أنام على مهد
يا وطني :

ما شمسك كالشمس
ولا نجمك كالنجم
ولا قمحك كالقمح
ولا صبحك كالصبح
ولا بحرك كالبحر
ولا زهرك كالزهر
أناديك بصوتي وبصمتي
بحياتي وبموتي
يا وطني .. يا وطني

نعمان عاشور

محمود حسن إسماعيل
وشاعرية الشموخ

تميزت الفترة التي أعقبت وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ وقيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بصراع سياسي عنيف داخل مصر ... خاصة بعد وقوع الأزمة الاقتصادية الطاحنة في أوائل الثلاثينات وكان الصراع يتمثل أساسا في ارتكان الأحزاب السياسية على الطلبة ، وكان صراع مظاهرات وهتافات طلابية دخلت السراي الملكية الى ساحته بدعم من سيطرة الاحتلال الانجليزي مرتكنة على العديد من المحترفين السياسيين في تكوين أحزاب سياسية متتابعة تسعى جميعها الى دحر حزب الوفد وهو حزب الأغلبية التي قامت على اكتافه ثورة ١٩١٩ ، فتبلورت حصيلة هذا الصراع بعد محاولات الغاء الدستور واهدار الحياة النيابية من جانب أحزاب الأقلية التي تشكلها السراي وتحميها السلطة الانجليزية المهيمنة على شئون الأمن الداخلي والدفاع الخارجي .. تبلورت فيما عرف بالفورة الطلابية عام ١٩٣٦ والتي أدت الى سقوط الآخرين الكثيرين شهداء من طلبة الجامعة والمعاهد وكانت هناك جامعة واحدة هي جامعة القاهرة الحالية وكان اسمها جامعة فؤاد الأول ..

في هذا العام بالذات كان شاعرنا محمود حسن اسماعيل قد تخرج من مدرسة دار العلوم (حاليا كلية دار العلوم) وكانت تقع في حي المنيرة حيث تقوم معظم دور الأحزاب السياسية وجرائدها .. وقد برز محمود حسن اسماعيل أول ما برز كشاعر سياسي فتجلت مقدرته وسطع نجمه في هذه الساحة .. ساحة « الدراعمة » كما كان يسميهم طه حسين .. فكان صوته القوي صوت معبر عن هذه الفورة وشهدائها من الطلاب .. بعدها مباشرة احتضنه حزب الأحرار الدستوريين وكان من أحزاب الأقلية يمثل كبار ملاك الأراضي ويعمل لحساب السراي ويرأسه محمد محمود باشا الذي أعجب بشاعريته فاجتذبه الى صفوف الحزب وفرض حمايته عليه ورعايته له على الأسلوب الارستقراطي الذي اتبعه أمراء أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في احتضانهم النوابغ من الأدباء والموسيقيين والمفكرين ..

موهبة الالقاء

كانت الميزة الكبرى لمحمود حسن اسماعيل الى جانب موهبته الشاعرية هي قدرته الفائقة على القاء الشعر .. استمعت اليه وأنا طالب في الثانوية يلقي احدى قصائده في حفل كبير داخل خيمة أقيمت في فناء مدرسة دار العلوم وكانت هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بذكرى الشهداء وفي مرحلة غلبت عليها الخطابة اذ لم تكن هناك ميكروفونات ولا مسجلات .. ليلتها خرج الناس جميعا أمام براعته في الالقاء وجمال الأبيات التي ألقاها من شعره يؤكدون ميلاد شاعر جديد سيخلف شوقي ان لم يفقه ، وبعدها الحقوه بأعلى الوظائف وظل موضع اعجاب هؤلاء السياسيين الذين ضموه الى صفوفهم حتى أصبح بمثابة شاعرهم الخاص .. فلما خفت حدة الصراع الحزبي انزوى في الوظيفة أو بالأحرى كما فسرها لي بنفسه بعد ذلك .. هرب

كان يفخر دائماً بأنه فلاح وصعيدي .. أي رجل محافظ وعنيد
منذ البداية أدرك أنه ينبغي أن يكون صاحب شخصية أدبية متميزة
كان متقدماً في تفكيره متحرراً في نظرته واسع الأفق في تطلعاته السياسية
ولد فقيراً ومات بعيداً عن أهله وناسه خوفاً من الحاجة
طفرة بارزة في شعرنا الحديث وتمهيد لكافة فروع الشعر من بعده

من الاضواء السياسية لانه لم يكن له طاقة عليها وعاد الى حيث الارض والطين والقرية الصعيدية التي نشأ فيها ليخرج لنا أروع دواوينه من الشعر .. «اغاني الكوخ» ثم «هكذا اغني» ومن هنا كانت البداية الحقيقية لمحمود حسن اسماعيل .

شخصية مستقلة

كان محمود حسن اسماعيل يفخر دائما بانه فلاح وصعيدي اي رجل محافظ وعنيد . وكان في تلك الفترة يهيم بحب الارض ويعشق اهل القرية ويتدله في اعزازه لهم .. ولهذا كانت تصرفاته تتسم بالحذر والدقة في معاملته لاهل المدينة التي فرضت عليه ظروف حياته ان يعيش بينهم .. ولهذا ايضا لم يكن يصطفي من الاصدقاء الا من يطمئن الى انهم مثله اميل الى التحلل من التزمت المدني واقرب الى التصرف التلقائي الطبيعي الذي يتسم به اهل الريف . وقد كان كثير المعارف ولكنه قليل الاصدقاء وهذه الطباع الشخصية التي كان يغلف بها نفسه لم يكن مصدرها فقط نشأته والبيئة التي عاش فيها .. وانما كان مصدرها ايضا شاعريته ذاتها .. لانه منذ البداية كان شديد الاعتداد بموهبته ويدرك ادراكا تاما بحكم مكوناته النفسية والثقافية بل وبحكم التجربة القاسية والممارسة الحية انه صاحب شخصية او يجب ان يكون صاحب شخصية ادبية مستقلة .. ولعل بروزه المفاجىء من مبدأ شبابه كشاعر كبير واصيل كان هو الذي غرس في داخليته هذه الاستقلالية ..

ربطتنا صداقة متصلة في سني حياته الاخيرة وبحكم جيرتنا في السكن فكان يشوقني دائما ان انبش في داخليته على مدار جلساتنا التي كانت تمتد احيانا حتى الصباح ونحن جلوس على حافة النهر الخالد . كان يسمح طويلا وهو يحدثني عن نظرته الى الحياة ورأيه في السياسة وفهمه لتيار التاريخ والقياس الى ماضينا الحضاري . والحق انني كثيرا ما كنت اتعجب لبعض آرائه ونظراته .. فالرجل على عكس ما كان يبدو منه في لقاءاته مع الناس . كان متقدما في تفكيره متحررا في نظرته واسع الافق في تطلعاته السياسية والاجتماعية فلما اظهر له بعض التعجب مما كنت احاوره فيه وخاصة ديوانه «الملك» الذي جمع فيه قصائده او على الاصح مدائحه لفاروق .. كان يردني دائما الى شعره .. «لا يهم ما قد ادخلته من تجديدات وقوالب شعرية جديدة ولكن موضوع اشعاري دائما كان مناطه الحرية .. انا رجل ثائر انتصر دائما للضعفاء والمقهورين» .

والحق اننا اذا رجعنا الى ديوانه الاول «اغاني الكوخ» او حتى ديوانه السادس «لابد» لما عجزنا عن تبين نفس النظرة كامنة في اشعاره وانا ما تغنيت الا بصفة الضعفاء .. خذ مثلا ما قلته عن الفلاح في اغاني الكوخ .. وفي صدر شبابي .

شهدته يزرو دخان الأسى
والوجد في كانونه ساهر
تبكي سواقي الحقل اشجانه
ومـا بكـاه مرة شـاعر
فـانت يزرع الليل اكتافه
وما رعاه البلد القـاهر

الحافظة القوية

كان محمود حسن اسماعيل من اكثر الشعراء حفظا لاشعارهم ولهذا لم يكن اسهل عنده من استحضار قصائده كاملة ليعيد تلاوتها في جلسة واحدة .. ولذلك لم يستعص عليه ان يلاحقني «ليس في صدر شبابي فقط .. بل وفي اوج كهولتي » وراح يتلو على الكثير من قصائده في احدث دواوينه وفيها يتغنى بالمطحونين .. ولم يتردد في ان يسمي القصيدة بقصيدة الفقراء ويقول في مطلع ابياتها :

من هؤلاء ...
هم الذين تبرجت اعراض كل منعم بعذابهم
من هؤلاء ...
هم الذين تكامت
للظلم شاهقه بذل رقابهم ...

والحق انه كان شديد الحساسية من هذه الناحية لانه ولد فقيرا .. ومات بعيدا عن اهله وناسه خوفا من الحاجة .

في اسر الوظيفة

نشأة محمود حسن اسماعيل لعبت دورا كبيرا في تكوينه لانه ظل دائما يحن الى منبته الريفي .. ولذلك كان الطابع الريفي الصميم يغلب على

محمود حسن إسماعيل

طريقته في الكلام ولهجته في النطق مع انه امضى طوال عمره في المدينة وداخل المكاتب والدواوين الحكومية !! كان أول احتكاكي به وهو في الاذاعة يرأس قسم الاحاديث ثم الادارة الدينية وقد عرف بالتصلب والتشدد في تعامله مع الآخرين ٠٠ ولكنه سرعان ما اندمج في الجو الوظيفي وانطوى في اسر الروتين اليومي ٠٠ وتلك كانت من اسوأ فترات حياته ٠٠ فالرجل لم يكن من مصدر يعيش منه غير مرتبه ولهذا سد عليه الاهتمام بالوظيفة الكثير من مسالك انطلاقاته الادبية

كان يرفض حتى لا يتهم باستغلال وظيفته ان تقدم له الاذاعة شيئا من شعره ٠٠ وهذه النظرة الضيقة جاءته من اثر ما كان يداخله من شعور بالضآلة لانه موظف ٠ على ان هذا لم يكن يمنع ابدا اذا طلبت اليه مجلة او جريدة ان يقدم لها شيئا من شعره ان يسارع بتقديمه ٠٠ ولهذا فكثيرا ما كان ينشر بعض قصائده التي يكتبها في المناسبات الوطنية والقومية العديدة في جريدة الاهرام بتشجيع من رئيس تحريرها انطون الجميل ٠٠ وكان بدوره يتمسك بالتقاليد الصحفية القديمة التي تحتفي بالادب والشعر وتفرد له اوسع الصفحات كذلك كان ينشر بعض قصائده في مجلتي الثقافة والرسالة ٠

حياة العزلة

تعودت ان القاه صباحا ونحن في طريقنا الى العمل - كان هو في الاذاعة ٠٠ وكنت انا اعمل مترجما في بنك مجاور لمبناها بشارع الشريفين٠ واتردد على الاذاعة بما كنت اكتبه من تمثيليات وبرامج مختلفة ٠٠ كنا نركب الاوتوبيس معا اذ كان يسكن في الجيزة مثلي ، بل انه كان يقطن في المنزل المجاور لمنزلي ٠٠ ولكنني لم اعرف ذلك الا بعدها باعوام ٠٠ ولم يحاول هو ان يخبرني حتى اكتشفت بنفسي انه جاري وهذا يدل على طبيعة ونوعية حياة العزلة التي اختارها وهي حياة تساعده على الانزواء والابتعاد عن الناس طالما هو خارج العمل ٠ مع ان شخصيته رغم ما كان يقيم عليه في تلك الايام من محاولة واضحة للتماسك والانكماش على نفسه ٠٠ كانت شخصية متفتحة وطلقة ومن الصعب اخفاؤها خلف وجه جامد ٠٠ قال لي ذات مرة انه لا يدري لماذا يفتح لي قلبه فلا يخفي عني الكثير مما كان يؤرقه ويضنيه ٠٠ وكانت المناسبة انني كنت اوالي معاتبته على عدم الاهتمام بنشر اشعاره او جمعها في دواوين ٠٠ وتلك المشكلة كانت تؤرقه على الدوام لانه كان يعتقد ان من حقه على الناشرين ان يسعوا اليه لانه لا يستطيع بل يأبى ان يعرض على احد ان ينشر له شعره ٠

مشية الشاعرية

ولعل من الطرف المثيرة التي اذكرها عنه في تلك الايام ٠ انه كان يسير دائما وهو يحمل العديد من الموسيقات والاوراق والملفات عن طريقة الموظفين الحكوميين ٠٠ فاذا لم يكن فانه يضع تحت ابطه الجرائد اليومية تمشي بها حرارة الشعر مع ان رأسه كان مغطى بشعر طويل مشعث لا يحاول ان يصففه ابدا ٠٠ اذ كان يكره الحلاقة كراهية التحريم ٠٠ ولهذا فقالما ما كنت تراه وقد اغفل حلاقة ذقنه لفترات طويلة ٠ وكان محمود حسن اسماعيل فارع الطول يمشي بعسكر ولا يكاد يتوقف او يحاول متابعة شيء مما يجري حوله ويلتزم دائما بالرصيف ٠ يمرق في سرعة وكانه يريد ان يهرب من شيء ليلحق بشيء آخر يكفل له الراحة ٠

بداية كل جديد

لكن شخصيته لم تكن كذلك على الدوام ٠٠ فبعد نشر اكثر من ثلاثة دواوين وبعد ان ارتدت اليه الشهرة التي صاحبت بداية ظهوره أيام الشباب ٠٠ بدا يلبس شخصية جديدة ٠٠ وهي شخصية اطلقته من عقال الكثير من الوان التزمت الذي كان يأخذ به نفسه في مواجهة الناس ٠٠ ومن خلال هذه الشخصية الجديدة اخذت التمس الطريق الى ادراك قيمة موهبته واصالة فكره وابعاد رؤياه ذلك انني على كثرة قراءتي لشعره وسماعي للعديد منه على لسانه، كنت استغرب من واقع شخصيته التي عرفتها وحللتها من قبل ٠ ان يصدر عنه مثل هذا الشعر الغريب الذي لا سابقة له عند من جاءوا قبله من الشعراء ٠٠ ولعلي لا اكون مبالغا اذا قلت ان محمود حسن اسماعيل يعتبر بعد شوقي طفرة بارزة في شعرنا الحديث وهو التمهيد الاكيد والرافد الاصلي لكافة فروع الشعر الحديث التي امتدت عندنا من بعده ٠٠ سواء كان ذلك في مبنى قصائده واسلوبه التصويري واخيلته الرائعة ورصانته وتجديداته المتطورة٠ لانه كان من اكثر الشعراء تجديدا في الشكل ومن اقدرهم على تركيب الصورة الشعرية واحكام الموسيقى في كافة قصائده وقد تجلت في شعره معظم التيارات التي عاصرته وربما جاءت بعده فشعره لم يخل من السريالية والانطباعية والرمزية ٠٠ وهو يجمع بين الشعر التقليدي والشعر الحر في قوة واقتدار ٠٠ وهو نفسه دائما ما كان يعتز بذلك فاذا انت طالبته بمثال لم يصعب عليه ان يلاحقك بقصيدة لانه كما قلت كان من اكثر الشعراء حفظا لاشعاره ٠٠ وكان يعتقد دائما انه يقف على مفترق الطرق بين القديم والجديد ، وانه اول من طرق بالشعر مسالك الواقعية ، واول من مهد للشعر الحر ، ويرى انه في شاعريته انما يشكل الركيزة الاساسية لشعر المستقبل بكل الوانه شكلا ومضمونا ٠٠ لكن ماذا عن الشعر الدرامي ٠٠ هذا ما كان يجحده بكل عنف ٠٠ ومرجع ذلك طبيعة ثقافته الاصيلة الخالية من اي مفهوم للدراما ٠٠ ثم عزلته الدائمة عن الحياة الثقافية عامة ٠٠

عاشق النيل

ورغم هذا القصور فقد كنت دائما شديد الاعجاب بشعره ٠٠ ولكني لم اكن احتفي بما فيه من تجديدات في الاشكال والقوالب ٠٠ وانما كان يجتذبني فيه موضوعات اشعاره ٠٠ قضينا سنوات عديدة معه في صحبة يومية وصحبة ليلية ايضا ٠٠ فقد

تعود ان ينام ظهرا لساعات طويلة ثم ينهض الى سمار الليل في قهوة عبدالله بالجيزة ·· احيانا ما يمر على لبلدا السهر هناك ·· واحيانا ما يلح لاصحبه الى جلسة منفردة على النيل ·· كان يهيم مثلي بحب النيل ويقطع الليل شاخصا الى مياهه ·· خاصة في الليالي القمرية ·· وهنا تلزمنا وقفة سانخطى فيها لقاداتي معه بين عديد الادباء في قهوة عبد الله · او انفرادنا معا فيما كان يسميه «امسيات المجد على شاطىء الخلود» سانخطى كل ذلك لاحاول التعمق في الوصول الى غور فكره بما فيه نظرته الكونية ومفهومه السياسي.

مكوناته الثقافية

كان محمود حسن اسماعيل شديد التدين راسخ الايمان كما يتوقع بالنسبة لكل ريفي مصري بل لكل مصري على الاطلاق ·· وكان كثير الفخر باسلامه وعروبته · ولم يكن يفصل بين الاسلام والعروبة فما دمت مسلما فانت عربي · هكذا كان يقول دائما ولكنه لم يكن متعصبا لا في تدينه ولا في عروبته رغم نشأته ودراسته الدينية والبيئية التي تعلم فيها ·· وكان يحفظ الكثير من الآيات القرآنية ويرددها على الدوام في ميل واضح الى طلاوتها وحلاوتها في معناها ومبناها ·· يتذوقها بفن وحس لغوي مرهف ·· وكان دائما يركز في اسلامه وعروبته على التغني بحياة الرسول وخلفائه الراشدين ويعتبر ان هذا هو العهد الذهبي والوجه الحقيقي للاسلام والعروبة · وفيما عدا ذلك فلم يكن يرجع للمفاخر العربية الا من خلال امجاد التراث في مراحل الحضارة العربية ابان ازدهارها · وكان جوهر الدين عنده يتمثل في العلاقة المباشرة بين العبد وخالقه وهي علاقة لا يجب ان يداخلها وسيط من الاولياء ·· ويؤكد دائما ان جوهر الاسلام هو حرية الفرد ·· ومن هنا كان ارتياطه الدائم بالدعوات العصرية المتحررة · كالديمقراطية وحرية الفكر ·· ولم يكن يعارض تحرير المرأة ولكنه كان يرفض الانحياز



زكريا الحجاوي

محمد عبد الوهاب

للجماعات الدينية التي تتجه نحو السياسة وهي ظاهرة مميزة لعصره ·· ولعل الارستقراطية الوحيدة التي كان يؤمن بها هي ارستقراطية الفكر ·· وكان يتمثلها دائما في نفسه ويعبر عنها بانها «الشموخ الروحي» ·

الشموخ الروحي

ومن مظاهر هذا الشموخ انه كان ذات مرة في ضائقة مالية يواجه مصاريف اضافية ينوء بها مرتبه لمعالجة ابنته ·· وكنا نجلس في قهوة عبد الله بميدان الجيزة وهو في كمد وضيق على غير عادته معنا في مثل هذه الجلسات · وحدث ان الراديو كان يذيع اثناءها قصيدته «النهر الخالد» التي يغنيها عبد الوهاب ومعنا صديق

معام له مكانه المعروف في الجيزة وهو من أخلص اصفيائه ويبدو انه كان على علم بما يؤرقه من متاعب مالية ·· وحين سماع القصيدة سأله المحامي مباشرة عما تقاضاه ثمنا لها · فاذا هو اجر بسيط لا يتناسب مع قيمة القصيدة وذيوعها بما وزع من الاغنية مسجلا على اسطوانات تعدت المائة الف ·· وحاول ان يقنعه مستعينا بعلاقتنا الشخصية به انا والصديق الراحل زكريا الحجاوي ان نقيم مطالبته للشركة التي سجلت الاغنية والتي يملكها عبدالوهاب ·· بان تدفع له حق اداء علني عن الاغنية · ولكنه رفض باصرار واعتبر ذلك نوعا من التسول الذي لا يمكن ان تقبله شاعريته والظاهر ان صديقنا المحامي استطاع ان يسوي المسألة مع الشركة ويحصل له على مبلغ اضافي ·· لانه حدثني عن ذلك وهو غير مصدق ان له حقا على احد فيما يكتبه من الشعر ·

عالمه هو شعر

عاش محمود حسن اسماعيل طوال عمره محدود الدخل من اسر الوظيفة ولم يكن شعره يدر عليه شيئا تقريبا ·· فلقد نشر معظم دواوينه متأخرا وهو على اعتاب الشيخوخة ·· وباعها بثمن بخس ·· دراهم معدودات كما كان يقول ·· ولانه لم يتعود ان يجمع قصائده فقد كان نشره لدواوينه من الاحداث المثيرة · كان يستحث اصدقاءه ومعارفه بان يمدوه بما يمكن ان يكونوا قد وقعوا عليه منها منشورا في المجلات والصحف ·· ولكنه اعتمد في اغلب الاحوال على ذاكرته الحافظة لانه كما اسلفت كان من امهر الشعراء الذين يمكنهم حفظ واستيعاب اشعارهم ·· رغم ما عرف عنه دائما من نسيان كلي لكثير من صغائر الحياة المادية بل والاسماء والاشخاص والاماكن ·· ذلك انه كان يعيش في شعره ومع كل بيت من ابيات قصائده اذا ابدعه فانه لا يخرج من ذاكرته ابدا ·

نعمان عاشور

من تجاربي الشخصية

الدرس





عندما أعددت نفسي للسفر في ذلك اليوم لم أكن أدري أنني أعد نفسي لتجربة لن أنساها.

كانت محطة القاهرة تموج كعادتها بالحركة، وأنا أقف على الرصيف المخصص لقطار الصعيد.. وأنا أحمل حقيبتي بعد أن أنهيت عامي الدراسي الجامعي واستعددت لقضاء اجازة الصيف مع أسرتي.

ربت أحدهم على كتفي برفق.. التفت اليه.. كان أحد زملائي بالجامعة، وإن لم تكن لي به علاقة قوية.. سألني والخجل يغلف كلماته «هل أنت مسافر الى سوهاج»، فلما أومأت مجيبة قال لي في حرج

«إن معي حقيبة صغيرة بها أدوية لوالدي المريض بالقلب.. لابد وأن تصل اليه في سوهاج.. وإن لم تصل اليوم، فلا يعلم الا الله ماذا ستكون النتيجة».

ولما كنت ميالا للخير بطبعي، فقد وافقت على الفور أن أحملها الى والده إذا وافق وكتب لي العنوان على ظهر الحقيبة. وفعلا أخذت منه حقيبة الأدوية.. وركبت القطار، وأنا أشعر بالسعادة الغامرة لأنني سأستطيع تقديم خدمة إنسانية في وقت محنة.. وتخيلت الرجل المريض وهو يتألم.. وأهله من حوله لا حول لهم ولا قوة.. ثم تخيلني عليهم.. كملاك هبط من السماء.. أحمل بين يدي حقيبة الأدوية التي أرسلها ابنهم من القاهرة.

وهبط علي النيل وأنا في القطار.. فنمت بعض الوقت ثم استيقظت على صفيره.. وهو يدخل محطة سوهاج.. وحملت حقيبتي على عجل، وقفزت من القطار.. ثم حملتني إحدى العربات الى منزلي.. فقضيت أكثر من ساعة مع والدي أحكي لهما عن رحلتي من القاهرة، ثم تناولت عشائي، وارتميت على فراشي بعد عناء السفر الطويل.

وفجأة.. استيقظت من نومي فزعا.. وكان كابوسا ألم بي.. لقد تذكرت أنني نسيت حقيبة الأدوية بالقطار.. لقد أتمتم بكلمات ليس لها معنى.. كيف نسيتها؟.. وماذا سأفعل؟ كنت أتمنى لو أن ما رأيت حلما، وأن ما حدث فعلا ليس الا كابوسا من عمل الشيطان.. ولكن رويدا بدأت تتضح الأشياء أمام عيني.. لقد نسيت الحقيبة، وضاعت الأمانة.. وقتلت مريضا لا ذنب له إلا أن ابنه وثق بي يوما ما.. وبدأت دموع الندم تنساب على خدي.

مرت شهور الاجازة الثلاثة على هذه الواقعة، ولم يكف ضميري عن تأنيبي يوما واحدا، حتى كان يوما لا أنساه، وأنا بالكلية وجدت زميلي الذي كلفني توصيل الحقيبة يحييني مرحبا، تقدمت اليه مستعطفا وفي عيني أسف شديد.. لكني فوجئت به يقول لي: «لست أدري ماذا كنت سأفعل يومها بدونك؟.. لولا أنك أوصلت الأدوية في موعدها لهلك والدي.. أنك شهم!».

لا تسألوني كيف حدث هذا؟.. أنا أيضا لا أدري.. ربما وجد أحدهم الحقيبة وحملها الى العنوان المكتوب عليها.. كل ما أدريه أنني نمت في هذا اليوم بنعم النوم الذي هجرني منذ ثلاثة شهور.. استغرقت في النوم، وأنا أتمتم بكلمات الشكر لله الذي شاءت رحمته أن تصل الحقيبة في موعدها رغم إهمالي.. وأن أتلقى — أنا — درسا لا أنساه.

حمادة محمد محمود

مصر — سوهاج





دعوة لانتماء حميم

كل منا يبحث عن نفسه .. عن آخر فيه أكبر من حياته وسعيه اليوميين .. آخر لا يقذف به خارج إطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التي ولد ، نشأ ، ويعاني هذا البحث فيها .. تحول اذن ان تنتمي وبشكل حميم وفعال ومقدر انسانيا .

في العمل والصداقة والحياة الترفيهية العامة ووسائط الثقافة والاعلام جرعة عالية من المعطيات التي تشكل خطانا نحو ذلك الانتماء الحميم ... او هكذا كان ينبغي أن يكون الحال . ولكن ما نتلقاه من كل هذه المجالات في حياتنا العربية المعاصرة يغربنا اكثر واكثر عن حلمنا البهيج .. لان هذه المجالات كلها تتعامل مع الواحد منا وكأنه لا سبيل له لمعرفة ما يجري في العالم .. وكأن هذا العصر لا يفاخر ما سبقه من تاريخ في الابداع الانساني والاتصال العالمي بأنه اكثر العصور ازدحاما بالمعارف ، وأحفلها بوسائط الانتقال الثقافي وارفعها قدرة ودراية بتبليغ الرسائل : علمية كانت ام سلوكية أو خبرية او ترفيهية او دعائية .

هل كل هذا من قبيل الصدفة او الاتفاق التلقائي ان جاءت احداث بولونيا وتحولات الاوضاع في الصين مكشوفة وعارية في تفاصيلها ودواعيها ونتائجها ؟ ام ان السرية في التوجه والتخطيط اصبحا امرا محالا في عصر الاقمار والعيون التي ترصد كل شيء في المعمورة ؟

ان ساحة الاختيار لم تكن يوما مثل ما هي عليه الآن تنوعا واتساعا ، فان الاختيار تحت مظلة الدمار النووي يكاد أن يضحي عسيرا بشكل لا انساني .. اما الانحياز فهو مستحيل ، لان الحقيقة ـ كما نشاع ـ لم تعد تتمتع بذلك القبس اليقيني والوثوق .

بلغاء السياسة بيننا يبشرون بتوحيد الاستراتيجية والتضامن ... ويكثرون النفخ في بعض القرب العجفاء المثقوبة ، كل وفق هواه الذي يعتقده ... ولا نقول مصالح افق معتمي لا يحق لها ان تفرض ذاتها على رحابة اطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التي اورثها الله من من عليهم بنعمة ضوء وقدرة الدين الحنيف في قلب معطيات الحياة في ديار العرب والعجم على السواء .

والمترنص بنا ـ وان تبدى الصديق الارفع علاقة معنا ـ يرسم عنا لوحة يستعير الوانها من تفرقنا واساءاتنا لبعضنا الآخر ولارثنا الانساني وواقع المسافة بين فعلنا وهوانا وقدرنا وحالنا الحقيقي . وإذا كان الواحد منا يتمنى ان يقل التقوقع والحرص بين كتابنا وحملة الاقلام منا على التوكيد الذي يتيحه بتبني القناعات السياسية والفكريات المستعارة او تلك المحتقرة خصيصا لتبييض فضائل قومها وتبخيس جواهر غيرهم ، والذي تيسره الاعفاءات والتسهيلات في بلاد قوامها الاتجار والربحية العالية .

لاهل السودان تقليد ورثه الفقراء عن اول تجربة وحدت تلك البلاد الشاسعة لتصبح سارية متوجهة نحو كعبة الهداية ورفعة الانسان .. ذلك هو حرصهم على العالم الفقيه العامل الفقير المجاهد في شأن الله ومصلحة الأمة ، طاهر اليد واللسان ، شجاع الرأي والبيان ، فارس الملمات وطلاع المواقف الصعبة .

وكانوا يوفون بما يشير به ، ويحتكمون الى الضوء الذي يحصله لنفسه المنذورة لاعلاء شأن الحق والخلق ... ما كان يهجر قومه إلا لحجة يطلب فيها زكاء النفس وزاد المعرفة .. او لينشر نور الهداية في بقاع لم يتيسر لها أن تشهده .

وحين أغوى العدو الصليبي سادة العثمانيين فغزو تلك الديار طمعا في خيرها واستعبادا لانسانها الطاهر المزكى ، جاءوا بعلماء سوء ، فرخوا علماء غرض حاولوا طمس الاطار الحضاري الثقافي الانساني في البلاد ، ولكن الحرص في وجدان اهليها على الانتماء لانسانية مؤمنة موحدة فاعلة قذف بهم الى ساحة الجهاد ، فشرفوا سادة في بلادهم ، وكلمة نصرة للحق في أرض الله الطيبة .

للغة دورها الذي يمتد خلف قيامها بمهمة البيان والاتصال . فمع اللغة يتم اكتشاف للحياة والنفس واثر التجربة العامة والخاصة على المخيلة والذاكرة والمزاج ، وعبرها نكتشف الآخر في انفسنا وفي اللغة ، وحياة اللغة هي محاولاتها التعبير عن كيان يبحث عن وجود عبر الذات والآخر والعالم ، فاذا تسددت الحياة اليومية في حرصها على الاتصال لطرق الفاظ مكرورة تواكب معطياتها ، فان اللغة تفرغ من محتواها الأكثر نقاء واتصالا بينبوع القدرة والخلق في الانسان .. ويتم بذلك استلاب لقدرة الوعي على التعبير .

لقد استقر في يقيننا بفضل ادوات تحرير المعلومات والافكار والتوجهات اننا نعاني من التخلف وعدم القدرة على مخاطبة التفوق الغربي ، واننا غير عقلانيين ، واننا نعاني ازدواجا في الشخصية ونحن نتعامل مع العصر ، وانه لن تقوم لنا قائمة لاننا ندمن الاحتجاج بالماضي .

بعض هذه الاهانات والتهم يقدمه مخلصون لوجه التغيير والارادة الجديدة في العالم العربي والاسلامي ، ولكن الاثر الذي يتركه كل ذلك القطع كثيرا من ظلم الانسان لاخيه الانسان في عالمنا .. فالظلم يظل في الاطار النفسي والحضاري الذي ننتمي إليه ، ويمكن تصحيحه .. ولكن هذا الآخر تحطيم للاطار الشامل ، ونسف لمجال حيويتنا وصراعنا وفاعليتنا في التغيير لاستعادة السمات والقسمات الافضل فينا ، والملامح الاعمق والارسخ لاصالتنا وتفردنا .

وفي ظني ان الوعي بضرورة تغيير الامور لافضلها ينبغي الا يسقط في مدارس الاخضر والمصفر واليأس في اوطاننا ، لان ذلك لا يؤدي إلا إلى زيادة الشعور بالنقص في عصر التكنولوجيا ، والاحباط في ايام الجهاد المعلن ..



رأيت سمعت قرأت

رأيت

ماذا سيفعل بأمه

رأيت امرأة ممزقة الثياب متسخة البدن منفوشة الشعر تقدم طفلها للطبيب وهي صامتة تملأ الدموع محاجر عينيها ، وقد أدرك الطبيب بحسه الإنساني ما يعتلج في صدرها وما يموج بخاطرها فمس جبين وليدها وتفحص جسمه وشخص مرضه وأعطاها شكرة الدواء وثمنه فأطلقت ذلك بوسمة شاحبة والدموع لا تزال تغمر بعينيها ....

رأيت ذلك فعجبت له .. وعجبت أكثر تحسنت النفس .. فقد زعموا أنها مجنونة لا تهتم بأمر نفسها ولكنها تأخذ طفلها وتمنحه من العناية والرعاية ما يتجاوز الحدود ، تجوع ولا تنسى أن تمد ثديها لرضيعها .. تلهبها الشمس ولا تغفل أن تسدل ثوبها عليه .. يمزقها البؤس ولا يفوتها أن تدغدغ صغيرها وتهزه حتى يفرح ويضحك ويلوح بيديه .. تتمزق وتتوجع وتتعذب لكي تصنع من التمزق والتوجع والعذاب بسمة على ثغر ذلك الصغير .

وتمنيت لو أنني عشت لكي أرى هذا الطفل وهو يكبر ويقوى ويشتد ساعده ماذا سيفعل بأمه وقد وهن العظم منها واشتعل الرأس شيبا ، وكيف سيرد لها بعض ما منحته من حنان وعطف وحب ، وكيف سيرعاها ويتعهدها ويحتفي بها كما رعته وتعهدته واعتنت به ؟

أحمد الطيب عبد الرحمن

الأبيض ــ السودان

سمعت

أنهم يرعون الأغنام

سمعت أن استراليا تتميز باتساع مساحات أراضيها مع قلة السكان . ولهذا فإنهم يبتكرون الأساليب العلمية التي تمكنهم من التغلب على تلك المشاكل . وآخر هذه الابتكارات هي ابتكارهم لطائرة جديدة للقيام بعملية الرعي ومراقبة قطعان الماشية حتى لا تخرج عن المنطقة المخصصة لها ، وذلك نظرا لاتساع مساحات المراعي وكثرة قطعان الماشية ، والطائرة المستخدمة تطير على ارتفاع ٩٠ مترا بسرعة ٢٢٥ كيلو مترا في الساعة وتحتاج لمسافة ٤٥ مترا فقط للاقلاع و٦٥ مترا للهبوط كما أنها مزودة بوقود يكفي ١٠٠ حصانا ... من المراعي من المرعى إلى ساعة ويحقق وتستدعي ... المنطقة المحددة في قطعتها ... وهكذا تمت الأحداث أن الحاجة أم الاختراع

نبيل عبد العظيم كفافي

مصر الجديدة ــ القاهرة

أسطورة ذات مغزى

سمعت من أساطير السابقين أن رجلا صادق ملك الموت فكان إذا جاءه يسأله الرجل أزائرا جئت أم قابضا ؟ فيقول الملك : جئت زائرا !

وفي يوم قال الرجل للملك : أسألك بحق الصداقة أن ترسل لي رسولا حين يحين أجلي يخبرني بقدومك لقبض روحي فقال عزرائيل : ــ لك ذلك .

ثم هبط الملك على الرجل يوما فقال له : ــ لعلك جئت زائرا فقال عزرائيل : ــ بل قابضا فقال الرجل أما سألتك أن ترسل لي رسولا يخبرني بذلك ؟ فأجاب عزرائيل : لقد فعلت .

فقال الرجل : ــ لم يأتني رسولك هذا !

قال : بل أتاك ... تقوس ظهرك بعد استقامته ... وابيضاض شعرك بعد سواده ... وارتعاش صوتك بعد ثباته ... وضعفك بعد قوتك ... ظننت رسولا واحدا ... فأرسلت لك عدة رسل ... فما بالك تلومني ؟!

منال عبد الحميد الخمور

مادبا ــ الأردن

قرأت

حديث النباتات

قرأت في ... أن قليلا من العلماء يؤمنون بأن الإنسان يستطيع أن يتحدث إلى النباتات ، ولكن هناك مهندسا يعتقد بأن الإنسان يستطيع أن يلتقط إشارات كهربائية تعطي معلومات مفيدة عن بعض المحاصيل مثل الطماطم والقطن وقد بدأ وليم جنسلر تجاربه في جامعة أريزونا منذ سنوات عن طريق وضع أسلاك داخل الطماطم ، وهو لا يؤمن بإمكانية أن يكون للنباتات مشاعر وأحاسيس مثلما يؤمن أصحاب المدرسة التي تطالب بأن يتحدث الإنسان إلى نباتاته لكنه يعتقد بإمكانية التوصل إلى بعض الإشارات التي تتولد خلال مراحل نمو النباتات وقد توسع جنسلر وهو مهندس كهربائي في تجاربه فوضع أسلاكا داخل الأشجار ونباتات القطن مما ينمو في ولاية أريزونا . وتتصل هذه الأسلاك في النهاية بصندوق مركزي يتم داخله قراءة الإشارات الآتية من النباتات كل ١٥ دقيقة كما تسجل أيضا بعض الظروف الخارجية مثل درجة حرارة الجو . ثم يتم بعد ذلك نقل هذه المعلومات عبر جهاز إرسال مكتب جنسلر .

ويقول جنسلر بأنه توصل إلى معلومات تشكل فائدة لغالبية المزارعين حيث وجد مثلا أن نبات القطن يبدي استجابة واضحة بالنسبة لموعد ريه كما أنه عن طريق هذه الإشارات يمكن تحديد أفضل وقت للحصاد .

ومازالت تجارب جنسلر في بدايتها لكنها تحمل إمكانيات عظيمة لدرجة أن حصل على معونات مادية للاستمرار في تجاربه ليس فقط من المزارعين المحليين ولكن أيضا من وزارة الداخلية الأمريكية . ومن يدري فقد يقف النبات في المستقبل أمام شاشة الكترونية ليحدد احتياجاته من الري والوقت الذي يجب فيه حصاده .

رضا ابراهيم محمد سيد

ج . م . ع

قصيدة في بيت

يمتاز الشعر العربي بأنه يحوي أبياتا كثيرة ، كل بيت فيها يعادل قصيدة .. أبياتا تجري مجرى الحكمة ، وتصلح لضرب المثل أو للتعريض أو للنصيحة الخالصة ، ويود كل عربي مثقف أن يحفظها لتزيد بها ثقافته .. واخترت هذه من القصائد الشهيرة :

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبا
فإنك لا تدري متى أنت راغب
(أبو الأسود الدؤلي)

ولا تجلس إلى أهل الدنايا
فإن خلائق السفهاء تعدي
(أبو العلاء)

ولا ذكرت جميلا من صنائعها
إلا بكيت ولا ود بلا سبب
(المتنبي)

عبد القادر ذبري

سورية ــ حلب ص ب ٢٥٧

الحب في زماننا

الشاعرة وفاء وجدي

(١)

ابحث فيك عن حقيقتي
لكنك السراب
اعيش فيك رحلة اغتراب
وحين ابتغي الرجوع
لا املك الرجوع
من رحلة العذاب

(٢)

لم تعرف الحب كما عرفته
لم تعرف الحياة
لم تلتقط سوى قشورها
ما اسقطته الريح في يديك
لكن جوهر الحياة لم يمت
والحب لم يمت
ما مات إلا قلبك الذي
لم يعرف الحب كما عرفته
لم يعرف الحياة

(٣)

رحلت ما خلفت في طريقك الوهمي
إلا نعيق البوم والغراب
يحمل في جعبته الأحزان
يمضي إلى الزمان
ما كنت فيه في الحلم والحنان

(٤)

ويبقى لي بكل ريق في الوقت الهوى
سهرت كم سهرت ترسم الأسى
وقلق البراءة
وحينما جمعت من حبيباتي
زهر الهوى الفواح
اغسل من رحيقه جراحك المريرة
رحلت بعد ان شغفت في وقت الظهيرة

(٥)

هل قلت لن تعود يا حبيب ؟ لا
ما قلت غير معسول الكلام
صدقت كل ما رويته
لانني لم اعرف الكذب
لم اعرف الهوان

(٦)

اخجل كما تشاء يا صديق الذكريات والهوى
بالامس كان ها هنا حبيب
واليوم غاب
فاخجل كما شئت هنا
فانسا
انا وانت ها هنا
صرنا صديقين فلا
لوم علينا يا غراب
امسح بشك الحزين ليس لي
سوى حكاية كتبتها بادمعي
ـ وكنت انت شاهدي ـ
في لوحة بباب ..

(٧)

اعرف فيك كل ما مضى من السنين
يومى وما اعيشه ـ لو عشت ـ في غدى
اعرف فيك كل ما احببت من جمال
اعرف فيك نضج موسمى
خلاصة الحياة في دمى
اعرف فيك جوهرى ..
ومسكني
ونبع إلهامى الذى تعصفه
عواصف الرحيل .

(٨)

كذبت حين قلت يا حبيب ان ما مضى سراب
كان السراب انت بيننا
الهث خلف قطرة
لا ارتوى إلا من العذاب
ان كنت من خيالاتى التى رسمتها
ريشة الحب على السحاب
بها تكون يا ترى حقيقتى
بعد ما افيق من غيابة الضباب

(٩)

الحب في زماننا مسافر غريب
تلفظه الاوطان ..
تطحنه الدروب
وتصفق الابواب حينما تراه
مستجديا للامن في محافل القلوب
قلبى عليك يا غريب
تسير تلعق الذنوب
تهان كم تهان في زماننا
وتطلب الامان في ديارنا
ولا مجيب ـ لا مجيب

(١٠)

الحب في زماننا غريب
رحلته إلى قلوبنا اغتراب
كما يطوف الانبياء خالف في زماننا
ومنذ أولياء عهدنا
سرنا كما يسير في طريق الاغتراب
حقيقة تبحث عن حقيقة
وربما سراب
يبحث عن سراب

وفاء وجدي

عبد المنعم الجداوي

الصياد يحاصر الغزالة

لماذا العنف ، والقسوة ، والوحشية في أيام الطفولة ؟

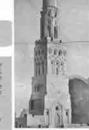
هل هو الخوف الذي يلف كل شيء ؟ هل هو عدم الاستقرار ؟ هل هو القتال في أزقة أسرار الرحلة ، ومغامراتها ومرافقها ؟ هل هو ضغط القدوة التي تضغط كالآلة العمياء ، ذات الألف ذراع ، ولكل ذراع ألف أصبع ؟ هل غياب الثقة كعامل ، وحضورها كجيش معلق في أصغر الأصابع ، هو الذي جعل العنف الأسلوب الأمثل للحياة ، بضغط الكبير على الصغير حتى يسحقه ، ويلحس الصغير الفرصة للوثوب على الكبير ليحطمه ؟

ربما كان كل ذلك وراء تصرفات العصابات المجنونة ، فلا أمان ولا أمن ، ولا قواعد مكتوبة أو حتى متعارف عليها تحكم ، إنها الفوضى ... والقدرة على استقطاب أكبر عدد من الأتباع والفرسان الذين ... تمتلكهم حكمة فقط من تراحمهم ، وتعلن جموحهم ، وتصبح مسارهم حتى لا يصبحوا مجرد قوة بطش وجبروت .

ورغم هذه الملامح الموحدة للبطش ، إلا أن الأساليب كانت تتغير باختلاف الأشخاص ، تمشيا مع سير حياتهم ، وما تعرضوا له من أحداث ، ومعاناة ، والطريقة التي خرجوا بها إلى القاهرة ، والذكريات المبعثرة في ضمائرهم عن حياتهم الأولى ، قبل أن يختفوا ويتباعدوا

● **هل كانت الذكريات المشتركة في أعماق الشخصية هي سر العنف والقسوة والوحشية ؟**





أطفالا تدربوا على أعمال الفروسية والقتال، ويحال بينهم وبين ماضيهم في تعسف لاصطناعهم إقصاء كاملا عن الشيخ الذي جاءوا بعواطفهم ووجدانهم ومادية، فيتكرون على الولاء لسيدهم أو أستاذهم كما كانوا يطلقون على صاحب المماليك، الذي هو في ذات الوقت واحد منهم لكنه تدرج في الوظائف، أو وثب إلى الصدارة! والغريب أنه عندما كان يموت الأستاذ يرثه شخصهم الأول في كل ما ترك حتى في زوجاته، دون أولاده، إلا إذا كان قد أوصى لأحدهم ببعض الأشياء. فقد كانوا يرون أن صلة العبودية بالمماليك أوثق وأقرب من صلة البنوة بأبيه!

عدم الاستقرار

قد يكون من هنا تمركز فيهم العنف والقسوة، انعكاسا للأهوال التي لاقوها أطفالا، حين الخطف، وحتى البيع،

● كيف صاغت ملاحمة هاسي ... وتناسى الشعب تاريخهم حتى رحمة من الشمائل الدامي ؟!

وحبن السجن، والبيع .. ثم الشعور عند الكبر انهم بلا جذور .. وبلا اهل حقيقيين .. حتى انجابهم للاولاد والبنات لم يكن يعوضهم عن ذلك .. او يزرع فى صدورهم الشعور بالانتماء!

وما كان استكثارهم من المماليك، والجوارى إلا دفاعاً من اعماقهم ضد الضياع الذى يشعرون به .. وما كانت المظاهر الفخمة، والتفاخر بالاستعلاء إلا غطاء لما يقبع فى جوانحهم من هوان!

وكان ذلك النقص المستتر، يدفعهم الى المبالغة فى حب مصر، وتملك مصر .. المبالغة التى تصل الى ضدها، فقد كان بعضهم يكره الشعب المصرى من كل قلبه، ويرى انه لايستحق ان يكون فوق هذه الأرض التى يشقها النيل، وكانوا يطلقون على انفسهم المماليك المصرية تمييزاً لهم عن المماليك الاتراك او الشوام.

ومن خلال قصة «فاطمة هانم بنت رضوان بك» .. استطيع ان اضع امام القارىء على بعض خصال المماليك الغريبة التى ارادبها الجبرتى ان يفسر لنا ظاهرة العنف والقسوة عند المماليك

الأذن الصماء

... القت نظرة على ما حولها .. حاولت ان تكون شامخة .. لا يجب ان يرى الناس منها الا قوتها .. سطوتها .. عزة ابنة رضوان كتخدا الأستاذ لمئات المماليك .. الذين يجرون حول حصانه اذا ركب فى احتفال .. او ذهب الى القلعة ..

الف طعنة وطعنة وجهتها لها الايام .. لكن لابد ان تصمد .. صبرت طويلا .. حتى ادهشت كل من حولها ..

كانت تحاول ان تصمد وتصمت فى وقت واحد .. ان تجعل من الامها بسمات وان تذيب احزانها فى اللامبالاة .. وتشغل جروحها بالذكرى وتخلطها بهموم الآخرين .. تخفف محنتها .. تدفعها عن جبهتها .. حتى يظل جبينها موطن المرايا .. بل كان اكثر ما تخشاه نظرة إشفاق، قد تطوى شماتة مستترة!

[illegible] الالم من الاعماق .. [illegible] جاءتها التى تجلس عند قدميها تحكك الاريكة [illegible] من الاصلاب او [illegible] بالحجارة

ارخت فاطمة اهدابها الطويلة على عينيها الواسعتين، وتركت بصرها يتسلل الى غزالة «محنطة» تقف فى أقصى القاعة .. فوق قاعدة من الفضة .. حملقت فى عينى «الغزالة» كأنها تراها لأول مرة!

ليتها تستعير هذه النظرة الميتة .. الساكنة .. التى مالت الأسئلة فيها على الحدقتين .. ورغم الموات الذى هى فيه، إلا ان الحدث يرقد بلا ... الى جانب الموت .. هى فى حاجة الى مثل هذه النظرة، حتى لاتشى بها الأحزان التى تشوى اعماقها!

زوبعة الخلاف

لقد شهدت هذه القاعة احلى ايامها ولياليها، وها هى تشهد احلكها واتعسها .. شهدت عقد قرانها على «على اغا» الذى عينه والدها «رضوان بك» فى وظيفة «سنجق» وامتلأت يومها الدار بالمماليك وعلية القوم!

كان والدها فى صدر السلطة، ولذا حضر الحفل «على بك الكبير» و «محمد بك ابو الدهب»، ونثرت الدنانير الذهبية على الرؤوس، وضاقت الدار بالهدايا التى جاء بها التجار، والاعيان .. وحمل اليها تجار الصاغة طربوشا من رقائق الذهب!

وقبل ان يتم الزفاف بأيام وقعت الواقعة .. هبت زوبعة الخلاف بين «على بك» و «ابو الدهب»، وانقض هذا على ذاك، وبطش المماليك ببعضهم البعض، وفر «رضوان بك» والدها، ومعه «على اغا» سنجقه الى بغداد، تاركا خلفه كل حريمه، واهله، وحوصر القصر بجاويشية «ابو الدهب»، وهموا بنهبه اسوة ببقية القصور التى فر اصحابها، لكنها تصدت لهم، وواجهت كبيرهم، وهددته بانه قد يدفع رأسه ثمنا لأى خطأ يقع من رجاله، فقد حصلت على الأمان من «محمد ابو الدهب»، ولم تكن رأته او تحدثت اليه، الا فى حفل عقد قرانها .. وتراجع كبير الباشجاويشية، وظل يحرس القصر من موجات الفوضويين .. حتى اقبل الليل .. فلما دخل يستأذنها فى الانصراف .. امرت لهم بالعشاء،



● لم تكن تلك الأحاسيس التى تعتصر قلبه بقاصية على ذكاء مثل ذكائها الوقاد!

وبعشرة اكياس من الدنانير له ولرجاله ، ظل فى الحراسة حتى الصباح ..

وحينما علم «ابو الدهب» بالقصة ، اعجب بذكائها ، وصدق على روايتها .. الا ان هموم الحكم شغلته .. فقد خلا له الجو ، واصبح شيخ البلد بلا منازع ، فنسي القصة وصاحبتها ، الى ان برز بين يديه من مماليكه «اسماعيل اغا» الذى راح يتتبع اعداء استاذه ، ويوقع بهم الواحد بعد الاخر ، الى ان انتهى به الأمر الى اكبر منصب فى البلد بعد المشيخة ، فنودى به «كتخدا» اى الوزير الذى يحرك العسكر من كل الاجناس ، وتدين له جاويشية البلد ، وقادة الجنود

عاشق الذكاء

وفوجىء ابو الدهب يوما برسول قادم من «بغداد» .. من عند «رضوان بك» و «على اغا» يحمل عشرة الاف دينار ، وعدة قناطير من البن ، والسكر والاقمشة كمهر «لفاطمة هانم» ، حتى يسمح لها بالسفر الى بغداد ، لتزف الى عريسها !

هنا فقط تذكر «ابو الدهب» القصة ، واسترجع فى خياله .. ذكاء وفطنة هذه الانسانة التى لايجب ان تخرج من مصر فاجتمع بالمشايخ الذين حضروا عقدها ، وقال لهم إنه لا يريد ان يرسلها الى بغداد ، لأن الزوج الذى تركها وفر لايليق بها ، ولا يستحقها .. ولوانه جاء يطلبها بنفسه لما حجبها عنه ، لكن ان يظل هناك ، ويرسل فى طلبها وهى على هذا الجمال والذكاء ، فانه يرى ان فى ذلك إهانة ما بعدها إهانة .. وافتى علماء المالكية ان من حق ولى الامر ان يفسخ عقد القران لعدم التكافؤ ، فعاد الرسول الى بغداد ، ليقول لمن ارسله إن فاطمة هانم طلقت منه !

وذهب اليها «محمد ابو الدهب» .. جاء الى هذه القاعة ، وبرزت اليه من خلف التل «الدانتيلا» الابيض ، فلما ابلغها انه فعل كذا وكذا من اجلها فما قولها؟ اجابت بجنان ثابت : لقد صدقت على قولى الذى قلته عنك .. وهو ضد مصلحتك .. افلا اصدق على قولك فى .. وهو فى مصلحتى ؟!

واردفت قائلة :

● لو ان الرسول جاءنى ما قلت له غير الذى قلته ، وإنى لأشكر لك اهتمامك بى ، وحرصك على كرامتى .. وإذا لم يرع الوالى الكرامات فمن يرعاها ؟!

اتعلل اليد «ابو الدهب» ، ولولا ان له اربع زوجات لتزوجها .. فهو لا يرضى لها ان تكون محظية او من الجوارى ، ويتمنى لو انه استطاع ان يقول لها ذلك .. غير انه يخشى ان يجرحها او يخدشها وتلفظه !! [illegible] .. وهو يبحث عن كلام يقوله [illegible] .. تذكر ان وزيره «اسماعيل بك الصغير» وكتخداه غير متزوج .. فقالها .. إنه يخطبها اذا قبلت لوزير مصر وتلميذه ، وله عنده منزلة الابن ؟!

فقالت انها تسأل الله ان يطيل عمره .. حتى تنتهى ايام خروجها من القصر القديم .. ثم هى بعدها واحدة من رعاياه .. يرى فيها ما يراه .. !!

لم تكن تلك الاحاسيس التى تعتصر قلبه .. لتخفى على ذكاء مثل ذكائها ، وكان بوسعها لو ارادت ، ان ترفع رموشها فترميه فى اعماقه .. ثم تسحبها فاذا بدماء قلبه تسيل حتى تصبغ ملابسه ، فيجثو على ركبتيه ويسألها ان تتزوجه هو .. لا وزيره .. لكنها لحظتها لن تكون «فاطمة هانم رضوان» التى عشقها .. «فاطمة» التى رقصت القاهرة يوم عقد قرانها ، ولن تكون جديرة بان تصدر اوامرها الى كبير الباشجاويشية .. فيصدع به ، ويخالف امر «ابو الدهب» .. إن فعلتها فما كان يمكن ان تكون جديرة بذاتها !!

هى فوق الجميع

هى تعرف انه لا يعيا فى تحقيق اهدافه باى شىء .. لكنه نشأ مدللا .. اعطاه «على بك الكبير» كل شىء ، وهيا له كل امر ، دون مماليك مصر .. كان لايحمل فى جيبه الا الذهب .. تجرى وراءه كل الدنيا .. ولا يجرى هو خلف اى شىء .. اعتاد ان تاتيه الدنيا طائعة .. فكيف يسعى اليها وهو يطلبها ؟!.. اليس فى طلبها لوزيره رمزية يختفى خلفها ، حتى اذا رفضت تكون قد رفضت وزيره ، واذا قبلت كان له معها شأن آخر !

وهرع يخرج كانه يفر من خطر .. خطواته الثقيلة لم تعد هى .. لو بقى ليراها من خلف «التل» الابيض .. ذلك القوام الرائع ، والتكوين البديع .. ولو انها رفعت وجهها وعاجلته بنظرة من عينيها ، وزحفت عليه بشخصيتها .. لسقطت مشيخة البلد التى كان لا يجرؤ على ان يحلم بها «رضوان بك» لعبة فى يد ابنته !

هنيئا لك بها يا اسماعيل بك .. همس بها لنفسه .. عند باب القصر ، وهو يهم بركوب حصانه الذى امسك به الخدم .. كان يتكلم مع نفسه .. لو انها ابدت نحونا عطفا .. لاوليناها عطفا .. اما نحن فلا يجب ان نبدأ .. قال ذلك فى شىء اشبه بالهمسات .. ومضى !

ظلت ساعات تفكر .. فى النهاية اقتنعت بما فعلت .. فهى عنيدة شامخة .. ترى انها فوق الجميع .. وابو الدهب له نفس الاخلاق .. لهذا لم يلتقيا .. من المؤكد ان وزيره يختلف عنه .. لو كان مثله ما استوزره .. لهذا تشعر انها سوف تكون سعيدة .. لان كلمتها سوف تكون العليا !

وبدأت تصلها اخبار «اسماعيل بك» .. انه قرة عين «ابو الدهب» .. دموى .. قاتل .. مثله فى ذلك مثل بقية المماليك .. لكنه رائع الطلعة .. جميل التقاطيع .. باهى اللحية .. لبق الحديث .. كان ابو الدهب يختاره ليكون رسوله الى الاخرين .. واسع الحيلة .. داهية فى التفكير .. لو سارت الامور فى مجراها الطبيعى ، لتولى مشيخة البلد بعد استاذه .. إن لم يكن بالحيلة فبالقوة !



الصياد يحاصر الغزالة

أنا لا أبكي

وانتهت أيام العدة، وكان أبو الذهب قد حدث «إسماعيل بك» عنها، فجن جنونه، وأرسل إليها فلم ترده، وأقيم الحفل بعد تنفيذ شرطها الوحيد بأن تظل في قصر والدها.

وشهدت القاهرة تلك الليلة أعظم فرح شهدته القاهرة!

ظل «الشاشيه» يحملون الشمعدانات حول القصر حتى آذان الفجر.. ووزع على الفقراء مائة قنطار من الحنطة، وألف قنطار سكر، وذبح ثلاثمائة عجل، وثلاثمائة خروف، وعزفت جوقة «الأزبكية» ثلاث ليال من ليالي ألف ليلة وليلة!

وعلا ذكر «إسماعيل بك»، وجرى اسمه على كل لسان، وأحست «فاطمة» هانم أنها تتفوق معالمها بأيامه التعيسة، وينفي الخوف الطويلة التي عاشتها بعد فراق والدها.. عملت على دعم مركز زوجها، وتوطيد اسمه، فقد كانت ذات نشاط خلاق.. تهدي عظيم الهدايا في المناسبات والأعياد، وتكسو مئات الفقراء إذا أقبل رمضان، وتطعم الآلاف في عيد الأضحى.. ويقسم إسماعيل بك الصغير، كقطبا مصر!

جعلت من أيامها معه الحياة، تعرفها من ذاتها لذاتها، تتلذذ حبا صباح مساء.. لو أنه لم يكن أسير العواطف.. لاتحول إلى شاعر رقيق الأحاسيس.. يرى في النجوم معزوفة، ويرى في الوردة عين الشمس.. لكنه تشغله أمور الحكم، وتأخذه من نفسه مجالس المؤامرات.. لا يلتفت إلى شذى الزهرة الفواح التي حبست نفسها من أجله!

ابتسمت «شهيدة» صفية.. وانبثقت عينها دمعة.. مضت وفي لامبالاة عنها.. حتى سقطت على يد الجارية.. فقرعت مرة أخرى لما.. قالت الجارية.. فداك روحي يا سيدتي.. أتبكين..؟

أجابت «فاطمة» كأنها صحت في غفو.. صاحت في لهفة.. غيري توحشني فتدمع.. أنا لا أبكي.. أنا لا أبكي..

تركتها الجارية، وانصرفت.. كانت تعرف أنها تخاف أن يرى الآخرون دموعها.. إنها كانت تبكي، وداخلها كان يبكي أضعاف خارجها..

فرغم أنه لم يمض على زواجها منه أكثر من عامين، إلا أنه يفكر مثل أستهيع في الزواج من أرملة أخيه الذي مات عنها.. وقد كانت قبل زواجها من شقيقه محظية «الرضوان بك» والد «فاطمة»..





وعلمت أن سعيد أبو الدهب حاول أن يقصيه عن ذلك، وقال له إن ذلك قد يؤذي مشاعر الخاصة منهم، إلا أنه لم يصدع بالأمر، وأصر على بلوغ أهدافه. وخطب الأرملة فوافقت.. فلما أقبل يحمل الخبر إليها.. فقدت بريق عقلها كل أعصابها.. قالت له:

— فسألني إن كان ذلك يخصصني أم لا .. يجب أن تعلم أنني لن أوجه صفعة على نفسي .. وركلة على جماعتي .. والمتصدق لا يقدم .. الأمر الزوج كما تريد .. لكن تريد .. لكن أتنازل عنها لصيرتي .. فقد كانت هنا محاولة تقادها مع الجواري!

أزمة الغزالة

وبدأت الحرب بينهما في صمت، حتى ترى أنه لا معركة، وأنه لابد من أن يكون خصما لها .. ثقلته بحقارها له .. فلفة بالإزراء بقلق بضجعة .. وتشيعه بالمنفار يرمقه في طوال يومه!

وذات يوم فوجئت بجاريتها .. تدخل عليها باكية، وتطلب منها أن تحمي عنقها من الذبح، فلما سألتها عن السبب أخرجت الجارية من صدرها ورقة بها مسحوق أبيض .. قالت إن سيدها اسماعيل بك أعطاها إياه، وطلب أن يضعه هنا لها في الطعام، لكنها لا تستطيع أن تقدم على هذا الجرم، وإذا علم سيدها أنها أطلقتها عن المؤامرة فلن يتردد في قتلها!

فتلت يدها في هدوء وأخذت السم من الجارية .. قالت لها: قولي له إنك أديت المهمة، ومضيت بقطعتي ..

وبعد أيام .. ماتت فاطمة هانم رضوان .. ولم يعرف أحد كيف ماتت! الذي كشف سر انتحارها .. جاريتها الخاصة .. قالت إنها سألتها يوما لماذا تفعل الغزالة حينما يحاصرها أكثر من صياد، وتدرك أنها مقتولة لا محالة! قالت لها: تموت انتحارا .. تقفز من على الصخور .. أو تموت من الجري!

قالت الجارية .. إن سيدتها لعنت أساريرها وومض بريق في عينيها عندما قلت ذلك .. وهتفت: هذا هو الحل!

— وعلقت أحيانها لا عجزا ولا قهرا، إنما اعتزازا بقبل محاولاتها في الحياة حتى لا يذهب أسمى أيام عشلها بلا طائل .. خاصة بعد أن وجدت أن الحياة لا تستحق أن تقدم من أجلها التنازلات حتى لا نضعف ولا نتنازل عن هذا القدر الثمين الذي نقدمه في أعماقنا والذي نسميه في أقلب الأحوال الكرامة!

عبد المنعم الجداوي

حافظ أحمد أمين

مسرح العبث واللامعقول

لا يناسب العرب

المسرح الجاد ، في عصر ما ، وفي وطن ما ، يصور الازمات الحادة التي يحس بها المواطنون في ذلك العصر احساسا قويا عميقا . كان المسرح العربي الجاد - مثلا - يهاجم الاستعمار عندما كان احساس العرب به احساسا جماعيا عنيفا . وقد كانت أول مسرحية لتوفيق الحكيم عام ١٩١٩ (الضيف الثقيل) تعريضا بالاستعمار مثل (المطرة الطيبة) و (شهرزاد) .... الخ .

فلما ألقى الاستعمار عصبه وراءه حكام من أهل البلاد يأتمرون بأمره ، انتقلت الازمة من ازمة احساس بالمستعمر الى ازمة احساس بالظلم الاجتماعي ، فلما قامت الثورات في الوطن العربي ، وسمحت للمسرح أن يعبر عن هذا الظلم ، تركز الصراع في المسرحيات الجادة حول الصراع الطبقي . فلما انتقلت الازمة مرة ثانية من ازمة احساس بالظلم الاجتماعي ، الى ازمة فساد سياسي ، انتقل توفيق الحكيم من (الصفقة) الى (السلطان الحائر) وانتقل يوسف ادريس من (ملك القطن) الى (المخططين) .. وهكذا .

ومؤلفو المسرح الجاد هم - عادة - أشد الناس احساسا بالازمات الحادة لدى مواطنيهم وأقدر الناس على التعبير عنها بعمق وصدق كبيرين ، ولهذا نرى بعض المؤلفين المسرحيين الناجحين يتوقفون تماما عن الكتابة اذا ما تغيرت الازمات الحادة الى أزمات من نوع آخر ، وذلك لعدم احساسهم بالازمات الجديدة بنفس العمق والقوة .

الغضب والاحتجاج

ومسرح العبث واللامعقول - لا شك - مسرح المثقفين الاوروبيين في العصر الحديث ، لانه هو المسرح الذي يعبر عن أزمتهم الجديدة الحادة . وهي ازمة بدأت مظاهرها بعد الحرب العالمية الاولى ، الحرب التي فجرت في نفس الاوروبي مشاعر الغضب والاحتجاج ، ورفض النظم والقيم السائدة في ذلك الوقت ، حتى ظهرت فنون السريالية والدادية ومسرح الاحتجاج .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بدأ الانسان الاوروبي يكفر بالدين والكنيسة ويثور على القيم والتقاليد السائدة ولكن بدلا من الايمان بالدين ... واستبداله بالكفر بالدين ، ولكن الآمال العريضة بالتكنولوجيا بمثل الغضب والاحتجاج ، وتوهم الناس أن يبلغوا السعادة الكاملة اذا ما نجح العلم في القضاء على الفقر والجهل والمرض ، اسباب البؤس والشقاء في ذلك الوقت .

ولم يمض وقت طويل حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت آلامها ومصائبها فوق درجة التصور ، فضاع الايمان بالعلم والتكنولوجيا كما ضاع من قبله الايمان بالاله وبالقدر ، وساد الكفر بالمنطق والتفكير بعد أن كان الكفر فقط بالانظمة والقوانين ، وانتشرت مشاعر اليأس والمرارة بعد أن سادت مشاعر السخط والغضب ، وجاء مؤلفون للمسرح تمتلىء نفوسهم باحاسيس الخيبة والضياع ، ونعرف من حياتهم أنها كانت حياة يسودها الغربة والوحدة والانطواء ، جاءوا ليكتبوا كلاما يقطر عذابا وشقاء ، وليعبروا عن قسوة الحياة وفظاعتها ، هذه الحياة التي أصبحت بلا معنى ولا غرض ، وعرضوا مسرحياتهم فأقبل عليها جمهور المثقفين اقبالا كبيرا ، اذ وجدوا فيها تصورا صادقا لمشاعرهم .

لا تفكير ولا منطق

والانسان - عادة - يميل الى وصف الحياة كلها بالصفة التي تصبغ حياته هو ، وينسى أن الحياة لها امتدادات في المكان والزمان ، فان قاسى - مثلا - من أمه أو زوجته ، فالمرأة عنده جنس منحط ، وان شعر بالعزلة والوحدة فالحياة كلها قاسية ظالمة وان شعر بالضجر أو القلق ، فالحياة - على وجه العموم - رتيبة مملة ، وان شعر باليأس والخيبة ، فالحياة كلها عبث لا معنى لها ، وهذه كلها

سيد درويش

توفيق الحكيم

يوسف ادريس

● كُتّاب المسرح الجاد هم أشد الناس إحساساً بالأزمات الحادة لمواطنيهم.

● الإنسان يميل إلى وصف الحياة كلها بالصفة التي تصبغ حياته هو.

● مسرح العبث يطالب جمهوره بعدم إعمال العقل لكي يمكن السيطرة عليهم.

أفكار ومشاعر قد تريح صاحبها بعض الوقت ، لانها تساعده على الهرب من التفكير في مراجعة الماضي ومن النظر الى المستقبل ، ولانها تعفيه من البحث عن حقيقة الحياة في قيم وأوطان اخرى ، ولكن هذا الهرب والوهم ، وهذه الراحة الوقتية ، أمور خطيرة مفسدة ، تعطل أية محاولة للاصلاح والبناء .

ان مسرح العبث يطالب جمهوره بعدم اعمال العقل ، حتى يستطيع أن يسيطر على المتفرجين كما يسيطر المنوم المغناطيسي على جمهوره حين يطلب منه الاستسلام التام وعدم بذل أية مقاومة ، ولعل سبب اقبال الجمهور على هذا المسرح هو أنه جمهور مجهد منهك ، لا يريد اعمال عقله ، فلا يطلب من العروض المسرحية الا كما يطلب من طقوس الرقي والتعزيم والذكر والسحر .

لهذا فان الترجمة الامينة لمسرح العبث الى اللغة العربية – والى آية لغة اخرى – عملية محكوم عليها بالفشل ، لأن الترجمة الأمينة تعني تفكيرا منطقيا ، ومسرح اللامعقول يرفض أصلا التفكير والمنطق . كذلك فان التأليف على منواله محكوم عليه أيضا بالفشل ، لأن المتفرج العربي لم يبلغ به الكفر بالحياة بعد الدرجة التي بلغها الانسان الغربي .

الضحك الأسود !

لقد كان لطول الفترة التي امضاها الانسان الغربي الحديث في كفر بالله ، وايمان شديد بالعلم والتكنولوجيا ، اثرهما في تمثيل العلاقات الجديدة بين الناس ، تلك العلاقات التي صنعتها الآلة وحياة المدن الكبيرة بين افراد الاسرة وبين مجموعات العمل ، وهي علاقات – وان زاد عددها واتسعت مجالاتها – لا عمق فيها ولا مشاركة ، فكانت وراء احساس الانسان بالوحدة القاتلة ، والغربة المميتة ، ومن هنا جاءت مسرحيات العبث لتصور ابطالها غير قادرين على التوافق مع من حولهم من الناس ، لا يستمعون الى من يتحدثون اليهم ، ولا يفهمون ما يقال لهم ، وكذلك [illegible] الاحتكام والتفاهم .

[illegible] في [illegible] الأمر – [illegible] ما نعيه في مستوياته [illegible] الآخرين ، [illegible] لا نحس بالناس ولا يحسون بنا ، ولا [illegible] ولا يتذكرون [illegible] [illegible] .

وهذا ما تمثله [illegible] العلاقات الجديدة بعلاقة الفرد بالمرأة وبزملائه في العمل ، فقد حكمت التكنولوجيا على الانسان الحديث بأن يعيش منطويا على نفسه ، مستغرقا في ذاته ، علاقته بمن حوله علاقة سطحية عزيلة ، والصلات بهم اتصالات مزيفة خاطئة ، ولقد بالغت مسرحيات اللامعقول في تصوير مثل هذه العلاقات ، فجعلت الزوج لا يعرف زوجته ، وجعلت الحديث بين الصديقين لا يربطه منطق أو معنى ... الخ . فجاءت المسرحيات أقرب الى الكوميديات الضاحكة ، ولكن الضحك فيها ضحك أسود ، لانه يعبر عن سخرية انسان متوتر ، يريد المؤلف أن يوصل التوتر عن طريق اقناع المتفرج بأن كل شيء زائف زائل ، حتى الثقافة والحضارة والكلام والمنطق ، كلها أمور باطلة ، عديمة النفع والجدوى .

لقد أدى الايقاع الشرس لحياة الغربيين في المدن الكبيرة ، والسيطرة الكاملة للمكونات على هذه الحياة ، الى أسى الناس بطالة عاتهم ، ولقد فهم المثقف الغربي أن التكنولوجيا المتقدمة هي التي تقف وراء كل هذا ، وأنه لا يستطيع التراجع من هذه التكنولوجيا بعد أن تذوق ثمارها ، كما لا تستطيع المومس أن ترجع عذراء طاهرة .

ورغم الاوهام التي تدخلها الحكومات والمؤسسات الكبيرة في عقل الانسان الغربي ، بأنه حر ، له كل حقوق التعبير والاختيار ، فقد اكتشف المثقف الغربي أن هذه الحكومات والمؤسسات تسيطر على كل كبيرة وصغيرة في حياته ، وأنه لا أمل في تحررها من هذه السيطرة ، ومن هنا سادت مشاعر اليأس والاحباط ، وجاء مسرح العبث ليكسر الأوهام التي توهم بأن الانسان ما زال حرا أو غير وحيد ، ولقد استخدم هذا المسرح أسلوب المبالغة والتهويل ليصدم الناس بالحقيقة المرة ، وهي أنهم غير أحرار وغير أحياء .

لقد أدت سيطرة التكنولوجيا والحكومات والمؤسسات الكبيرة على حياة الانسان الغربي ، الى الكفر بالمعتقدات ، والعزلة القاتلة ، فكان مسرح العبث واللامعقول تصويرا صادقا لهذه الحياة ، وهو مسرح لا يمكن أن يقبله وجدان المثقف العربي – وان فهم سببه ودوافعه – ذلك لأن العربي – بطبيعته – انسان مؤمن . مؤمن بالله وبرحمته وعدالته ، مؤمن بالحياة وعظمتها وخيراتها ، مؤمن بقيم العاطفة والتماسك بين الناس ، تنحصر آماله وأحلامه في الانتفاع بالعلم دون تقديسه ، واستخدام الآلة دون عبادتها .

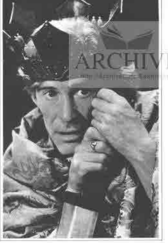
حافظ أحمد أمين

محمد ابو طالب

ماكبث

«بيتر اوتول» بين النشوة والغرور

● رغم ان اوتول اراد ماكبث من قبل، الا انه ليس غريبا على مسرح شكسبير



في الاسبوع الاول من سبتمبر الماضي افتتح مسرح «اولدفيك» موسمه الاول برائعة شكسبير «ماكبث» حيث قام بالبطولة الممثل العالمي «بيتر اوتول» واخرجها «بريان فوربس» صديقه القديم.

والمعروف ان مسرح «اولدفيك» من احب المسارح الى قلوب المشاهدين في لندن نظرا لتاريخه القديم وارتباطه في الاذهان بالاعمال الجادة وعلى وجه الخصوص اعمال وليام شكسبير. ورغم انه مرت به عدة تغييرات منذ ان افتتح عام ١٨١٨ تحت اسم «مسرح كوبرج الملكي» حيث لم تمض عدة سنوات حتى تغير اسمه الى «مسرح فيكتوريا» الذي صار فيما بعد «اولدفيك».

وقد غلبت الميلودراما على الفاجعة خلال الخمسين سنة الاولى وان كان يقدم بين الحين والاخر اعمالا لشكسبير لكن الطابع الخشن كان مسيطرا على وجه العموم مما جعل النقاد يصفون الفاجعة في تلك الحين بانه مناسب لجمهور يتميز بالصلافة والفجر.

في عام ١٨٨٠ انتشلت «ايما كونز» هذا المسرح من مستواه المتدني لتحوله الى مقهى وقاعة للموسيقى حيث كان يقدم المنوعات و«الكونسرتات». استمر ذلك حتى الت الادارة الى «ليليان بايليس» بعد موت «ايما» عام ١٩١٢.

تحت ادارة «ليليان بايليس» اكتسب المسرح شهرة عظيمة تخطت حدوده المحلية وبدا انتاج الدراما وبشكل رئيسي اعمال شكسبير.

وجدير بالذكر ان المسرح تعرض للقصف عام ١٩٤١ مما اضطر الفرقة للعمل على مسارح اخرى الى ان افتتح من جديد عام ١٩٥٠.

افتتحت المسرحية لتواجه بعاصفة من سخطات الجمهور وازدراء النقاد





بيتر اوتول

منذ عامين بدأ المسئولون عن مسرح «اولدفيك» التفاوض مع الممثل العالمي المعروف «بيتر اوتول»، وكان الاعتقاد ان اسم النجم وشهرته قد يزيد من اقبال الجمهور ويضفي طابعاً جديداً على انتاج المسرح.

ورغم ان «اوتول» لم يمثل «ماكبث» من قبل الا انه ليس غريباً على مسرح شكسبير فقد مثل «شايلوك» منذ عشرين عاماً كما ادى دور «هاملت» في اول انتاج للمسرح الوطني، وارتبط عام ١٩٦٢ بمسرح «اولدفيك» بعد ان مثل «لورانس العرب» وقبل ان يقوم بتمثيل عدة افلام منها «كيف تسرق مليون دولار» تلك التي رشحته لان يكون خليفة «كاري جرانت» بما كان يتسم به من الاناقة الشديدة والمكانة العظيمة في قلوب المشاهدين.

والمعروف ان «اوتول» كان ناجحاً ولامعاً في ادواره التاريخية التي مثلها في السينما مثل دور «هنري الثاني» في «بيكيت» على سبيل المثال.

«ماكبث» و «اوتول»

منذ ثلاث سنوات عندما اعجب «اوتول» بالممثل الانجليزي «فرانك جوبلايم» وهو يمثل «ماكبث» في بريستول تولدت لديه الرغبة في تمثيل الدور رغم الهواجس الكثيرة التي تدور حول المسرحية، حيث ينظر اليها الممثلون نظرة تكاد تخلو من التفاؤل لكثرة المصادفات غير السعيدة التي تصاحب عرضها، حتى ان «سير جون جيلجود» قرر ان هناك شيئاً ما عندما مات ثلاثة اشخاص اثناء تمثيله المسرحية عام ١٩٤٢، و «بيتر اوتول» نفسه فقدت زوجته من «سيان فيليبس» واصطدمت سيارته بحرف صخري بمجرد بدء التفاوض بخصوص المسرحية.

الجمهور والنقاد

يبدو كما قال «سير جون جيلجود» ان هناك شيئاً ما غير معروف بخصوص هذه المسرحية فبالرغم من الدعايات الدقيقة والتحقيقات الصحفية واحاديث التليفزيون والاذاعة التي سبقت العرض ورغم الامل الكبير الذي احتشد به تحقيق «اوتول» وعشاق شكسبير، جاءت الليلة الاولى لعرض المسرحية بما لا تشتهي السفن.

افتتحت «الستراتفورد» مساء الثالث من سبتمبر الماضي لتواجه بعاصفة من سخطات الجمهور وازدراء النقاد، ورغم ان الاطراء الوحيد كان في جريدة «ديلي تلجراف» الا انه جاء سخيفاً وتحت عنوان «اوتول وفقدان الذوق السليم». اما في «الجارديان» فقد كان الهجوم عنيفاً حيث وصف «مايكل بلنجتون» العرض بانه مغامرة مخجلة، واخذ على «اوتول» عدم مقدرته على التنويع في درجات صوته مما جعل القاء المقاطع جميعاً بصوت عال وعلى وتيرة واحدة فتعجب كل المشاهدين من عدم الاستجابة الذين لم يسمعوا ابداً شكسبير على حد تعبيره، كما اخذ عليه ايضاً عدم التفريق في الاداء بين مناجاة النفس والكلام الواضح الصريح، مضيفاً الى ذلك فشل «اوتول» في التمييز بين اشارات التهكم البسيطة وبين الضحك وبين التمثيل الجيد.



ماكبث

بيتر اوتول - بين قسوة النقاد... والجمهور

كان من رأي مدير مسرح اولدفيك ان اوتول

رجل موهوب جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور


بيتر اوتول مع ثلاث ممثلات

وفي جريدة الفاينشال تايمز انتقده نقادها الفني لعدم قدرته على ابراز أي فارق بين «ماكبث» الشاب الطموح في الفصل الأول و «ماكبث» منهك القوى في نهاية المسرحية.

اما «بيتر اوتول» عندما سئل عن العرض كان كل ما استطاع قوله هو ان المسرحية كانت مناسبة للجمهور وانه سيكون احسن فيما بعد . وعندما طلب منه تفسير لضحكات الجمهور الذي كان الجمهور لم يضحك بما فيه الكفاية حيث لم يستوعب الكثلث ان المسرحية حسب رؤيته بداية في الطرافة وتحتوي كما قائلا على النهاية.

ومن ناحية اخرى كان المدير الفني لمسرح «اولدفيك» «تيموثي وست» يحاول بقدر ما يستطيع ان يبعد نفسه عن تلك النهاية المحزنة . وكان من رأيه ان «اوتول» رجل موهوب ، جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور حيث اصر على ان تكون له السيطرة الكلية على المسرحية متجاهلا النصيحة في كيفية العرض وتمثيل الدور ، وقد عبر من خلال الاذاعة البريطانية عن اعتقاده بان «اوتول» لم يخلق علاقة جيدة بينه وبين الممثلين على خشبة المسرح مما ادى الى تعثر طاقم المسرحية بالكامل .

ووافق «ويست» النقاد في ارائهم وارجع سبب الفشل الى ان «اوتول» و «بريان فوربس» مخرج المسرحية عبر التطور الثاني عملا معظم الوقت في وسط اخر ولم يخطيا خطوة تامة في الطريق الذي يتحرك عليه المسرح الكلاسيكي ، فكانا بعيدين كل البعد عن التطور الذي وصل اليه في الوقت الحاضر مما حدا باحد النقاد الى ان يصف العمل بانه اعاد الجمهور مئات السنين الى الخلف .

محمد ابو طالب

مرور ثلاثة قرون على انشاء الكوميدي فرانسيز

«بيت موليير» او الكوميدي فرانسيز اقدم مسرح معاصر في العالم مر على تأسيسه ثلاثة قرون منذ ان اصدر لويس الرابع عشر امرا ملكيا بذلك في ٢٥ اغسطس عام ١٦٨٠ .

عندما كان «لويس الرابع عشر» في زيارة لحصنه بالشمال علم بموت الممثل المشهور «لاتوريليير» قائد الفرقة الملكية المتخصصة في تمثيل تراجيديات راسين والتي كانت المنافس الاعظم لفرقة «الملك الكوميدية» بقيادة «موليير» المتوفي قبل ذلك بسبع سنوات .

تولدت الرغبة عند الملك في ان يجتمع كل الممثلين الذين تحت رعايته في مسرح واحد ليمثلوا الاعمال المسرحية الفرنسية ، فاصدر امره المشهور والذي مازال محفوظا في ارشيف الكوميدي فرانسيز في باريس .

ويحتل الكوميدي فرانسيز الجناح الجنوبي الغربي من القصر الملكي «صالة ريشيليو» منذ عام ١٨٠٣ بعد ان اعيد تكوين الفرقة مرة اخرى بعد ان تفرقت اثناء الثورة الفرنسية وتكونت من عدد من الممثلين برئاسة «تلما» حيث اعانتها الدولة بالدعم المالي ونظمت بمقتضى «مرسوم موسكو» الذي اصدره نابليون عام ١٨١٢ .

ومن الطبيعي خلال تلك القرون الطويلة ان تمر بالمسرح ظروف واحداث كثيرة ومتباينة ، ففي عام ١٩٠٠ تعرض المسرح للحريق مما ادى الى تدمير جزء كبير منه ، ورغم ان الفرقة تتكون من ٢٧ ممثلا إلا انه في منتصف هذا القرن تضاعف هذا العدد ثلاث مرات بالاضافة الى طاقم الفنيين والاداريين .

ولكن رغم مرور ثلاثمائة عام وخمسة ملوك وامبراطورين وسبعة عشر رئيسا وخمس جمهوريات إلا ان الكوميدي فرانسيز ظل محتفظا بكيانه وبريقه واشعاعه ومكانته لدى محبي المسرح للمقدرة الفائقة على التغيير والتطور بما يواكب الزمن .



والحب له وجه ثالث

شعر: عبدالمنعم عواد يوسف

لا ، لم تكن انت ••
اقسمت انك لم تكونيها ••
لا لا ، ولم يك ملمح منك ••
او لمسة فيها ••
الوجه غير الوجه ، كان الوجه بستانا ،
وهذا الوجه مسخ كالح ، اقعى بطل السمو من فيها ••
لا ، لم تكن انت ••
لا ، لم تكونيها

••

لا ، لم تكن انت
لا ، لم تكونيها ••
تلك التي قد اغلقت في وجهي البابا ، ••
هذا الصباح ، وادبرت عني ••
لا ، لم تكونيها ••
ان التي بالامس صافحني طيب الشذا فيها ••
كانت سحابة رحمة وندى ، كان الغمام رطبي يوافيها ••
كانت رحيق منى يباركنا ••
كف الشو لطوف بالمنيت ••
كانت ، فهل يتغير الانسان ؟ ••
قولي ، هل تغيرت ؟ ••
لا ، لم تكن انت ••
لا ، لم تكونيها ••

••

اني اسائل وجهك الامسي ،
وجها لم يزل في خاطري بهيا ••
في خاطري ، كالامس ، وجها رائقا نضرا ••
وجها يبث مشاعرا خضرا ••
اترى ضلت الدرب ،
ما من كنت ملء الامس
الازهار والعطر ••
[illegible] السحابة ؟ ،
ام [illegible]
ضل الطريق اليك احساسي ؟ ••
العطر كان الامس يرشفني
يقود خطاي ،
كان العطر نبراسي ••
واليوم لا عطر يقود خطاي ،
جف العطر بالكاس ••
لا ، لم تكن انت ••
لا ، لم تكونيها
اني ضللت الدرب ،
كان العطر منسأتي ،
اجل كان الاريج اليك عكازي ••
من يرشد الاعمى سوى عكازه
وتليب القاسي ؟ ••
اترى ضللت الدرب ،
ام ضل الطريق اليك احساسي ؟ ••

● حواجز في لمح البصر ، تلخص كل الخلل الذي أصاب حياة المواطن العادي

مشاهد بيروتية

في مدينة محصورة بين الجبل والبحر والبارود

جمال الغيطاني

وصلت الى مطار بيروت الواقع بين الجبل والبحر ، الخضرة تكسو الجبل الذي تتسلق مرتفعاته حتى تحد الافق ، عدد الطائرات فوق ارض المطار قليل ، بعكس ما رأيت عام ١٩٧٣ ، عندما جئت لأول مرة الى بيروت .

في صالة المطار تبدو أولى ملامح الوضع الخاص ، المسدسات تبرز واضحة حول خصور رجال الأمن ، اولئك الذين يرتدون الملابس الرسمية ، او المدنية ، أحدهم مديد القامة ، يطوف في القاعة ، قلق العينين ، في نظراته حدة شرسة سوف ارصدها كثيرا فيما بعد ، خاصة في عيون المسلحين الذين يقفون عند النواصي ، وداخل الأكشاك المؤقتة ، وعند الحواجز ، انها النظرات التي تصلبت واكتست بقسوة من اتون الحرب ، عندما يواجه الانسان الانسان ، وتتفجر الكراهية الى اقصى مدى ، كراهية لحظة الاشتباك لحظة ان يركز الانسان كل كيانه من اجل افناء الآخر وابادته وإذا ما استقر السلم ربما فان هذه النظرة الحادة تشحب من العيون ، لكن بقاءها حتى الآن يعني ان الظروف لاتزال متأزمة ، وان الحرب لم تتوار ..

في الطريق من المطار الى المدينة عدة حواجز ، كلمة حاجز من الكلمات المرتبطة بالحرب الاهلية اللبنانية ، والتي ترددت كثيرا في الأخبار والكتب والحكايات ، الحاجز الذي يقيمه المسلحون ، حواجز ثابتة للتأكد من شخصيات المارة ، وحواجز مفاجئة تقام في لمح البصر لاحتجاز عدد من الرهائن ، او لاختطاف عدد ما ، إما كعمل انتقامي ، او للرد على طرف آخر ، في أي مكان يمكن أن تقام الحواجز الطيارة ، وفي كل مكان ترى الحواجز الثابتة ، في الحاجز يتلخص كل الخلل الذي اعترض الحياة العادية .

ملامح المدينة

– من يعرف بيروت الماضي ، بيروت ماقبل الحرب ، يمكنه ان يدرك بسهولة التغيير ، البثور التي ظهرت فوق الوجه الجميل ، القروح التي أصابت الملامح ، عند زوايا الطرقات ، والنواحي ، تتجمع أكوام القمامة شيء عادي مع ضعف اجهزة الخدمات ، فوق واجهات المباني الانيقة ، تبدو احيانا نقر احدثتها الشظايا ، تتزايد هذه الحفر وآثار القذائف كلما اقتربنا من المنطقة التي تفصل بيروت الشرقية عن بيروت الغربية ، في منطقة الأسواق ، جاليري سمعان ، وهذه الاسماء ترددت كثيرا في الإذاعات خلال حرب السنتين ..

المشهد الحزين

انقسمت بيروت بالفعل .. وما اصعب ان تنقسم مدينة ، مدينة كانت تمثل وحدة واحدة ، يؤدي كل شارع منها الى الشارع الآخر ، الآن اصبحت الشوارع تنتهي فجاة ، امتداداتها تتوقف فجاة ، يصبح التقدم فيها مخاطرة ، يصبح الانسان معرضا لرصاص القنص ، يوجد كوبري علوي يخترق بيروت من اقصى نقطة في الغرب ، وحتى الشرق ، انه غير مستخدم الآن ، الاستمرار فيه يعني الاندفاع الى المخاطرة ، لكن هذا لا يعني ان الحركة قد توقفت تماما ، ان اهالي الطرفين يتنقلون بين هذا القسم وذاك ، ولكن وفقا لظروف معينة ، اما منطقة الاسواق فلم تهدأ بعد ، في الليل جرى القتال استخدمت فيه المدفعية الثقيلة ،





● إرادة الحياة الفذة
تثير اعجاب أي انسان يعايش الحياة اللبنانية

● منذ ما رواية الاشبال
اطفالا وتتفجر كراهية لحظة الاقتتال

● صديقي الذي التحق بصفوف المقاومة
طلب قصة حزيران والتقيته بالصدفة ؟

من غرفتي في الفندق الذي يقع في منطقة الحمراءكنت اصغى الى الانفجارات .

إرادة الحياة

الموت هنا «بينما» ..

تسمع ان فلانا مات «بينما» كان يعبر الطريق ..او شخص مات «بينما» كان يقف الى جوار سيارة ملغومة ..

ونترك كلمة «بينما» لنجد ان المتاجر مزدانة باحدث انواع البضائع ، باعة الخضر عند النواصي ، الكرز يتصدر سلال الفاكهة ، الملاهي الليلية تغرق في الاضواء ، دور السينما تعمل وفقا للنظام العادى ، تنتهي اخر حفلاتها في الثانية عشرة عند منتصف الليل ، السيارات تمرق عبر الطرقات طوال الليل ، السهر داخل البيوت وخارجها ، الحياة لم تتوقف ابدا ، تمضي في شكلها العادى بل وتنمو تحت ظلال الخطر ، الحياة الثقافية تشهد الجديد ، مسرحيات جديدة ، دور نشر جديدة ، سيل من الكتب لاتزال المطابع تخرجه كل يوم ، بيروت تواصل دورها في طبع الكتاب العربي ، مجلات جديدة تظهر

في منطقة الحمراء خمسة دور سينما جديدة ، في شارع كورنيش المزرعة خلاطات ضخمة تصب الاسمنت ، تخلطه بالزلط ، مبانى جديدة متعددة الطوابق ، في منطقة الروشة كازينو ضخم ملاصق للبحر .

حدث هذا كله بعد الحرب ، ارتفعت الجدران واضيفت الزخارف ، وانفقت ملايين الليرات ، مع ان اصحابها يعلمون جيدا ان هذا من الممكن ان يتبدد في لحظة لو انفجرت سيارة ملغومة او لو سقطت قنبلة ، او دارت معركة لأي سبب من الاسباب ، ان إرادة الحياة الفذة التي تتجلى لدى هذا الشعب العربي الصغير تثير اعجاب اي انسان يعايش الحياة اللبنانية ولو لأيام معدودة .

الصخب على الليل

دفعات من طلقات الكلاشنكوف

دفعات لاتتوقف طوال الليل او النهار تبدو اكثر وضوحا في الليل ، اصبحت شيئا عاديا ، اكتسبت الآن خبرة ، وقدرة على معرفة المصدر والاتجاه والهدف .

في شرفة منزل الصديق الفنان حلمي التوني الليل يتقدم بوغل ، الجلسة تضم عددا من الاصدقاء اللبنانيين والمصريين ، طلال سلمان الصحفي اللبناني البارز ، سليمان صبح المثقف السوري وصاحب دار «ابن رشد» للنشر ، والناقد الادبي الفلسطيني «فيصل دراج» ، ومحمود احمد الصحفي المصري ، الدكتور على مختار ، وعدد من الاصدقاء ، يتشعب الحديث ، وتسود حميمية ربما لا القاها الا في السفر ، في المنزل المقابل تلمع الاضواء في احدى الشقق ، يبدو ان ثمة احتفالا عائليا ، ثمة تصفيق ، وغناء قديم للمطربة «نور الهدى» امنت بالله ، ثم ينتظم ايقاع التصفيق وتبدو امرأة طويلة الشعر ترقص .

تحت في الشارع تدوى طلقات مدفع سريع الطلقات ، تستمر دقائق ثم تتوقف فجأة .

على الطريقة اللبنانية

طلقات متتابعة ، مكثفة ، ابواق سيارات ، رتل متتابع ، احدى السيارات محاطة بالورود ، تدوى الطلقات ، طلقات مدافع ، ومسدسات ..

إنه عرس على الطريقة اللبنانية الآن ...

الصديق القديم

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ اتخذ قراره غادر القاهرة ، والتحق بصفوف المقاومة الفلسطينية ، مناضل مصري قديم ، كلما تذكرته استعنت بما اعرفه عنه على مواجهة الايام الصعاب ، في سنة ١٩٧٣ كان همي ان اراه في بيروت ، وفشلت تماما في اللقاء به ، حتى قابلته صدفة في احدى عربات التاكسي السرفيس ، وفي هذه المرة سعيت اليه ، اتجهت الى مكان ما في بيروت الغربية ، عند إحدى النواصي لمحت رجلا في الاربعين ، يرتدى قميصا وبنطلونا مدنيا ، يحمل رشاشا ، قوامه قوام اب ولديه







اطفال ، انها تلك المرحلة من العمر التي يعصف فيها العمر . مثله كان يجب أن يكون لديه بيت ، ومنزل ، وعمل ، لكن مثل هذه العناصر لايمكن أن تتوفر الا في وطن ، والوطن مغتصب ، عندئذ تصبح الحياة الشخصية مبددة ، والمصير مجهول . عند ناحية الشارع كان هناك شاب يرتدي الزي العسكري ينتظم المرور ، إنه في مقتبل العمر ، لم يتجاوز العشرين سعيت الى صديقي ، في احدى الحجرات المتواضعة التقيت به ، كان يجلس الى مكتب قديم ، وخلفه لوح خشبي فوقه بطانيتين بناه فوقهما ، كان لقاء حارا ، دوت طلقات متتابعة ، فهذه منطقة مستهدفة ليس من قوى محلية فقط ، انما من قوى عديدة لها وزنها في هذا العالم ..

الخلفية الكئيبة

دمرت أسواق بيروت ، سوق سرسق ، باب ادريس ، سوق الصاغة ، ومع حركة الهجرة التي شهدتها بيروت ، هجرة الاهالي ، خاصة من الشرق الى الغرب ، ونشوء مناطق سكنية جديدة زحفت حتى احاطت بالمطار ، انتقلت الأسواق ايضا ، استقرت في منطقة الروشة ، صف طويل من الاكشاك الخشبية تضم المتاجر والدكاكين ، سوق ضخمة تمتد عدة كيلومترات محاذية للشاطىء .

بحمدون ، الجبل اللبناني ، متوالية من المرتفعات ، البيوت المبنية من الحجارة ، المقاهي المطلة على الجرف ، شرفات جميلة يتجاور فيها مدخنو النرجيلة . للطبيعة هنا سحر خاص ، الجبل الصخري تكسوه الخضرة ، الطريق العريض تعبره سيارات قادمة من أوروبا او متجهة اليها ، الطرقات ضيقة مرتفعة ومنحدرة ، من شرفة منزل الصديق فؤاد عيتاني رحت ارقب نزول الليل ، مع الغروب أصبح الضوء شفافا ، والقامات محددة ، واضحة ، ازرق غروب رأيته ، اكثر التحولات شفافية ورقة . في الليل تناثرت الاضواء المنبعثة من البيوت التي لا تتجاور على خط واحد ، تموج الليل الصامت ، مع تقدم الليل بدأت اضواء عديدة تخبو ، وعند منتصفه سمع دوي بعيد ، انها المدفعية الثقيلة في الجنوب ، كانت الانفجارات البعيدة تشكل الخلفية الكئيبة لهذا الليل الجبلي الشفاف .

[illegible] الزلزال

[illegible]

لما حدث الزلزال في بيروت وصيدا ، انحسرت المياه عن البحر الى مسافة ميلين فانكشفت اعماق البحر وظهرت فيه سفن مشحونة بالبضائع ومال كثير فحمل الطمع الاهليين ولم يردهم الخوف فنفذوا ليحرزوا تلك [illegible]

الكنوز فحملوها راجعين بسرعة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فاغرقتهم جميعا . اما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بأنفسهم من الغرق الا أن جدران الابنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم ، وانتشر الحريق في المدينة بعد خرابها ثمة شهرين فحول مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس » .

ونزل حريق ببيروت بعد ذلك بفترة وجيزة ، وراح احد المعاصرين يتكلم بلسانها :

« وبلاء ، انا الشام التي حطه واسواها

حالا ، رأت عيني جثث ابنائي متراكمة

في ساحاتي دفعتين في ظرف تسع

سنوات ، رماني (فولكان) اله النار

بسهامه المتقدة بعد أن صدمني (نبتون)

اله البحر بتياره الهائل ، وا اسفي على

بهائي السابق ، قضه الدهر فحالني

الى رماد ، فيا عابري الطريق ابكوا لسوء

طالعي ، واندبوا بيروت المضمحلة »

هل تعود ؟

اقلعت الطائرة ، حلقت مباشرة فوق البحر ، لم تمر فوق بيروت ، حلقت المدينة ورائي بكل ما فيها ، محصورة بين الجبل والبحر ، لها زمنها الخاص ، ثمة احساس حزين ، وتساؤل ، هل تعود بيروت الى زمانها القديم ؟

جمال الغيطاني

أوجـــاع الظـــهـر

ذات يوم مشرق منذ عشرة ملايين سنة كان السيد رامـا بيتيكس وزوجته واطفالهما يبحثون عن الفاكهة في احدى الغابات الافريقية ، ومثل ابناء عمومتهم من الحيوانات العليا ، كانوا يتقافزون في رشاقة من مكان لآخر بحثا عن الفاكهة وثمر التمر الهندي ، ولكن ذلك اليوم كان مختلفا عن غيره من الأيام ، فقد هبت عاصفة رعدية اسقطت كل الثمار من غصونها ، مما فرض على عائلة راما ان تهبط من الاشجار لتؤمن لنفسها لقمة تطعمها .

وكان منظرهم وهم يتحركون على اربع شيئا مزعجا ، ويعرضهم لاخطار هجوم الحيوانات الضارية ، وتحريك طولهم لمزيد عن ثلاثة اقدام ، وما كانوا في امكانهم على الارض قادرين على ابصار ما يغلو من الحشائش الطويلة . ولذا وجد راما واهله انفسهم فجأة مواجهين بشر خرافي من ذلك النوع الذي تسببه تماما الاسطح الحادة القاطعة .

وكانت الطفلة بحيلة المثل لمن يريد النهوض ، ابيها بحثا عن عكس وسلامة ، وفي لحظة من التجلي الذي يسببه الخوف ، تحاول راما صخرة بكلتا قدميه الاماميتين ، وتراجع واقفا على رجليه الخلفيتين وقائد النمر بالحجر ، وهالت المفاجأة النمر الزاحف الذي اعتاد ان يرى هذه الضحية تمشي على اربع فتراجع وانسحب في ذعر شديد ، ولكن انتصار الانسان القرد كان مكلفا ، اذ ان عدم تعوده على هذه الوقفة المنتصبة المغايرة قد اوذته اذا حدا وموضعة في الجزء الاسفل من ظهره .

الحقيقة المرة

ربما كان ما حدث لراما بعيدا عن حقيقة الاكثر ، ولكن الحقيقة الاكثر ان الانسان ظل يعاني منذ اول اجياله من الام الظهر واوجاعه واليوم اصبحت الملايين التي يحرمها وجع الظهر طعم الراحة ، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد وجع الرأس ـ الصداع ـ كأكثر واشد ما يشكو منه الناس ، وخاصة ذلك الالم الغامض في مؤخرة الظهر ، كما انه اصبح موضوع ابحاث طبية مكثفة تحاول ايجاد العلاج لهذا الداء القديم .

إن كل ثمانية من عشرة اشخاص على الأرض سيعانون ذات لحظة في حياتهم من هذا الالم ، وفي الولايات المتحدة وحدها يعاني ٧٥ مليون شخصا من مشاكل الظهر ، ويفقد سبعة ملايين شخصا كل عام ، منهم مليونان يعجزون عن العمل تماما .

أوجاع عشوائية

ويمكن لاوجاع الظهر ان تداهم اي واحد منا ، شابا كان ام كهلا ، امرأة او رجلا ، من كل الطبقات





قل ثمانية من عشرة أشخاص يعرضون يوماً ما لأوجاع الظهر

وجع الظهر هو بعض ما يدفعه الإنسان ثمناً لوقوفه منتصباً

وجع الظهر.

ومن المشاهير الأمريكان الذين تعذبوا بهذه اللعنة اليومية توماس جيفرسون، الذي سقط صريعاً بها حين تهور وأراد أن يرى عبيده كيف يستخدم المحراث، فلازمه وجع الظهر بقية أيامه على الأرض. ومنهم الروائي الشهير الأمريكي فيتزجيرالد الذي كان يضطر من شدة ثقله من ظهره أن يكتب واقفاً، وكان الرئيس كيندي يلقي الخطابات فوق كرسي هزاز، والمسيح الأبيض المخلف من آلام الظهر.

ومن المشاهير الأحياء وزير خارجية أمريكا الحالي [illegible]، ووزيرها السابق [illegible]، والملكة [illegible] وغيرهم. ومن الرياضيين الذين يعانون من هذه الشكوى الباهظة لاعب الجولف الشهير [illegible] ولاعب كرة القدم الأمريكي [illegible].

فظاعة الألم

ولا يمكن لأحد لم يعان تجربة هذا الألم المريع أن يستوعب مدى البأس الحقيقي والضعف الذي ينتاب من أصيب به قبل أن يقع صريع هذا الألم القاتل نشاطاً وحيوية. إن العالم ليتحول فجأة بالنسبة لمن يعاني هذا الألم، وعندها يصبح هذا العالم مجرد استلقاء فوق سرير أو كنبة لا غير، يلتمسا فيها كل عمل، ويصبح كل حركة بالنسبة له أمراً خطراً. وحتى ارتداء الملابس يصبح نوعاً من العذاب الأليم. أما قضاء الحاجة فهو كالخروج في حملة عسكرية، ولا مجال لمعاشرة الأهل، ولا يمكن الجلوس فوق كرسي للقراءة أو تناول الطعام إلا أن يعني ذلك هولاً من الآلام، وحتى بعد أن يزول ألم الظهر ويعالج الشخص، فإنه لا يكاد يصدق أن الالتفاتة التالية أو الحركة القادمة عليها لن تعيده إلى حظيرة ذاك الألم المريع.

لماذا يوجعنا الظهر ؟

إن وجع الظهر هو بعض ما يدفعه الإنسان لإصراره دون سائر الحيوانات على الوقوف منتصباً على رجليه، وإذا نظرنا إليه من باب التعرف على الثمن الذي يدفعه الإنسان من أجل التمدن والحضارة الراقية لوجدنا أن وجع الظهر آفة معاصرة، فكلما تطورت الحياة والمتقدمت

[illegible] بعض من [illegible] من الجسم وعندما ظهره ظهر [illegible] الخاصة، [illegible] ومع الذين، وتجاه بعضهم من أنواع الفقرات والمفاصل، ويصبح الظهر أكثر عرضة للإصابة، وتذكيرنا بوجوده في لحظات حادة موجعة.

مشكلة اجتماعية

ويرى الدكتور [illegible] الأخصائي الأوجاع بجامعة [illegible] الأمريكية أن وجع الظهر الذي تحسبه في إطار المشكلة الطبية هو في حد كبير مشكلة اجتماعية ناشئة عن أسلوب حياتنا.

إن الظهر حساس للغاية، ويشكل لأي شيء أو [illegible]، فمثلاً الآلام غالباً موجعة، فقد تنطلق أوجاع الظهر من توقف السيارة بشكل مفاجئ، أو من بذل مجهود كبير أثناء الممارسات الرياضية، أو من لبس الأحذية ذات الكعب العالي، أو من الانحناء لكي الملابس، وحتى النشاط الروتيني كتنظيف الأسنان بالفرشاة، أو الأفعال المنعكسة مثل العطس، والحكة يمكنها أن تقض الأوجاع الظهر.

وهناك قصص كثيرة تشبه القصص الأكثر رعباً في روايات هذا الموضوع، فهذه أم لثلاثة أطفال لم تتخلص من الشلل والتقلص من عمرها بعجزها وجع الظهر وهي تنحني لترتيب ملاءات الأسرة، تقول: «مرت [illegible]، ونظرتني كانت

مشهورة لكي أن أعتدل من رقعتي أو أن أتحدث بعيداً عن الملاءات، وظلت حامل أمي وأمسكتني على الوقوف معتدلة، والألم يسري في ظهري ويتزايد ثم أرقدتني على السرير».

وظلت تعاني على أحد المدربين الشفويين بشركة للاتصالات تبلغ السمنة والخمسين من عمره، ويساعد مستخدميه على رفع دولاب مكتبة ثم اتفق أن تحطمت سيارة أمام منزله لمساعدة في دفعها، ثم جرفه الحظ بعيداً عن مسار سيارته، وقد أصبح ظهره منتسباً بعد كل هذه المجهودات ومع ذلك فهو أن يقي بوعد قطعه لصديق له بلعبة التنس، وبعد الضربة الأولى مباشرة انهار ظهره، وتم يقو حتى على الخروج من الملعب إلا بعد أن ساعده آخرون.

وفي حال فرانسيسكو انهارت سيدة في الأربعين من عمرها بينما كانت تقوم بتخزين كتب في سقف منزلها، وظلت عاجزة عن الحراك لمدة [illegible] ساعات حتى اكتشفت وتم نقلها إلى مجرتها.

تحفة معمارية رائعة

وبالرغم من حداثة المقاييس لنا في بحظة غير مواتية وغير متوقعة فإن الظهر المحوية من الهندسة البيولوجية، فهو الهيكل الأساسي للجسم والذي تعتمد عليه عظام القفص والكتف والحوض، كما أنه الأنبوب الواقي لأكثر من حزمة من الأعصاب والحبل الشوكي الذي يوصل المخ ببقية أجزاء الجسم، وعندما تتحدث الأطباء عن الظهر فإنما يعنون العمود الفقري، وتتكون هذه التحفة المعمارية التي تمتد في رشاقة وقوة من الجمجمة إلى الحوض من ٣٣ كتلة عظمية تسمى الفقرات، وقد صممت بشكل فني رائع بحيث كل واحدة منها تقترن بالأخرى في مواءمة تامة، ويسند هذا الهيكل الفريد من الانهيار نظام معقد متشابك من العضلات والأوتار والروابط، والجزء الأسفل من العمود الفقري هو موضع الألم الذي يصيب معظم الناس، ومع ذلك فإن العمود الفقري [illegible] يتمتع بمرونة تمكنه من الانحناء ليشكل ثلثي دائرة، ويستطيع الراقصون ولاعبو الجمباز القيام بهذه الحركة كلها تجنيبي حتى طبيعتها.

توازن حساس

ومع أن العمود الفقري متين بهذا الشكل، فإن



أوجاع الظهر

اجزاءه دقيقة في توازنها الحساس . ويمكن لأية إصابة أن تخل وتربك كل هذا البناء المعقد . وتبدأ الآلام في الظهر أحياناً إذا كانت إحدى الساقين مثلاً أطول من الأخرى بنصف بوصة في نموها ، وهو أمر يحدث كثيراً ، فإن الضغط لا يتوزع بشكل متوازن على العمود الفقري . وإذا لم يتم تقويم إحدى الفقرات بشكل سليم فإن النتيجة هي تقوس جانبي يسبب نوعاً من التعجز وكثيراً من الألم . ويمكن أن تنمو الأورام الخبيثة في المناطق المحيطة بالعمود الفقري ، فتضغط الأعصاب أو تخترقها . وفي حالة التهاب المفاصل الذي تسببه الرطوبة ، فإن الغضاريف التي تقوم مقام المخففات وممتص الصدمات قبل أن تصبح الفقرات تتآكل قبل الأوان ، وتفقد طبيعتها الإسفنجية وتزول تماماً آخر الأمر .

أغراض متزامنة

إن أسباب وجع الظهر متعددة كثيرة لا يمكن حصرها . ويمكن أن تكون أي شيء ، ابتداء من الوقفة أو الجلسة الخطأ وانتهاء بالسرطان . كما يرى الدكتور أروين تيبز في مستشفى هنري فورد . ورغم كل ذلك الكم غير المحدود من أسباب آلام الظهر ، فإن ٨٠٪ تقريباً من الذين يعانون منها يقعون في واحدة من ثلاثة أغراض متزامنة . أكثرها شيوعاً هو الإجهاد العضلي ، فالجسم في حركته العادية يسمح للعضلات بالارتداد والاسترخاء في تتابع سريع ، ولكن هذه العضلات تتمزق إذا ما شدت فوق طاقتها وحدودها ، وبالتقلص لا تصبح مشدودة فجأة وتظل على تلك الحال ، وتصبح كتلة متحجرة ، الأمر الذي يغلق الأوعية الدموية الدقيقة التي تحمل الأوكسجين والغذاء ، وتتخلص من الفضلات ، وتموت بعض الخلايا في العضلة المصابة ، فيبعث الجسم إشارات استغاثة تأخذ طابع الألم الحاد .

انزلاق الغضروف

ومهما كانت حدة هذا الألم فهو لا تقاس على الإطلاق بما يصاحب مصدراً آخر وأساسياً من مسببات آلام الظهر ، والذي يعرف خطأ باسم انزلاق الغضروف . وفي الواقع لا ينزلق الغضروف . بل يصيبه تشقق ، فيبرز الجزء الأوسط الهلامي الشفاف متكوراً ، وقد ينكسر أحياناً ويحطم بذلك غشاء النسيج الذي به الروابط والغضاريف التي يصيبها التشقق أكثر من غيرها هي تلك التي تفصل بين الفقرات القطنية الأخيرة والعجز ، وهي أدنى النقاط منطقة في العمود الفقري ، وتقوم المادة المتفجرة بالضغط على أعصاب العمود الفقري ، وهي غاية في الحساسية تجاه أي ضغط ، وفي هذه الحال تعجز أدنى حركة حتى ولو كانت ضحكة موجة عارمة من الألم .

> مشكلة البحث عن علاج
> أكثر إلحاحاً
> من الوجع نفسه

انفراط حزوز الفقرات

وفي السنوات الأخيرة اكتشف بعض الأطباء أنهم قد وضعوا أيديهم على مصدر آخر لآلام الظهر يشرح الكثير من الغموض الذي أحاط بمعظمه من الآم . إنه الألم الناشئ عن التوترات التي تحدث في حزوز العمود الفقري ، وهي في الظهر الطبيعي تنزلق في خطوط ناعمة ، وأحياناً تتقرحن . وتتوالى عشرات من الأحزمة يكون لها شد قوي نسبياً ، وقد يؤدي ذلك إلى التهاب مفاصل الحزوز ، أو الشقة ملتهبة ، فيحدث ضغط في المنطقة على الأعصاب الملتفة التي تحمل الأعصاب وتنتقل العمود الفقري ، وذلك منتهى الإيلام .

وجع البحث عن علاج

إن الألم الذي يعتري ضحايا وجع الظهر في بحثهم عن من يعينهم ويريحهم منه لايقل بحال عن وجع الظهر نفسه ، وغالباً ما يقول لك الأخصائيون بروح المغلوب بهذه المهنة من أي طبيب فيما يتعلق بسبب الداء ، متغايراً ومختلفاً كثيراً عن رأي سابقه ، وفي رأي الدكتور كوندشتاين نائب مدير معهد الدراسات العصبية والاضطرابات ، الانتقال إلى كل أنواع العلاج ، أمر خطر ، وذلك لانعدام التجارب المضبوطة في العيادات ، ولأنها تعتمد على الأفكار الخاصة لكل طبيب من أطباء العظام .

وإذا كان هناك ثمة أفكار خاصة متحيزة لأطباء العظام فهم المسؤولون عنها إلا أنهم أكثر المراجع الطبية معرفة بهذا الألم ، فهم حين يزورهم المصاب يقومون أولاً بفحص الظهر وطرح أسئلة صارمة عليهم عن متى وكيف بدأ الوجع ، وأين يحسه المصاب وقتها ، وعما إذا كان أفراد آخرون من الأسرة يشكون منه ، كما أنهم يدققون في موقف المصاب عصبياً ، وتاريخه الطبي ، وعمله ونشاطه في أوقات فراغه ، وعلاقاته الجسمية .

ويزعم جراح العظام ، ومن المستشفى مستشفى بلوتو بنوبورك أنه يستطيع تحديد مشكلة المصاب بكل دقة بمجرد الحصول على هذه المعلومات ، كما يشير إلى أن النمط الذي يتخذه الألم يفيد كوسيلة تشخيصية ، لأن المسالك العصبية المتفرعة عن الأجزاء المختلفة لحبل الشوكي قد رصدت في شكل خريطة بشكل جيد بشكل عن تتبع الألم وإرجاعه إلى موضع الإصابة في العمود الفقري .

بحثاً عن مصدر الألم

إن الفحص الطبي الجسماني بالنسبة للمصاب بوجع الظهر يبدأ في واقع الأمر قبل أن يزحف إلى فوق أريكة الكشف ، ويخبرنا الدكتور كايد من كولومبيا أنه يمعن في ما يفعله المصاب وهو يخلع ملابسه ، وكيفية جلوسه وحركاته ووقفته . وقد يطلب الطبيب من المصاب القيام ببعض الحركات كأن يمشي على النقاط قدميه أو كعبيه ، أو ينحني من الظهر ، أو يلتوي ، ويحاول أن يلمس بيديه الأرض وهو منحني ، وقد يطلب منه أن يستمر في هذه الحركات الجسمانية بعد أن يرقد وذلك على ظهره ساقيه ووسطه ، ويقوم الطبيب بتحسس محل الألم وما حوله بحثاً عن أي تورم قد يكون هو سبب المشكلة كما يتحرى أي الوحول الكامنين ويحس العجز ليرى إن كانت الفقرات الأربع الأخيرة بخير ، وهي غالباً ما يعتقد بعضهم أنه كان تمنياً ، والأخيرة يجري كشف على ردود أفعال المصاب وذلك بالطرق على ركبتيه وكاحليه ، ويقاس عضلاته ويتحرى مدى احساسه وذلك بوخزة بالدبابيس .

بعد ذلك كله يصور العمود الفقري بالأشعة السينية ، فإذا ما أخفق كل ذلك في تحديد الوضع الحقيقي للألم وأصل المشكلة ، يجرى على المصاب كشف بالأشعة أكثر تعقيداً ، حيث يحقن الجزء الأسفل من الحبل الشوكي بصبغة تشد الإشعاع ، وتجرى في ممر الحبل الشوكي ، فإذا ما اتفق أن وجد غضروف منزلق أو ورم خبيث بارز في مجرى الحبل الشوكي فإنه يظهر كفراغ صغير في الصورة .

ولكن الأطباء يفضلون استخدام الجهاز الحديث الذي يعرف بالكاشف المقطعي الذي يستخدم العقل الالكتروني ، لأنه لا يعرض الحبل الشوكي لخطر التلوث كما في حال استخدام الصبغة ، ويمكن أن يعطي تفاصيل دقيقة عن الأجزاء الصلبة وتلك اللينة في العمود الفقري . هذا الجهاز الفائق هو الذي مكن الأطباء من اكتشاف نتوءات المفاصل وما تسببه من أوجاع حادة في الظهر .

اختيار العلاج مشكلة

وحتى بعد أن يضع الأطباء أيديهم على مصدر الشكوى فإن المصاب بوجع الظهر لا يستريح إلا

يجد نفسه مواجها بعدد لا يحصى من أنواع العلاج.

فأطباء تقويم العظام الذين ينتمون للتقليد الطبي الذي يرى أن كثيرا من الأوجاع متصلة باضطرابات في النظام العضلي العظمي يحيدون طرائقهم الخاصة. وقد يشاركهم هذا الرأي أطباء يعتقدون بأن الأمراض مصدرها عادة أوجاع في العمود الفقري، وقد يصحح كلاهما باستعمال التقويم بالضغط بالأصابع والأيدي بشدة لإعادة العظام المنزلقة إلى مواضعها. وليس هناك أي دليل على أن هذه الطريقة في العلاج ذات فائدة للمريض الذي يشكو من وجع الظهر الحاد، كما يقول فولدنايل.

الراحة وحدها..

أما الأطباء عامة فيتفقون على أن لزوم السرير والراحة بالنسبة لألم الظهر الحاد على الأقل، بالإضافة إلى تناول المسكن أو مسكن لتوتر العضلات هو ما يمكن وصفه للمصاب. ويضيف آخرون استخدام الكمادات الساخنة أو الثلج. ولكن هذه أيضا ذات قيمة مشكوك في جدواها.

إن أفضل علاج هو الزمن، كما يرى الدكتور جورج هميات، رئيس جراحي العظام بجامعة جورج تاون في واشنطن، إن معظم مشاكل الظهر تحل نفسها بعد ثلاثة أسابيع مهما فعلنا، ولذا فإن الهدف الذي يجدر بنا أن نضعه نصب أعيننا هو الناحية التي تقدمها الراحة المطلقة للمريض.

انتبه للإنذار الأول

ومع ذلك يمكن أن تحدث مضاعفات في المستقبل، لأن الظهر متى أصيب، فلا علاج له. كما يقول جراح العظام بمستشفى نيويورك للجراحة الخاصة، الدكتور ليون روت: إن الوجع الذي ستشعره في الجزء الأسفل من الظهر هو بمثابة إنذار لك بأن شيئا ما لا يعمل بطريقة سليمة، ومتى تكرر، فإن ضربته الثانية ستكون القاضية، فيجب الانتباه للإنذار واتخاذ خطوات لمنع تكرار حدوث الألم مرة أخرى. فما هي تلك الخطوات؟

النقص الكامل

استخدم مرتبة متينة أو سريرا خشبيا للنوم وتخلص من الوزن الزائد، وقم بتمارين خفيفة للظهر كل يوم.

ولكن المؤسف أن غالبية المصابين لا يحسبون دون تعليمات ما يناسب حالته، كما يقول (كايم) الذي يجري تمرينات يومية: إن معظمهم يريد حبة الدواء والعقاقير، ويريدون العملية الجراحية، ويتهربون من أداء التمارين لتقويم وما تستحقه به من عناية.

ضغط الوزن الزائد

إن عدم التمرين يضر بالعضلات لأنه يفقدها مرونتها، أما البطن المتدلي فإنها تضع ضغوطا إضافية على العمود الفقري. وكما يقول الدكتور ويليك تيلر من مستشفى نيويورك: إن كل عشرة أرطال من الوزن الزائد في البطن تساوي مائة رطل من الثقل على الغضروف. ولهذا فإن البطن الكبيرة... للمصاب في الظهر.

ضرورة الاعتدال

وعلى العموم، فإن إخصائيي الظهر فرحون بالهوس الجديد في أنحاء كثيرة من العالم بضرورة اللياقة والوزن الصحيح والتغذية المتوازنة. ولكنهم يحذرون من مغبة الإفراط لأنه يؤدي إلى إصابات الظهر، ويحذرون خاصة أولئك الذين ينكبون على ممارسة كل نشاطاتهم الرياضية في أوقات الفراغ، لأنهم لم يوفروا لها الوقت المنتظم. ويروي الدكتور ويلتيلر بشكل ساخر عن عيادة ألام الظهر بوكستر قصة ذلك المحامي الذي يجلس لعمله طيلة الأسبوع ثم يتحمس في لعب التنس أو كرة اليد في نهاية الأسبوع، وفي صباح الاثنين لا يستطيع أن يتحرك عن سريره!

وخلاصة القول أن التمرين ضروري، إن الحركة ولكن يجب أن يمارس بحذر وانتظام وبعناية. ولكن أكثرنا لا يتقيدون بما يستلزمه التمرين، وكثيرا ما يهجرون البرنامج للتدريب أو التمرين حالما يشعرون بتحسن. وهذا الفشل على المواصلة هو الباب الواسع الذي تدخل منه المشاكل.

جراحة الظهر

والعمليات الجراحية سبيل آخر لعلاج آلام الظهر، وخاصة تلك الناتجة عن فتق الغضروف. وقد بدأت عمليات إزالة الغضروف في الثلاثينات، وتجرى فيها حوالي ٢٠٠ ألف عملية كل العام في الولايات المتحدة. ولعل العملية بحاجة ثانية لتثبيت العمود الفقري لحوالي الثلث من هذا العدد المذكور، حيث يتم توضيع شرائح من عظم الحوض بين الفقرتين المتجاورتين للغضروف المنزوع، وبمرور الزمن تصبح هذه الشرائح جزءا رابطا للعظام، ويصبح ذلك الجزء من العمود الفقري متصلبا فاقدا لمرونة الحركة.

حقن الغضروف

أما طريقة حقن الغضروف المفتوق أو المنزلق كما تسميه خطأ، فهي أكثر إثارة للجدل والخلاف بين الأطباء، وتقوم هذه الطريقة على حقن أنزيم مستخلص من الببابي، وهو من الفاكهة الاستوائية المعروفة، في الغضروف. وقد تطورت في الستينات على يد جراح العظام ليمان سميث، وبها تتم إذابة المادة اللزجة الهلامية بالغضروف، وبذا يستغنى عن إجراء عملية جراحية لإزالته. ولكن إدارة مراقبة العقاقير والأطعمة بأمريكا منعت استخدام هذه المادة الكيميائية بعد أن أظهرت دراسة في عام ١٩٧٤ عدم جدواه، وذلك بأن مارست ضغوطا على صانعيه ليسحبوه من التداول. ومع ذلك استمر استخدامه بكندا، ومازال كثير من الأمريكان يتداول إليه في كندا، وبموافقة أطبائهم في بعض الأحيان. ويقول الدكتور مارك براون من جامعة ميامي إن ٩٠ بالمائة من المرضى الذين يعالجون بهم في كندا ويحقنوا بهذا الأنزيم يعودون إلى تمام صحة ولا يحتاجون لدواء آخر فيما بعد.

مدى نجاحه

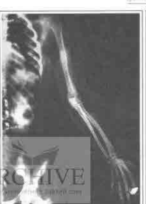
ويقرر الجراح إيان مكناب في تورونتو بعض النتائج، فقد استخدم هذا الأنزيم في العشر سنوات الماضية في ٦٠٠٠ حالة عن حالات وجع الظهر في منطقة تورونتو، ونقل ٨٠ بالمائة منهم وفي دراسة صدرت مؤخرا يقول الدكتور مانوتير باف من جامعة ويسكونسون مذايسون إنه وجد أن ٨٣ بالمائة من ١١٠ حالة ممن حقنوا بهذا الأنزيم المستخرج من الببابي بسبب فتق الغضروف لم يعاودهم الوجع لمدة ثلاث إلى ست سنوات بعد العلاج ومع ذلك فما زال عدد كبير من جراحي العظام يشكون في فعاليته، لأنهم يخشون من آثار جانبية يمكن أن تسببها مادة غريبة، منها الحساسية أو الشلل الصدمة.

وقد يستقر الرأي على شيء ما نهائي بعد اكتمال دراسة حول هذا الأنزيم تقوم بها عدد من المراكز الطبية بأمريكا.

الاحتكاك الانفصالي

آخر ما أضيف إلى قائمة العلاج المطولة لآلام الظهر هو ما يعرف بالاحتكاك الانفصالي.

أوجاع الظهر





الجاذبية ، وهو لا يعدو أن يكون تحديثًا لطريقة ترجع إلى أيام أبوقراط ، حيث كان من يعاني من وجع الظهر يربط من قدميه ورأسه إلى الأرض ثم يشد شدًا قليلًا ، وبهذه الطريقة يتم تخفيف المشكلة بفتح المسافات الدقيقة بين الفقرات .

وفي معهد سيدار سيني بمدينة مينيابوليس حيث تستخدم هذه الطريقة يتم ربط المصاب إلى سرير مائل ، ثم يدار السرير حتى يكون المريض واقفًا ، ورأسه إلى أسفل .

ويبدو أن هذا التكنيك الذي يعتمد على ما ظل الناس يرددونه من أنهم يشعرون بالتخفيف من آلامهم حين يتعلقون ويتدلون من أرجلهم ، وقد ساعد كثيرًا من المصابين ، وذلك لأنه كما يقول منتقدوه يبعد المصاب عن الضغوط اليومية ويفرض عليه الراحة فرضًا .

معركتنا ناقصة..

وفي كثير من حالات ألم الظهر الحاد إلى «فشل» ، ويفشل التمرين والراحة والجراحة والسحر باستخدام قوة الاحتكاك الالتصاقي في جلب الراحة ، والأمر الهام يبدو كامنًا في أن الأطباء بعد كل هذه السنوات الطويلة من الكشوفات والتشريح ما زالوا يجهلون الكثير عن جوانب كثيرة من العمود الفقري ، والأخطر من ذلك أنهم قد اكتشفوا مؤخرًا أن قدرًا كبيرًا من وجع الظهر يعود فيما يبدو إلى حالات نفسية ، ففي أكثر من ٨٠ بالمائة من حالات الوجع تتمثل المشكلة في كونها ناشئة عن عوامل غير عضوية مثل الإجهاد والقلق وعوامل ذهنية أخرى ، ويشبع الدكتور جون بلسيان من جامعة [illegible] الكندية الذي كرس نفسه على الجوانب النفسية من هذا الألم المعضل .

وفي الواقع ، فإن بعض الناس يستمرون باستمرار الوجع من ناحية عاطفية ، حتى إذا كان منشأ الألم عضويًا في البداية ، ويشير الدكتور جول يونيكا من جامعة واشنطن [illegible] إلى حالة سيدة في متوسط العمر تقف متزوجة لعشرين عامًا ، وكبر أبناؤها وتفرقوا ، فهي بحاجة إلى الحب والاهتمام ، لكن زوجها دائم الانشغال ولا يتوفر له الوقت ليمنحها هذه الكفاية العاطفية ، وذات يوم تسقط في الحديقة ، وتشكو ألمًا في الظهر وفجأة يبدي زوجها اهتمامًا بالغًا بها ، فتحس لا شعوريًا بأنها قد كوفئت على مرضها وآلامها ، ولذا تستمر في الشكوى من الألم حتى بعد أن تبرأ من الإصابة لتستمر وتحتفظ بتلك العناية وذلك الاهتمام .

ألم مرض نفساني ؟

ويمكن لوجع الظهر أن يكون نتاجًا جانبيًا للمشاكل التي يعاني منها الشخص في عمله ، أو المشاكل في العلاقات الشخصية ، أو الحزن على موت شخص عزيز ، وهذا النوع من الانقباض المستتر كما يلاحظ الطبيب النفساني يونس









عاقبت من المستشفى العمومي بوسطن ، يمكن أن يستمر عدة سنوات ، ويمكن أن يكون للنساء نفس الأثر كما يرى جراح العظام ريتشارد باكراش من نيويورك ، فهناك كثير من النسوة اللاتي يعانين من وجع الظهر والسأم وفقدان الهدف في حياتهن ، وهن يستثمرن وجع الظهر كعذر لتصرفاتهن ، فإذا ما ساءت العلاقة بينهن وأزواجهن تعللن بوجع الظهر للابتعاد عن المعاشرة الجنسية ، ويجدن في وجع الظهر سندا أقوى من الشكوى من الصداع ، لأنهن وإن لم يكن مصابات به ، يقدمن الخوف من التعرض له للابتعاد عن معاشرة الزوج ، ومن سخرية الحظ أن ما يتجنبنه هو علاج وقائي لوجع الظهر ، إذ أن الحركات التي يقوم بها الزوجان أثناء الجماع تقوي الجزء الأسفل من الظهر ، لأنها بمثابة تمرين خصوصي .

صداع في الظهر ؟

ويعتقد بعض أطباء النفس بوجود ما يمكن أن نسميه «الشخصية العانية من وجع الظهر» ويتميز هذا النوع من الناس بأنه جاد في مساعيه ولكنه فاقد للثقة بالنفس ، وهم مثل ضحايا الصداع المزمن والقرحة يميلون إلى كبت غضبهم ويتحاشون الدخول في أي صراع ، ومن ثم يمكن القول بأن وجع الظهر ليس سوى صداع ونوبات نزلا بأسفل الظهر .

وفي يأسهم وحرصهم على التخلص من هذا العذاب ، أخذت أعداد هؤلاء المرضى تتدافع في إقبال على العيادات في البلاد ، والتي تضم أطباء نفسانيين واخصائيين في المشاكل الاجتماعية وكل ذلك لوجود عنصر المرض النفسي والمشاكل الشخصية في هذا المرض ، وتقوم هذه العيادات بتدريب مرضاها على كيفية التعامل والعيش مع وجع الظهر إذا كان مستعصيا على العلاج .

ويبشر ذلك بالأمر اليسير ، لأن كثيرين من المرضى ظلوا يعانون من هذا الوجع سنوات طويلة وأخضع بعضهم للعمليات الجراحية ثلاث أو أربع مرات ، وهم في الغالب قد توقفوا عن العمل ، وعن ممارسة أية التزامات عائلية ، كما أن بعضهم صار أسير الحبوب المهدئة ، أو مدمنا للمخدرات المسكنة للألم .

تسكين الألم

وكثير من هذه العيادات يستخدم طرقا غير تقليدية في العلاج ، منها التنويم المغناطيسي والسيطرة الواعية على الجسد والعلاج بالإبر واستثارة الأعصاب الكهربائية الخاصة بين الفقرات ، أو حقنها بالكورتيزون . كما استحدث جهاز آلي يمكن وضعه في الجسد فيعمل على ... تسكين الألم ...

وفي حالات الوجع الحاد ، الذي ... يزرع هذا الجهاز في الجسم نفسه ، وفي ظل هذه التقنية ... منذ عام ١٩٧٧ ... جراح الأعصاب ... بجامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو فهو يزرع سلكا أو سلكين أو ثلاثة أسلاك بحجم الشعرة في المخ أو الحبل الشوكي ، وهي بمثابة الكترودات كهربية ، وتمتد إلى مصدر كهربي يعرف بالراديو ويوضع تحت جلد الصدر ، فإذا ما أراد المريض تخفيف الألم ، ضغط براديو ترانزستور صغير على صدره ، فأحدث إشارات هذا الراديو المصدر الكهربي الدقيق ، فيبعث فورا تيارا كهربيا دقيقا إلى المخ أو الحبل الشوكي ، وبذا ينشط الخلايا العصبية والغرض من كل ذلك هو إطلاق دفقة من مادة تشبه المورفين ، تعرف باسم بيتا اندورفين ، تنتجها الخلايا العصبية ويوظفها الجسم في قتل الألم ، وفي مدى ١٧ دقيقة يستشعر المريض انفراجا يدوم ساعات أو عدة أيام ، ولكن المشكلة هي أن المريض قد يتعود على هذه الصدمات الكهربية الدقيقة ، فتصبح غير ذات أثر .

وباستخدام كل هذه الأساليب العلاجية استطاعت بعض العيادات إعادة حوالي ٩٥ بالمئة من المرضى إلى الحياة المنتجة النشطة ، وإن لم يتخلصوا من الألم تماما .

المتاجرة بالمرض

وفي بعض الحالات التي لا يجدي العلاج يستغل المريض وضعه فيطالب بتعويض عن الإصابة أثناء العمل وعوائد الضمان الاجتماعي والتأمين كعجزه عن العمل ، وليست المشكلة وقفا على الولايات المتحدة ، بل أن ٢٥ بالمئة من العمال في السويد يتقاعدون قبل الأوان بسبب وجع الظهر ، ويرفعون دعاوى جنح باطل .

وقد تمكن الأطباء من فضح كثير من بطلان هذه الدعاوى ، وذلك باختبار بسيط ، وهو أن يطلبوا من مدعي العجز عن العمل بسبب وجع الظهر أن يركع فوق مقعد ، وينحني ويحاول أن يمس الأرض بيديه ، ويمكن حتى لمن يعاني من انزلاق الغضروف أن يقوم بذلك ... ولكن مدعي العجز بسبب الظهر يرفضون في الغالب القيام به بحجة حدة الوجع .

اتقاء وجع الظهر

إن اتقاء ومنع حدوث وجع الظهر هو فيما يعتقد كثير من الأطباء العلاج الوحيد والأفضل ، ولقد كانت معرفة الناس بالعناية الصحيحة بالظهر شبه منعدمة ، ولكن الاهتمام الآن قد تكثف ، وقد أنشئت وحدات لتعليم العناية بالظهر والتوعية بها ، ففي تورنتو بكندا تقدم هذه الوحدات التعليمية حلقات للتوعية ، كل منها يدوم ساعة ونصف تقدم فيها المحاضرات حول مواضيع تشمل التشريح والوقفة والجلسة والعوامل العاطفية المتصلة بوجع الظهر ، والاسترخاء وأساليبه ، وتمرينات الجزء الأسفل من الظهر والبطن ، والطرق الصحيحة لرفع الأشياء .

وفي نيويورك يقيم الدكتور ... ندوات عملية منتظمة كل يوم لبعض مرضاه ، ومعظمهم من الراقصين .

وفي الأثناء أيضا يقدم الأعضاء العاملون في عيادة الظهر محاضرات وشروحا لموظفي المؤسسات والشركات هناك ، ويجري إعداد لبرامج يمكن للمؤسسات الكبرى أن تعرضها على العاملين بها لتوعيتهم بمشاكل الظهر وكيفية إتقائها ، وقد لاقت كل هذه البرامج نجاحا ، وأصبح الناس يقصدونها .

أصبحت جراحة نقل القلب
شيئا روتينيا لكن المشكلة هي العناية الرفيعة المسئولة بعد العملية

الجديد في .. جراحة نقل القلب

ولد لويس بونيزيو قبل ٤٦ عاما ، ولكنه يعتبر يوم ١٦ مايو ١٩٧٤ يوم ميلاد حقيقي له ، حيث زرع له قلب جديد في ذلك التاريخ في المركز الطبي التابع لجامعة ستانفورد .

وكان لويس قد عانى نوبتي قلب حادتين قبل اجراء العملية .. وتدهورت صحته بدرجة فظيعة ، واصيب بعدد من الأمراض المعدية الخطيرة ، وصار عاجزا عن المشي إلا لخطوات قلائل . وما ان نقل له القلب الجديد حتى استرد عافيته وقوته ومعنوياته .. وبشكل دراسي .

وقد صرح مؤخرا للصحافة بينما هو يقوم بقطع الأخشاب وتجهيزها لأغراض التدفئة :

- إنني في صدر قائمة الاثنى عشر الذين زرعت لهم قلوب جديدة .

وكان تسعة منهم قد اجريت لهم عمليات نقل القلب في مستشفى ستانفورد حيث طور الدكتور نورمان شوموای طريقة صارت قياسية في عمليات نقل وزراعة القلب في العالم : وقد حفز معدل نجاح هذا المستشفى المراكز الصحية الأخرى على تطوير برامج مماثلة .

ومنذ عام ١٩٦٨ اجرى الاطباء بمستشفى ستانفورد ١٨١ عملية نقل وزراعة القلب ، ومازال ٧٢ ممن تلقوا قلوبا جديدة على قيد الحياة ، كما ان معدل الحياة لسنة واحدة قد ارتفع بالنسبة للمرضى من ٢٢٪ الى ٦٩٪ اما معدل الحياة لخمسة اعوام بعد العملية فقد كان ٥٠٪ وقد احتفل احد الذين تلقوا قلبا جديدا بعيده العاشر بعد العملية .

وكانت اول عملية لنقل وزراعة القلب قد تمت على يد الدكتور كريستيان بارنارد قبل ١٢ عاما في جنوب افريقيا . وفي عام ١٩٦٨ تم نقل وزراعة ١٨٦ قلبا على ايدي ٦٤ فريقا طبيا في ٢٢ دولة ، ولكن اكثر الاطباء كانوا يفتقرون الى التدريب السليم الذي يؤهلهم لاختيار



الحالات المرشحة لنقل وزراعة القلب ، ولم تكن المستشفيات ... مجهزة ... الجسد ... التي ... اليه حيث يقوم جهاز المناعة الطبيعية في الجسد بالهجوم على الأنسجة الدخيلة .

ونتيجة لذلك فان معظم الذين تلقوا قلوبا جديدة اول امر هذا النوع من الجراحة ماتوا بعد اسابيع قليلة بعدها وكما يقول الدكتور شوموای : لقد طغت حمى نقل القلب لذلك .. وكان يقوم بها اناس يجهلون ما كانوا يفعلون .. مما اثر على هذا المجال لمدة لا تقل عن خمس سنوات ...

وكانت معظم المستشفيات قد توقفت عن اجراء جراحة نقل القلب بعد ان ادركت الارتفاع الفظيع في معدل الوفيات .. ولكن مستشفى ستانفورد واصل عمله ، متطورا امامياً ، مما اهله للقيام بعمليات تعتبر اكثر عمليات نقل وزراعة القلب نجاحا . وصارت العملية نفسها شيئا روتينيا .. إذ أن العناية اللازمة بعدها هي الأمر الشاق الذي يتطلب إخلاصا وجهدا جماعيا من أخصائي المناعة واطباء وجراحي القلب واخصائي علم الأمراض .

إن المسألة الكبرى بالنسبة لهذا الفريق من الاطباء والاخصائيين هو جهاز المناعة في جسم الانسان . وقد طور فريق المختصين في مستشفى ستانفورد بقيادة الدكتور ادوارد ستينسون طريقتين ، احداهما لتشخيص وجود امكانية رفض العضو المنقول ودرجة الرفض ، والاخرى لاستخلاص مادة لمعالجة الرفض ، ومازال الفريق يواصل ابحاثه لإيجاد افضل السبل لمكافحة رفض الجسم للانسجة الدخيلة .

اما المسألة الاخرى التي مازالت مثار بحث واخذ ورد بين الجراحين فهي مسألة تحديد المرضى الذين يمكن ان يستفيدوا من عمليات نقل القلب ، وبالتالي هم الاولى بها .

ويعتقد الدكتور شوموای ان نقل القلب هو آخر حلا .. ولا يجب اللجوء اليه إلا عندما يكون البديل هو الموت .. وهو ينتقد بعض الممارسات التي تقوم بها بعض المراكز ، إذ تجرى عمليات نقل وزراعة القلب لحالات انسداد صمامات القلب .. والتي يمكن علاجها بوضع قنطرة (كبري) .

ومن بين الثلاثمائة المرشحين لجراحة نقل القلب بستانفورد لا يتم الا اختيار ٢٥٪ منهم كحالات مناسبة لنقل القلب .. ثم يخضعون لفترة من الانتظار الطويل المؤلم .. ويموت واحد من بين كل ثلاثة مرشحين لنقل القلب وذلك قبل الحصول على قلب جديد .. نسبة لصعوبة ايجاد متبرعين بقلوبهم .

ولكن هذه المشكلة اخذة في التحسن وخاصة بعد ان اخذ عدد الاطباء الذين يتقبلون فكرة ان الموت هو قانون حين يموت الدماغ حتى ولو كان القلب نابضا كما ان امكانيات المحافظة على القلب المتبرع به قبل نقله الى المريض قد تحسنت جدا .. واصبح من الميسور ان يظل القلب ثلاث ساعات ونصف قبل نقله مما مكن مستشفى ستانفورد من الحصول على قلوب متبرع بها من مسافة ٤٥٠ ميلا .

الغرب يصدر أخبث الأوبئة إلى الدول النامية



تقوم شركات التبغ العالمية بدعم من حكومات الدول الغربية بإغراق أسواق العالم الثالث بسلعة قاتلة وذلك في عمليات مقايضة مريعة هي اجتناء الربح الفاحش من وراء اتلاف صحة الإنسان وتبديد العملة.

وفي الوقت الذي يشهد العالم الغربي انحسارا في تدخين السجائر حتى أصبح سلوكا اجتماعيا يتراوح قبول الناس له بين مجرد التسامح إلى التعجب والمؤاخذة عليه .. تشير احصائيات مبيع السجائر في العام الماضي إلى ارتفاع استهلاك الناس له أكثر من أي وقت مضى.

فما الذي حدث ؟

عندما فزع الناس في الدول الأوروبية والولايات المتحدة وكندا من أضرار التدخين بالصحة، وذلك قبل خمسة عشر عاما، وجدت شركات التبغ والسجائر العالمية نفسها مواجهة بانكماش حاد في توزيع منتجاتها، وارتفاع تكلفة الإنتاج .فوجهت أسلحتها في بساطة متناهية إلى أهداف جديدة.. في العالم الثالث .. حيث أكثر من ثلثي سكان العالم . جدير بالذكر أن هذه الشركات مختلطة الجنسيات، مقر أربع منها الولايات المتحدة، واثنين بريطانيا وواحدة في جنوب أفريقيا العنصرية. لقد وصفت الكلية الملكية للأطباء ببريطانيا التدخين بأنه «سبب للموت لا يقل خطرا عن الأمراض الوبائية الكبرى، كالتيفود والكوليرا والسل»، وحذرت المجلة الطبية البريطانية من وجود خطر في تصدير هذه المادة المميتة إلى الدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا ونبهت وناشدت العالم الغربي الحر إلى الاضطلاع بمسئولية الحيلولة دون ذلك. ولكن حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا، بدلا من الالتزام بتلك المسئولية، قامتا بدعم ومساعدة تصدير وباء التدخين إلى العالم الثالث.

وفي الواقع تعاني كل الحكومات من ازدواج الشخصية فيما يتعلق بمسألة التدخين، وذلك لضخامة الاستثمار المتصل به. فالحكومة البريطانية، مثلا، تعلم تمام العلم أن ٥٠ ألف بريطاني على الأقل سيلاقون موتا مبكرا نتيجة للأمراض المتصلة بالتدخين، ولكنها، من جهة أخرى، في حاجة شديدة إلى المبلغ التي تحصلها من الضريبة على التبغ والتي تبلغ ٤٤٩٩ مليون جنيه استرليني سنويا. ولقد ساهمت الحكومة البريطانية خلال العشر سنوات الماضية بأكثر من ٣٠ مليون جنيه استرليني لبناء مصانع للتبغ في المناطق التي تعاني من ارتفاع البطالة، وكدعم منها لصناعة التبغ. وواصلت الحكومة الحالية تقديم المساعدات ليس فقط لصناعة التبغ التي تصدر ما قيمته ٣٤١ مليون جنيه استرليني سنويا، بل أيضا لمزارعي التبغ في العالم الثالث.

ويضاف الى تلك المبالغ ما دفعه دافع الضرائب البريطاني للمشاريع في ملاوي وزامبيا وذلك عن طريق هيئة التنمية التابعة للكومنولث.

وقد دافعت الحكومة البريطانية عن هذا الموقف امام البرلمان في ديسمبر الماضي بقولها : «إننا نقدم المساعدات لمحاصيل التبغ اذا كان التبغ هو افضل المحاصيل في البلد المعني في العالم الثالث».

اما الولايات المتحدة ، فقد اعتمدت التبغ ضمن برنامجها الرسمي الخاص بالغذاء من اجل السلام والذي وضع لتطوير وتوسيع الأسواق الخارجية للمنتجات الزراعة الامريكية . وبهذه الطريقة قامت الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩ بتصدير ما قيمته ٤ر٣ مليون جنيه استرليني من التبغ غير المصنع ولا يمثل هذا بالطبع سوى جزء قليل من جملة صادرات التبغ الامريكية . كما تم تصدير ما قيمته ٩٥٠ مليون جنيه استرليني من التبغ المحلي الامريكي.

معيار مزدوج

والسجائر المصنعة في الخارج برخصة من الشركات الامريكية والبريطانية هي في اكثر الاحايين اشد خطرا وفتكا من مثيلتها بالاسواق البريطانية والامريكية.

وقد اظهرت اختبارات اجريت مؤخرا ان كمية القطران في سجائر امريكان اكسبريس ٥٥٥ التي تباع في بريطانيا هي ١٨ مليجرام ، ولكنها ٣١ مليجراما في السجائر المباعة في كينيا .

اما سجائر «كنت» فان كمية القطران بها ١٣ مليجراما في بريطانيا

نتائج وخيمة

وقد بدأت النتائج الوخيمة تظهر في دول العالم الثالث . ومع ان المشاكل الصحية التي يسببها التدخين لا تتضح تماما إلا بعد ان يتكاثر عدد المدخنين في بلد ما .. وبعد مرور اكثر من عشرين عاما .. الا ان منظمة الصحة العالمية قد رفعت تقريرا في العام الماضي يقول :



زراعة التبغ

«في بعض الدول النامية وصل حجم وباء الأمراض المتصلة بالتدخين درجة تجعلها منافسة حتى للامراض المعدية او سوء التغذية».

لقد كانت امراض مثل امراض القلب والدم وسرطان الرئة نادرة في العالم الثالث . ولكن الحقائق الآن تغير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصيني ، اصبح سرطان الرئة اكبر مسببات الموت للرجال في عام ١٩٧٤ . وارتفعت نسبة الموتى بامراض تتصل بالتدخين بحوالي ٥٪ منذ عام ١٩٧٠ .

وفي كل دول امريكا اللاتينية ، وهي منطقة نفوذ امريكي غربي ، ارتفع عدد المدخنين بنسبة ٢٤٪ ، وواكب هذا الارتفاع في عدد المدخنين ارتفاع في النوبات القلبية والأمراض المتصلة بالتدخين.

مناطق نفوذ مغلقة

ويشهد الدكتور انيل ويتين ، وهو هولندي كان استاذا جامعيا بجامعة دار السلام بتنزانيا بان العالم الثالث قد اصبح مختبرا كبيرا يثبت مرة اخرى ان التدخين يقتل».

ولقد انطلقت شركات التبغ الكبرى لتسبح مناطق نفوذ العالم لنفسها . فالشركة البريطانية الامريكية - ومقرها بريطانيا - وتعتبر اكبر شركة منتجة للسجائر ، وتقوم بطرح ٣٠٠ نوع من انواع السجائر في ١٨٠ قطرا عن طريق اكثر من ٥٠ شركة فرعية او وسيطة وتقوم شركة فيليب موريس وحدها بتوزيع اكثر من ١٧٥ نوعا من السجائر عبر ٩٠ وسيطا او ترخيصا في حوالي ١٦٠ قطرا ، اما شركة رينولدز للتبغ فهي توزع ٦٥ نوعا في حوالي ٣٠ من هذه الاقطار عبر وسائطها.

وفي بعض البلدان يتم توزيع السجائر بشكل اوسع في اية سلعة اخرى ، ولا يمكن حتى للاند روفر ان يغطي كل المتاجر الصغيرة والحوانيت البالغ عددها ٢٣ الفا التي تزودها بالسجائر الشركة البريطانية الامريكية في كينيا ، اذان كثيرا من تلك المتاجر لايمكن الوصول اليها الا بالدراجات او الحمير او الجمال .

ويتم تغطية التوزيع بالاعلانات والراديو والتلفزيون والسينما المتحركة ، حيث الدخول مجانا .. ولكن الجمهور يدفع مقابل تلك مشاهدته لاعلانات السجائر . ويجد ان نصف الاعلانات التجارية في كل الوسائل الاعلامية في نيجيريا هو السجائر .

وفي مسح يعود الى عام ١٩٧٤ ، قامت به مجلة (التبغ في العالم) ، وهي مجلة محترمة جدا في الاوساط التجارية اتضح ان ٩٥٪ من الدول المتقدمة لها قوانين للحد من توزيع السجائر ، بما في ذلك التحذيرات الصحية ، بينما لم تضع سوى ٢٤٪ فقط من دول العالم الثالث



تشريعات بهذا الخصوص ، كما أن الإعلان عن السجائر بها لا أحد له يلوح للوقوف عنده . ففي الأحياء الإفريقية الفقيرة ترتفع اللوحات الإعلانية الزاهية ملصقة في أعواد ليقف عليها الأشخاص الفارين جدا . ولكن الحفاة العراة الذين يخاطبهم هذا الإعلان لا يملكون قوت يومهم ، ولا قدرة لهم على شراء علبة سجائر كاملة . ومع ذلك يشترون السجائر بالقطعة . وهذا الأسلوب عادي في توزيع السجائر في الدول النامية .

مساعدات لنشر الوباء

وقد استطاعت شركات التبغ ذات الجنسيات المتعددة أن تقنع الحكومات الفقيرة الى العملات الصعبة ، والتي تعاني من شح الإيرادات المحلية ، أن تخطط لزراعة التبغ باعتبارها مصدر رزق جديد لمزارعيها ، يزيد من دخل الحكومة عبر الضرائب المفروضة على التبغ ، ويكون مصدرا للعملات الصعبة عبر تصديره .

وبهذا الإغراء الذي لا يقاوم في بلاد فقيرة تقوم الحكومات في الدول التي توصف بأنها نامية بتقديم العون والدعم للمزارعين لتجهيز الأراضي (٥-١٩ جنيه لكل فدانين ونصف في زامبيا) ، وتعويضهم المال لشراء تقاوي التبغ والسماد والمبيدات الحشرية ، وغالبا ما يكون رأس المال من مصادر العون الخارجي مثل قرض البنك الدولي الذي تم بمعظم تمويله من الولايات المتحدة وبريطانيا . [illegible] لشركات الزراعة بمشروعين لقد جرى [illegible] [illegible] [illegible] شركات التبغ [illegible] المتعددة [illegible] [illegible] الوطنية التشغيل على قرى تعلقات الدول المتعرضة الغالبة على المواد الواجب توافرت والخدمات التي يحصل عليها المزارعون ، وبيدها أيضا التوزيع ووسائله ، ولذلك تصبح تلك الشركات متحكمة تماما في حقل المزارع .

ولو أخذنا ملاوي كمثال لوجدنا أن معظم المزارعين مضطرون الى قبول أسعار متدنية تعرضها عليهم مؤسسة الزراعة والتنمية والتسويق .

أما العائد من العملات الصعبة من مبيعات التبغ فهو مجرد وهم كذوب في الغالب ، لأن الجزء الأكبر من الأرباح تمتصه رسوم الترخيص التي تدفع للشركات العالمية للتبغ ، وتكلفة تكلفة ورق السجائر المستورد ، والتعبئة والتغليف .. والآلات . ولذا يندر أن يستفيد المزارع المحلي أو الدول النامية من تجارة التبغ ، وربما كانت زامبيا خير مثال .

تهديد العمالة

ولا تتوقف سلبيات ونواقص إنتاج التبغ عند هذا الحد فحسب ، بل تؤثر بشكل خطير على موقف العمالة بالنسبة للمحاصيل الأخرى . فالتبغ كمحصول يعتمد على العمالة بشكل كثيف ، ويتطلب عددا كبيرا من العمال الموسميين في مواسم القمة ، وخاصة في الوقت الذي تحتاج المحاصيل الأخرى للأيدي العاملة .. الزراعة أو التحضير أو الحصاد ، وبذا يسرق انتاج التبغ العمالة الزراعية والأراضي الزراعية الخصبة التي كان يمكن أن تخصص لانتاج المحاصيل الغذائية .

اتلاف البيئة

ولكي يتم انتاج التبغ الرخيص بشكل ، يعالج مزارعو العالم الثالث أوراق التبغ بالتحجير ، ويستخدمون الخشب المحلي كمصدر أساسي للطاقة . وتحتاج هذه العملية الى حرق فدان من الأشجار لكل فدان من التبغ .. مما يستنزف الأراضي المشجرة بشكل خطير ويضيف سببا رئيسيا الى مشكلة الزحف الصحراوي التي تعاني منها افريقيا بشكل خاص .. لأن معظم مزارع التبغ واقعة في المناطق المعرضة لامتداد الصحراء . وهذا هو فعلا ما يحدث في ملاوي وشرقي كينيا .. كما جاء في مجلة « الصحة العالمية » .

وهكذا - فإن الرغبة في العائد النقدي السريع من وراء زراعة التبغ لا تضر بالصحة فحسب وإنما بالبيئة أيضا ، وسيظلت الذين خططوا لحل مشاكلهم في العالم الحر يتحدثون عن هذا الوباء الى الدول النامية عن دفع الحساب لكل هذه الخسائر .. إذ أنها ستقع على مجموع السكان في كل قطر ، وما دام التبغ سلعة قانونية ، فإن الشركات العالمية لن تتوقف عن محاولة مضاعفة أرباحها منه .

وراثة الخصائص المكتسبة

في عام ١٨٠٩ ، قدم عالم التاريخ الطبيعي الفرنسي الجنسية جان بابتيست لامارك نظرية في النشوء والارتقاء تقول بأن الأبناء يرثون الخصائص المفيدة التي يكتسبها الآباء في حياتهم . وفي عام ١٨٥٩ جاء تشارلز داروين لينقض هذه النظرية بفكرته عن «أصل الأنواع» والتي سادت منذ ذلك التاريخ . وترى الداروينية الحديثة أن عملية النشوء والارتقاء تتم عبر الانتقاء الذي يمكن البقاء للأصلح .

وعبر أيامنا هذه قام عالمان شابان أحدهما استرالي والآخر بريطاني بتصميم تجربة تشكل تحديا للداروينية وإحياء لنظرية لامارك ويتوقع لعملهما أن يشكل ثورة فكرية ومعلما هاما في تاريخ العلوم إذا ثبت أنهما محقان فيما ذهبا إليه .

ولأهمية هذه المسألة ، واستكمالا لمسائل عدة متصلة بها ألمت حياتنا المعاصرة ، نقدمها متابعة وتغطية لحركة العلوم الحديثة المرتبطة بالوراثة وهندسة الجينات وعلاج الأدواء المستعصية ، نقدم هذا الموضوع الحيوي .

ذات يوم من يونيو ١٩٧٨ استقل عالم استرالي الطائرة من نيويورك إلى لندن في جولة لزيارة عدد من المختبرات الأوروبية . وكان معه آخر كتاب ألفه آرثر كوستلر ، وهو كتاب «يانوس» الذي حشد المؤلف فيه جملة من الآراء حول النشوء والارتقاء والإبداع والخلق وبيولوجية الدماغ البشري .

كان تيد ستيل في التاسعة والعشرين من عمره آنذاك ، يجيش بالاهتمام بالأفكار العلمية أكثر من اهتمامه بمجال تخصصه وهو المناعة الطبيعية . وكان مأخوذا بالطريقة التي زاوج بها كوستلر بين العلم والحس الفلسفي . لكن أكثر ما أثاره هو هجوم كوستلر الموجه ضد النواقص والسلبيات في النظريات التقليدية المتصلة بالنشوء والارتقاء .

وراثة الخصائص المكتسبة

بدأ ستيل عمله من قاعدته بكندا ، بمعهد أونتاريو لأبحاث السرطان ، وهناك التقى بشريكه في العمل الدكتور غوركزينسكي ، من تورنتو .. والرجل من بليموث بانجلترا ، ويصغر ستيل بعامين لكنه يشاركه حماسه الفكري .

وبعد مناقشات وحوار طويل قدمتهما [illegible] بريطاني آخر هو [illegible] بولارد [illegible] كتابا لهم صغير بعنوان «الانتقاء [illegible]» [illegible] [illegible] الداروينية التقليدية ، وتعيد فكرة [illegible] الداروينية تماما . وهي «اعتقاد لامارك في توريث الخصائص المكتسبة للأجيال التالية» .

معلم هام في تاريخ علم الأحياء

إن قيمة أية فرضية علمية فيما يرى بوبر يمكن الحكم عليها بمعيارين : جرأتها ، ومدى إمكانية اختبارها بالتجارب المعملية . ولقد كانت أفكار ستيل جريئة حقا .. ولكن ما هو أهم من ذلك هو أنه يمكن إجراء الاختبارات المعملية عليها . وكان زميله غوركزينسكي قد توصل إلى أول طريقة لاختبارها . وقد ظهرت نتائجها في مداولات الأكاديمية القومية للعلوم بالولايات المتحدة الأمريكية .

وفي رأي السير بيتر ميداوار ، الحائز على جائزة نوبل للعلوم .. أنه إذا أجيزت هذه الأفكار بعد التثبت منها ، فإنها تشكل أحد المعالم الهامة في تاريخ علم الأحياء .

وإذا كان ستيل وزميله على حق ، فإن الاختبار يثبت أن ثمة خطأ هناك في واحدة من أكثر النظريات التي تتمسك بها العلوم المعاصرة .. وهي الداروينية الجديدة .

كيف يتم الانتخاب الطبيعي ؟

عندما قدم داروين في كتابه «أصل الأنواع» نظريته عن التطور بالانتخاب الطبيعي ، لم يكن لديه تفسير لتلك المتغيرات التي يقوم عليها الانتخاب الطبيعي . وقد قال بالبقاء للأصلح ولكنه لم يستطع أن يبين كيف تم للأصلح أن يوجد في المقام الأول .

لكن علم الجينات الحديث استطاع أن يسد تلك الفجوة ، وأوضح أن المتغيرات تتم عن طريق ما يسمى بالتغيرات الأساسية الفاجئة في الجينات .. وهي التعليمات التي تحددها الشفرات الكيميائية لخلق فرد جديد .. والتي تنتقل من الأب إلى الوليد .

وتقوم الداروينية الجديدة على الجمع بين الانتخاب الطبيعي وعلم الجينات المعاصر . وهي حساسة للغاية تجاه أية آراء جديدة ، مثلها في ذلك مثل الكنيسة في القرون الوسطى . ولكن ذلك لم يوقف الآراء الجديدة عن الظهور والانتشار وكان أولها سابقا لكتاب داروين «أصل الأنواع» بنصف قرن من الزمان ، وذلك حين قدم العالم الفرنسي جان بابتيست لامارك عام ١٨٠٩ نظريته حول توريث الخصائص المكتسبة ، وقال إن التغيرات في الشكل والمهارة والعادات التي يكتسبها المرء في حياته يمكن أن تصير إلى ولده .. أي أن الفائدة والحاجة هما اللذان يؤديان إلى التحول التطوري .

موقف الداروينية الجديدة

وكانت لداروين نفسه بعض النظرات اللاماركية ، لكن موقف الداروينية

الجديدة يصر على أن الخصائص لا يمكن انتقالها بالوراثة ، إذ أن التغيرات في عملية الارتقاء إنما تنبع من الانتقاء الطبيعي الذي يتم عن طريق الصدفة في الجينات في خلايا الإنجاب والتكاثر ، والتي نسميها «الخط الجرثومي» ويمكن أن تظهر التغيرات الأساسية المفاجئة في جينات خلايا أجزاء أخرى من الجسم ، ولكن هذه لا تنتقل بالوراثة إلى الجيل التالي .

وقد نسفت التجربة التي قام بها ستيل وزميله هذه الآراء ، وأظهرت أن العكس هو فيما يبدو الصحيح .

أين أتباع لامارك ؟

ومنذ أن اتخذت الداروينية الجديدة موقفها الجديد فإن الأقلية المتمسكة بأفكار لامارك قد وجدت نفسها مواجهة بثلاث مشكلات :

أولها .. أن الداروينية الجديدة قد قامت بالفعل بتفسير أمور كثيرة .. وثانيها أن أتباع لامارك قد ظلوا خارج التيار العلمي الأساسي ، أو صاروا مجرد هواة مثل آرثر كوستلر ، وثالثها أن انتقادات اللاماركية للداروينية الجديدة كانت عامة غائمة ..

ذلك هو الموقف قبل أن تظهر الورقة العلمية التي قدمها ستيل وزميله بعنوان «وراثة القدرة على جينات العدوى في الفئران» .. وقد وجدت اللاماركية في هذا العمل سلاحا ماضيا تشهره في وجه الداروينية الجديدة ، ومتى ثبتت الأفكار الواردة فيه ، كما يرى ميداوار ، فإنها ستؤسس مبدأ ذا أهمية قصوى في مسألة التطور .

وكان ميداوار قد عبر عن تقديره الكبير لهذين الباحثين وردد آراءهما وعملهما في مركز البحوث الإكلينيكية شمالي لندن ، وقد أقنع ستيل بالقدوم والعمل بالمركز ، لأنه يهيىء له جوا ومحيطا حميمين ، ونقدا رفيعا .

والسبب الذي جعل ستيل وزميله يقبلان هذه الدعوة هو أن البداية الأساسية لاختيار عملهما هي موضوع اكتساب الاحتمال الوقائي ، والذي نال به ميداوار جائزة نوبل للعلوم عام ١٩٦٠ م

الداروينية الجديدة قائمة على الجمع بين الانتخاب الطبيعي وعلم الجينات

سقل : التعليم بالصدفة



اكتساب الاحتمال الوقائي

لقد اتضح من عمليات نقل وزراعة الأعضاء أن الجسم لا يقبل كل عضو يزرع فيه ، بل يلفظه ، وبينت التجارب التي أجريت على الفئران أنها بالمثل ترفض الأعضاء المزروعة ، والسبب هو ما يعرف برد فعل المناعة ، ولإيقاف عمل ومفعول رد الفعل هذا لابد من اتخاذ إجراءات كيميائية صارمة .

وهناك طرق كثيرة متوفرة الآن للتغلب على هذه المشكلة ، وتعرف كلها بظاهرة «اكتساب الاحتمال الوقائي» ، وكان ميداوار وزملاؤه قد شقوا هذا الدرب في الخمسينات ويتم اكتساب الاحتمال الوقائي بحقن المستقبل للعضو الغريب وهو في صغره بخلايا من الجسم المتبرع به ، وبالنسبة للحيوان في صغره ، كما في حالة فئران المختبر ، فإن جهاز المناعة الطبيعية في الجسم لا يكون قد اكتمل لرفض العضو المنقول .. وبذا يكبر الحيوان ، ويعامل هذه الخلايا المزروعة فيه كما لو كانت خلاياه هو نفسه .. ومن ثمة فإنه يقبل أي عضو ينقل إليه من ذلك الجسم الذي به خلاياه منذ صغره .

وهذا النوع من الاحتمال الذي يتم صناعيا هو بالطبع خاصية مكتسبة ، ولذا ترى الداروينية الجديدة أنه لايمكن لهذا السبب أن يورث للأجيال التالية ، ولكن ستيل وزميله برهنا على إمكانية توريثه للأجيال التالية .

وقد شرعا في اختبارهما بأن جعلا الفئران الذكور من المجموعة (أ) تتقبل خلايا مزروعة منقولة من فئران من المجموعة (ب) بنفس الطريقة التي شرحنا آنفا .. ثم جعلا هذه الفئران تتناسل مع إناث لم تزرع فيها خلايا غريبة .. هي من نفس الفصيلة (أ) .

وعندما فحصا المواليد الجديدة التي كانت كلها من الفصيلة (أ) ، وجدا أن حوالي نصف عددها كان متسامحا بالنسبة لنقل الخلايا إليه من المجموعة (ب) ، ويمكن نقل هذا التسامح أو الاحتمال الوقائي إلى الجيل الثاني أيضا من المواليد .

وبالطبع لايمكن قبول هذه النتائج إلا بعد اختبارها من قبل جهة محايدة وطرف مستقل . فإن صحت فإن ذلك يعني أن الداروينية الجديدة قدمت بعض الحقيقة ، لا الحقيقة كلها .

بديل للداروينية

إن البديل الذي قدمه ستيل للداروينية الجديدة يمكن أن يكون امتدادا لاماركيا لها .. وله الجانب الأول هو تفسير السير ماكفارلين الذي أصبح واسع الانتشار والقبول وهو يتصل بواحد من أبرز خصائص في الجهاز الدفاعي للجسم ضد الأعضاء الغريبة .

ومن بين أجزاء ذلك الجهاز جزء ينتج مضادات الأجسام .. وهي مواد كيميائية فصلت بشكل دقيق ومضبوط لتقترن بأي دخيل محدد وليس بأي شيء سواه

والغريب أن الجسم قادر على انتاج مضادات لاجسام لم يلتق بها من قبل ليس تلك الطبيعية كالبكتريا والفيروسات فحسب بل الكيميائيات المركبة في المعامل . ولهذا لا يمكن أن تكون هذه القدرة المحددة شيئا يتم تعلمه عبر الارتقاء والتطور .

اما تفسير داروين ، والذي توسع فيه آخرون فيقوم على أن الجينات في الخلايا التي تنتج مضادات الاجسام منطقة دائمة التغير ، وان كل تغير وتحول يقود الى انتاج نوع آخر من المضادات . ولا توجد عادة خلايا لانتاج نوع محدد من هذه المضادات ، إلا فيما ندر . ولكن اذا ما وجد المضاد الذي انتجته صدفا برمته ، فانها تولد المضادات بشكل سريع تحت ضغط تلك الحاجة .

وهكذا فان الخلايا المنتجة للمضادات تمر بعملية انتقاء طبيعي داخل الجسم فتتكاثر الانواع المفيدة بشكل سريع ويتم تصنيفها وحفظها لاستخدامها مستقبلا . اما تلك التي لا تفي بحاجة فانها تنقرض .

ومن الاهمية أن نتذكر ان التحولات عن طريق الصدفة التي تتم في الخلايا المنتجة للمضادات لا صلة لها بالتغيرات الاساسية الفاجئة التي تحدث في خط التكاثر الجرثومي ، ووفقا للافكار التقليدية ، فان تلك التحولات لا يتم توارثها في هذا الخط ، ولكنها تفنى مع الشخص الذي نتجت فيه . وهنا يأتي الشق الثاني من النظرية التي يطرحها ستيل ، ويدخل فيها نوع متميز من انواع الفيروسات اكتشفه هوارد تامين من جامعة ويسكونسون قبل عشرة اعوام ونال على ذلك جائزة نوبل .

سجل ما فعله ستيل

هناك بعض الفيروسات التي تستطيع أن تأسر مادة جينية خارجها . ولكن الفيروسات التي اكتشفها تامين ذات ميكانيزم تستطيع به أن توحد تلك المادة بالجينات في نوات الخلايا . وقد جمع ستيل في كتابه هذين الشقين .

فهناك - من جهة - عملية يتم بها

فرضية علمية جديدة تتحدى الداروينية وتعيد الاعتبار لأفكار لامارك في التطور

داروين : نظرية التطور

لامارك : التطور بالتعلم

الانتقاء الطبيعي للتحولات المفيدة من خارج خط التكاثر الجرثومي ، وهناك من جهة ثانية ميكانيزم يتم بها احتواء المعلومات الجينية الخارجية في خط التكاثر الجرثومي . فاذا ما اجتمعتا للعمل سويا فان النتيجة هي التطور وفق ما قال به لامارك .

ولكن هذه الافكار اللاماركية تختلف عن الفكرة القديمة السائدة القائلة بأن ابن الحداد يولد بعضلات مفتولة . ان التحولات ما زال لها الدور الاساسي الذي تلعبه . ولكن يمكن لها أن تحدث خارج دائرة الخط الجرثومي ، وهذا يسمح بتوريث الصفات والخصائص المكتسبة .

وهذه اللاماركية الجديدة لا تنفي الداروينية بقدر ما تقوم بتحديدها في اتجاه مغاير تماما . ومع ذلك فان هذا النوع من التوريث سيظل ذا فائدة قليلة ان بقي فقط في دائرة جهاز المناعة الطبيعية بالجسم . ولكن ما يقترحه ستيل هو ان فعاليته اوسع مدى من ذلك .

ان خلايا الدم ، وخلايا الكبد وخلايا جدار المصارين ، وربما الجهاز العصبي ، كلها يمكن أن تمر بهذا النوع من التطور ، ثم تدخل الى الخط الجرثومي . فاذا ما تم التثبت من هذه النظرية بالتجربة ، كما يرى د. هنداوي ، فانها ستكون مفتاحة لتغيير جوانب أخرى في مجال الوراثة .

رد الفعل ...

كان ستيل يتوقع رد فعل عنيف من الداروينية الجديدة عندما نشر كتابه ولكن رد الفعل جاء ناعما . والحق أن الداروينية الجديدة قد ظلت تعاني لبعض الوقت جملة من المشاكل . هناك مثلا مشكلة عضو معقد كالعين التي تتكون من عدد لا يحصى من الاجزاء المتداخلة وتكارها لا طائل تحته دون غيره . ولا يمكن أن تكون العين وليدة الصدفة على الاطلاق . ولانه أن لوجودها أن تتم تحولات عديدة ضرورية في الخط الجرثومي وفي نفس الوقت ومما عرف عن معدل التحولات لا تعدو أن شيئا كهذا يمكن تصديقه .

والمشكلة الاخرى التي كثرت الاشارة اليها هي تاريخية في المقام الاول .. هناك فجوات كبيرة في السجل الذي يعتمد على المخلفات المتحجرة لخطوات اساسية في عملية التطور .. مثلا خروج الطير من الزواحف .. او المراحل الأولى من تطور الفقريات .

وليس مستغرب أن يكون السجل المعتمد على المتحجرات حافلا بالفجوات ولكن اذا كان التطور قد حدث فعلا بالبطء الذي قال به داروين فاننا نستغرب عدم وجود أي دليل عن المراحل الوسيطة لبعض الخطوات المهمة للغاية في عملية التطور .

وبجانب هذه الشكوك ذات الطابع العام فان الادب العلمي الذي كثيراً ما يغيب عن البال ، وما تم جمعه من التجارب يصعب تفسيره على ضوء

الداروينية الجديدة ، ولكن خط التفسير اللاماركي يسهم في ذلك كثيرا .

ويقدم لنا علم النبات مخالبه الخاصة ايضا . فالكتان مثلا يظهر لنا ما يدعم اراء لامارك في الوراثة . فقد وجد - الان دورانت بسموات كلنت - وهو من جامعة ويلز - ان اختلافات الطول والوزن في الكتان الناتجة عن اختلاف في ظروف زراعته ، يمكن توريثها .

فاذا ثبتت نتائج تجارب ستيل وزميله فانها ستؤكد ان بعض ما قال به لامارك في الوراثة حقيقي بالنسبة لكثير من المسائل .

ان كثيرا من اتباع الداروينية الجديدة اليوم يرون انه ما دام الانسان قد تحكم في كثير من ضغوط البيئة عليه فانه ليس من باب الاحتمال ان يستمر في التطور بيولوجيا . ولكن هذه النظرة لا تفترض اي توريث للخصائص المكتسبة . فاذا صح هذا الافتراض فان كثيرا من الامور سيبدو على صورة مغايرة . وفي كتابه يتوقع ستيل ان الانماط السلوكية المكتسبة ربما تم استيعابها في الخط الجرثومي . وان صح ذلك فان التغيرات الاجتماعية والبيئات الجديدة التي خلقتها التكنولوجيا الحديثة ستؤدى الى تطور سريع للانسان .

بانتظار الحكم ...

وبينما ينتظر الجميع صدور الحكم على هذه التجارب يصور السير بيتر ميداوار الحالة الذهنية القائمة افضل تصوير حين يقول :

لقد حفل الماضي بامور كثيرة مخيبة للامال ، مما جعل الناس يتوجسون ويبقون على حذر ، وربما صرف الكثيرون اراء ستيل دفعة واحدة .

ولكنني لا اعتقد في عدم الاكتراث لمثل هذه الافكار مهما بدت غريبة . اذ يجب ان تمنح فرصة عادلة للتجريب . لان شيئا شديد الغرابة يجرى .. فيما يبدو .

ويقول عن كتاب ستيل :

« لا ادرى على الاطلاق ما ستتمخض عنه الامور .. ولكنني امل مخلصا ان يكون (ستيل) على حق » .

جديد في دنيا العلوم

الصداع النصفي والأطفال



●● تقول ان الصداع النصفي يمكن ان يصيب الاطفال كغيرهم تماما ، وقد قام الدكتور جون الطبيب الاخصائي لامراض الاطفال والامراض العصبية بمستشفى ابراك دالتون كيلام للاطفال بهالفاكس ان ٨٠٪ من امهات الاطفال الذين يعانون من الصداع النصفي و ٦١٪ من ابائهم هم ايضا يعانون من هذا المرض .

وفي اغلب الاحيان يصعب اكتشاف الصداع النصفي عند الاطفال لان الصداع العادى ، هو سمة مميزة للصداع النصفي عند الكبار ، ليس من بين الاعراض العامة عند الاطفال . ففي سن الثانية او الثالثة قد يبدأ الصداع النصفي بنوبة مفاجئة وحادة من الدوار ، وفي سن الخامسة يصاحبه قيء من وقت لاخر ، وحمى والام في البطن . وفي الثالثة يظهر الضعف في الجزء الاسفل من احد شقي الجسم ، واشارات من عدم القدرة على الكلام المتصل المبين ، وشعور بالفتور والنعاس .

وقد يتخذ الصداع النصفي اعراض الزائدة الدودية ، والصرع ، وسرعة التسمم او الثمل بالعقاقير ، والمرض النفسي او التهاب الجهاز العصبي المركزي .

وتختفي الاعراض عادة في ظرف ١٢ الى ٢٤ ساعة اذا تم العلاج الصحيح ، والذى يمكن ان يشمل الاسبيرين والمسكنات والراحة او الغذاء الخاص . وباستطاعة الاطفال الصغار ان يتجاوزوا الصداع النصفي وهم يكبرون ، ولكن من الممكن ان يعاودهم في الكبر ، حيث الصداع العادى هو السمة المميزة له .

علاج جديد لحب الشباب

●● ما زال الطب يجهل اسباب حدوث (الاكني) ، ولا يوجد دواء واحد محدد لعلاجه . ولكن اكثر انواع العلاج فعالية هو حامض فيتامين (أ) كما يرى الدكتور سيدني هورفيتز ، الاستاذ المساعد لطب الاطفال والامراض الجلدية بكلية طب جامعة ييل .

ويمكن استخدام حامض فيتامين (أ) في الكريم او الجلي ، وهو مادة تستخرج من محلول غرواني ، ويساعد ذلك في تقليل تهيج الجلد وتقشره ، فتصبح الطبقة الخشنة من الجلد طرية ، وتزول رؤوس الحبوب السوداء . اما في الحالات الحادة فيمكن استخدام خلطة من حامض فيتامين (أ) والبنزويل بيروكسيد .

وينصح الدكتور هورفيتز المصابين بالاكني بالابتعاد عن استخدام المطهرات

فى دنيا العلوم

والمواد الكاشطة ، والانواع الاخرى من ادوية الجلد ، وذلك لعدم وجود دليل واضح على فوائدها ، كما يوصى باستعمال الصابون الخفيف ، والانتظار حتى يجف الجلد تماما قبل استعمال هذا المستحضر الجديد ، واذا ما كان الشخص يتعرض للشمس بصفة دائمة ، عليه ان يستعمل دهانا يقيه من اشعتها

البنكرياس الصناعي

●● اخترع الطبيبان نيل كرافتن ودون شولم بمستشفى سنت فنسنت بسيدني باستراليا بنكرياسا صناعيا بحجم علبة الثقاب ، يلبسه المريض حول خصره ، فاذا ما ضغط على زر خرجت منه الكمية المطلوبة بالضبط من الانسولين من خلال القسطر التي تجرى الدم .

ويقول الطبيبان انه يمكن توفير هذا البنكرياس الصناعي في الاسواق في غضون عامين اذا ما استمر نجاح البحث والتجارب .

الموسيقى الصاخبة توقف التأتأة

●● اكتشف الدكتور فرانسيس فريمان ، الاستاذ المعاون في طب الكلام بجامعة نورثويسترن بالينوى ، ان صالة موسيقى الديسكو الصاخبة هي المكان المثالي الذي يستطيع فيه المصابون بالتأتأة او الفأفأة او التمتمة الحديث بانشراح وانطلاق .. وان اكثرهم يتوقفون عن التأتأة اذا ما انسجموا في الغناء او الحديث في ايقاع منتظم ، او اذا ما اضطروا الى التخاطب في محيط صخب .

وقد ساعدت ابحاث الدكتور فريمان ، والتى دامت عشر سنوات حول التغيرات الفسيولوجية التى تحدث اثناء التأتأة ، فى تطوير طرق علاجية جديدة للتأتأة .

السكتة القلبية والمرأة العاملة

●● تعتقد الدكتورة سوزان هينز ، عضوة المعهد القومى لامراض القلب والرئة والدم بميريلاند ، ان تعرض المرأة العاملة لاخطار السكتة القلبية وامراض القلب لا يزيد فى معدله عن النساء اللائى لا يخرجن للعمل .

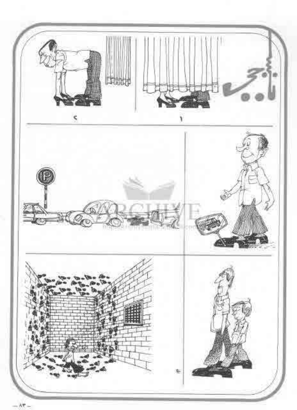
وقد بنت هذا الرأى على بحث دام سنوات لحالات وتاريخ المرض لدى ٣٥٠ ربة منزل و ٣٨٧ امرأة عاملة و ٥٨٠ رجلا ، تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و ٦٤ عاما .

والحالة الاستثنائية الوحيدة التى وجدتها د. هينز هى ان النسوة اللائى يقمن باعمال مكتبية ، ولهن اطفال قبل سن المدارس ، وازواج من الطبقة العاملة يرتفع معدل خطر الاصابة لديهن بنسبة ٢١٪ اكثر من غيرهن ، وذلك يعنى اربعة اضعاف اكثر مما هو بين اللائى لا يخرجن للعمل ، وثلاثة اضعاف اعلى من المعدل عند العاملات اللائى ليس فى وسعهن ، وضعف المعدل عند الرجال .

وتقول د. سوزان هينز ان هؤلاء النسوة يشعرن بفقدان السيطرة على النفس ، وعدم الاعتراف بهن ، وان قدراتهن ومهاراتهن لا تستغل على الوجه الامثل .. وانهن يكتمن مشاعر عدائية تجاه رؤسائهن لا يتعاطفون معهن .. وانهن مثقلات بعبء الامومة والازواج ذوى الدخل المنخفض .

اما النساء غير المتزوجات واللائى عملن لفترات اطول فانهن الاقل تعرضا لمرض القلب ، اذ انه بنسبة ٣ر٤٪ عندهن بالمقارنة الى ٢ر٧٪ عند كل النساء العاملات ، و ٢ر٨٪ عند المتزوجات العاملات ، و ٥ر٨٪ عند المطلقات او المنفصلات عن ازواجهن او الارامل ، و ١ر١٢٪ عند الرجال .

اما درجة التوتر العاطفى عند النساء العاملات فهى مرتفعة بشكل ملحوظ عما هى بين الرجال ، كما ان الاجهاد العاطفى بين الرجال والنساء العاملات اعلى مما هو بين اللائى لا يخرجن الى العمل .


ناجي
١
٢
P



وجه من لوحة للفنان مايكل انجلو

روما .. الفن والفوضى

كمال سعد

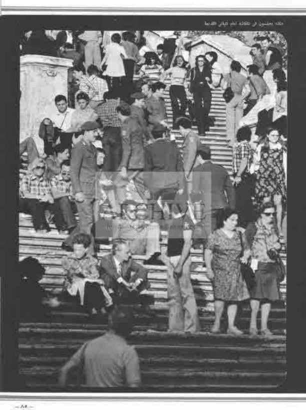
لم تستطع مدينة روما أن تعقد إتفاق .. جنتلمان .. بين القوى السياسية المتصارعة داخل كيانها .. رغم أنها استطاعت أن تصل لهذا الاتفاق منذ أربعين عاما وفي سنوات دامية ذاق مرارتها العالم كله .

ففي سنوات الحرب العالمية الثانية اتفق الطرفان المتحاربان على اعتبار روما مدينة مفتوحة حتى يحافظوا على كل ما فيها من حضارة انسانية .. وانتهت الحرب .. وغربت الفاشية .. وظلت المدينة منطلقا للفن والثقافة وكافة العلوم الإنسانية .

وفي سنوات الحرب الأخيرة أطلت الفاشية من جديد لتزرع الرعب في كل أنحاء إيطاليا ، ولتجعل روما مدينة مفتوحة للفوضى ، كل ما فيها مهدد بالضياع تحت أقدام جحافل الإرهاب الأسود ، ممن يطلقون المدافع الجماعية لإذكاء الفزع والهلع وإصابة البلاد بشلل سياسي يعطل جهازها البيروقراطي ويصرعها في الوقت المناسب بالضربة القاضية ، التي تؤدي إلى إرتمائها في أحضان دكتاتورية أشد قسوة من دكتاتورية موسوليني ، فوقتها يستولي على الحكم ذلك الفاشية الجدد .. كما يسمونهم هنا .. لتصبح إيطاليا في ظلهم كما كانت من قبل .. على كف عفريت !

أحلام الخائفين

ولعل أبلغ من صور روما في محنتها السابقة والحالية ، هو المخرج الإيطالي فلليني ، الذي صورها دائما في اللاعة .. بمدينة تفتح ذراعيها للجميع ! اللصوص وأصحاب الملايين والمهربين والنصابين وحضنها في كل الأحوال تمد يدها لإنقاذ حتى الذين أرادوا تشويهها وتحريقها سواء كانوا من الفاشيين أو الإرهابيين !



مائة يجلسون في تلقائية امام المباني القديمة

● رغم موجة الغلاء: مازال التاجر فى روما ينتزع نقودك ويودعك بابتسامة مرحبـــــــة !

● مازالت روما صبية متواضعة ، تأخذك فى حنان وشوق ، لتذوب فى أزقتها النابضة بالفن و الحياة !



أما المخرج الايطالى «فرانشيسكو روزى» فقد ادى قلقه وتوتره وحيرته من الأوضاع السائدة فى العاصمة ، الى اختيار قصة الكاتب الايطالى «ليوناردو سكياشيا» ليوجه بها فى السبعينات اتهاما مباشرا للمسئولين عن هذه الفوضى الضاربة فى الاعماق فى نخاع المدينة ، واختار للفيلم اسما يجعلك تستنكره منذ اول وهلة : «جثث لذيذة» .. أراد به أن يحتج على مصرع العدل ، او قضية اغتيال القضاة الذين مازالوا يتعرضون للرصاصات الارهابية التى تريد ان تقضى على الأمن والجمال والحضارة ، لتقيم الكيان الجديد فوق انقاض الكراهية والعنف والابتزاز ، ولتعيد عجلة التاريخ لذلك اليوم الذى سقطت فيه الجماهير تحت «بهج» الوعود ، واقل كل ساكن فى المدينة مسلوب الارادة ، يعيش فوق جبل من الاحلام ، لم يحقق منه غير العار والضياع والسقوط الدامى الى الهاوية !

الخروج من الأزمة

من يدخل روما اليوم سيراها غير الأمس ..

رجل الشارع هنا يستنكر بشدة حوادث العنف التى ارتكبها الفاشيون وآخرها إنفجار قنبلة محطة سكة حديد بولونيا التى اودت بحياة ٧٩ إنسانا .. وهو يدين بنفس القوة اعضاء منظمة الالوية الحمراء الذين يوجهون ضرباتهم للسياسيين والقضاة ورجال الأعمال ..

ورغم مضى عامين على حكم «ساندرو بترتيني» او الرئيس السابع لايطاليا ، فمازالت الدولة عاجزة عن قمع الارهاب ، ومازالت الجهود تبذل لتحقيق الوحدة الوطنية وسط ظروف بالغة التعقيد لجمع الاحزاب الستة الرئيسية حول اتفاق سياسى ينقذ البلاد من الفوضى السياسية ، والركود الاقتصادى ، وزيادة القروض ، والعنف ، وجيش العاطلين البالغ عدده مليون و ٧٠٠ الف مواطن ، وعمق الفجوة بين الشمال الصناعى والجنوب الزراعى والتى تجعل اهل الجنوب يتندرون فى جلساتهم بالقول : «نحن نعمل واهل روما يلتهمون طعامنا» !

والمعروف ان الرئيس الايطالى بسنوات عمره الثلاث والثمانين ، وعنفوانه المميز ، كان قد رشح نفسه من منطلق التركيز على الوحدة الوطنية ، ووجد هذا المنطلق حماسا لدى الناخبين الذين اعطوه اصواتا لم يحصل عليها اى رئيس جمهورية فى تاريخ البلاد .. ولم يكن برنامجه ـ وحده ـ هو السبب فى هذا التأييد العارم ، فقد دعمه ماضيه الحافل بالاحداث والمتمثل فى مقاومة الفاشية والسجن بسبب ذلك سبع سنوات ، وكرهه للنازية الذى ادى الى صدور الحكم عليه بالموت وهروبه من



عندما يجتمعون من كل صوب

السجن لينتظم حركة المقاومة فى وسط وشمال ايطاليا ضد الألمان . وأحداث أخرى مشرفة جعلت الجماهير تعقد الآمال على قدرة رجل له مثل هذا السجل على حل كافة التناقضات وعلاج الأمراض التى يعانى منها المجتمع الايطالى .

موجة الغلاء

إن مجرد قضاء بضعة أيام فى العاصمة روما ، تجعلك تتأكد من أن ايطاليا مازالت رجل أوربا المريض منذ الحرب العالمية الثانية ، وأن أزمة العالم الإقتصادية هى السبب فى التفكك الاجتماعى والأخلاقى والموقف المتفجر فى طول البلاد وعرضها الذى يقوده ذلك السباق المجنون بين اليمين الفاشى واليسار المتطرف !

فظاهرة احتجاب الصحف فجأة أصبحت من الأمور المألوفة فى الفترة الأخيرة . وكثيرا مايضرب العمال والصحفيون المطلبون بصدور قانون الصحافة الإصلاحى الذى مازال نائما فى أدراج البرلمان الايطالى رغم مضى عامين على مناقشته ! .

وبارتفاع أسعار الصحف فى الأيام القادمة ـ كما هو متوقع ـ سيضاف عبء جديد على المواطن الذى يصرخ من ارتفاع الإسعار فى كل شىء بشكل جنونى وفى اندفاع غير معقول !

ووسط موجة الغلاء البالغة ، ستجد التاجر الايطالى ـ كما هو ـ الابتسامة العريضة على شفتيه ، وكلمات الترحيب المسرحية تتبعك منذ دخول المكان والنزاع ماهى جيبك من نقود ، حتى لحظة الوداع التى تخرج فيها من الباب محملا بالبضائـــع !!

وإذا كانت محنة الطلبة الجامعيين أنهم لا يجدون عملا بعد تخرجهم فيضطرون لاستكمال الدراسة ، فإن المرأة الايطالية تشكو من شيئين : عدم قدرتها على تحقيق احلامها ، وإرهاق العمل الذى يجعلها غير قادرة على الاهتمام بشئون بيتها . !

وفى أماكن كثيرة هنا يمكنك ملاحظة الفتيات الصغيرات وهن يدخن فى شراهة .. وكثيرا ماترى مناقشتهن الحامية حول قانون الأحوال المدنية والشخصية الذى حرم النساء من المساواة مع الرجال فى شتى مجالات العمل !

وفى نفس الوقت الذى تجد فيه المرأة المهتمة بأناقتها والتى تجيد أطباق المكرونة بأنواعها وتفضل مهنة التدريس وآلة الكاتبة ، فإنك قد تصادف المرأة التى تحمل سلاحا . والتى وصفها متحدث من وزارة الخارجية بأنها تقتل ببرود شديد وبابتسامة على الشفتين . ولعلنا نعرف أن الفتاة «فلوراتيرى» اشتركت فى اختطاف رئيس الوزراء السابق «ألدو مورو» . كما أن ريناتو كورسيلا وزوجته هما اللذان أسسا منظمة الكتائب الحمراء ، وعند اعتقالهما منذ خمس سنوات حررتهما امرأة هى ، مرجريت كاجول ، التى قتلها البوليس عقب معركة عنيفة استخدمت فيها الرشاشات . .

مازالت صبية

ورغم كل هذه الظروف والأحداث التى أصبحت الشغل الشاغل لرجل الشارع فى روما ، فإن وجه المدينة الثقافى المتألق ، مازال له بريق خاص ، يضرب بعروقه الأصيلة فى أعماق التاريخ الى قرون خلت . ليظل نفوذها الساحر كواحدة من أجمل عواصم الدنيا فروما هى الإشعاع الدافىء الذى يسرى فى القلوب عندما ترى ميادينها ونافوراتها وحدائقها وحواريها وتلالها السبعة التى يتعايش فيها القديم مع الجديد ..

وهى مازالت متواضعة ، لا تعرف الكبرياء ، تأخذك فى حنان وشوق لتذوب

انهم يتكلمون بالأيدى





عشقها في خواريها وتأتلها الشامخة بقلبل والجبال، بنفس الفن الذي تجول فيه من قصورها وتماثيلها العديدة المتناثرة في حدائق بورجيزي أو (الأحجار المتشابكة والتي [illegible] أحد أركانها تعلق الشاعر العربي الكبير أحمد شوقي : ومن مدينة النافورات التي تجاورت المتلاحمة بأشكالها وأحجامها المختلفة .

وجعلت [illegible] الفن المعماري والإعجاز في النحت ... فقد توقفت عند الفن كافوراتها كوستانتي تريفي التي جسم تماثيلها [illegible] الملك الحاكم في القرن السادس عشر، واستخدم بعض القماش لزخرفة ما حولها من تماثيل، ووضع في وسطها تمثال [illegible] التي صورتها الأسطورة [illegible] من جعلت

الكولوسيوم الذي [illegible] روما

الماء يجري في عروق المدينة !

وفي آخر مرة وقفت فيها النافورة فرحت أنها تهوي ، والقت ثلاث قطع معدنية مثل كل الذين قبلها ، ليتحقق لي بفعل ذلك بعودة مرة أخرى ليغتسل من مائها وفتحتها الذي لا مضطرب .. فقد انتهى إلى المساء جلست مع أحد الأصدقاء لأعترف له عن دهشتي وذهولي مما رأيته في هذا العمل الفذ ، وروت له قصة الفنان بالقطع المعدنية في النافورة الصغيرة ، فضحك منه مستهجنه وهو يقول : لقد ساهمت بهذا العمل في قرار جيوب الصبية الصغار الذين يحرقون إلى المشال يغطون النافورة بتشلقه في الفجر ، ليستخلصوا من الماء ما القاه كل يا سيدا من سياح دون التعرض للعقوبات

الحراس الخارقين على اليوم !

شرف الموت

وفي مدينة روما التي نشأت من العام ٧٥٣ سنة ، وكانت في الماضي عاصمة للعالم ، والاقطاعات بالاتصال إنها إلى أمس الامبراطورية في أكبر الامبراطوريات



روما ليلاً



• جنسية سكان الفاتيكان مؤقتة وهي أصغر و أغنى دولة في العالم !

• الشاعر الذي يبكي على حريته المفقودة وتغني بالأصدقاء والفن وأحلام الليل ورغبات النهار !

كان أول شيء يطالعني هو «الكولزيوم» الذي ظل العمل فيه ثمانين عاما منذ عام ٧٩ ميلادية .. وكانت تجري على مسرحه الاحتفالات والمهرجانات والمذابح الدموية ، التي شاركت فيها الوحوش الكاسرة والأسلحة الفتاكة في قتل ألوف العبيد الأرقاء الذين كانوا يواجهون شرف الموت تحت أقدام السادة الجدد من الأباطرة الرومانيين الذين أخضعوا العالم بالحديد والنار !

وحول الكولزيوم .. قالوا في حكمتها في روما القديمة قبل عقب بنائه : مادام قائما ، فستبقى روما ، وإذا ما انهار فسوف تنهار ، وإذا ما انهارت روما انهار معها العالم !

والغريب أن هذا الأثر تعرض للانهيار

قلعة الفاتيكان

وفي المدينة الصغيرة الواقعة في وسط إيطاليا على نهر التيبر ، يمكنك أن تدرك منذ الوهلة الأولى بأنها متحف كبير .. في قلبها ترى القصر «بالاتزوفينيسيا» الذي أقامه «بابولو الثاني» في القرن الخامس عشر ، وهو عبارة عن تحفة معمارية خالدة ، اتخذه موسوليني مقرا رسميا يلقي من شرفته التي تطل على ميدان فسيح خطبه الملتهبة لترتفع هتافات الجماهير !

وهناك قلعة سانت انجلو من القرن السادس وهي التي خلدها الموسيقار جياكومو بوتشيني في أوبرا توسكا ، وغيرها يمكنك أن ترى حدائق [illegible] الساحرة ، ومخلفات قصور الدرست التي كانت قائمة منذ أكثر من ٢٣ قرنا ومازالت بعض آثارها باقية !

لما أهم أثر في روما .. بل وفي أوروبا كلها .. فهو الفاتيكان ، بما يحوى من

مدينة روما الصغيرة التي حكمت العالم في يوم من الأيام [illegible]

● من هو الروائي

الذى رفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية ؟

أعمال فنانى عصر النهضة الخالدين أمثال ليوناردو دافنشي ورفائيللو ومايكل انجلو .. وبمناسبة ذكر الأخير سيقفز الى الأذهان على الفور : سقف كنيسة سكستين ، الذى يبلغ مسطحه ألف متر مربع والذى أبدع لوحاته مستلقيا على ظهره أكثر من ثلاث سنوات !

وعندما زرت الفاتيكان وجدت أنها ضاحية من ضواحى العاصمة ، تصل مساحتها الى ١٠٨ فدان ، وبها سكة حديد وقصر بابوى وحدائق وعدة مبان وبريد مستقل وإذاعة خاصة ومتحف يضم أعمالا فنية للحضارات المصرية واليونانية والرومانية ولوحات لكبار الفنانين.

أما سكانها فلا يتجاوز عددهم الألف نسمة ، وهم من الكرادلة والموظفين والاداريين والقائمين بمختلف الخدمات والذين يمثلون الفاتيكان فى الخارج !

ويتمتع دار المدينة بهذا نظام خاص ، فسكانها تنتهى جنسيتهم بانتهاء الوظيفة وأبناؤها هو رئيس دولة الفاتيكان عند معاهدة لاتيران (١٩٢٩) مع الحكومة الايطالية ، التى أخذ بمقتضاها سلطات مطلقة !

الطيف الجميل

ولا أنسى كنت مفتونة بروما قبل أن أراها [illegible]

كان لا يأخذ من نفسى الا مكانا متزويا ، لتبرز ذكرياتى عما قرأته عن شاعر ايطاليا الأول «دانتى الجييرى» الذى تسللت الى قلبه من صباه صورة الصبية الجميلة «البياتشى» التى اتخذها فى كل قصائده رمزا للسعادة والغبطة .. كما ظلت فى أعماقى صورة أعذب الشعراء فى العصر الوسيط «فرانشيسكو بترارك» الذى تغنى بالأصدقاء وحب روما والفن والطبيعة وأحلام الليل ورغبات النهار ، وبكى على حبيبته المفقودة وعلى طيفه الجميل «لاورا» التى كان يسمعها عندما يسمع فروع الشجر والنسيم والأغصان وشدو العصافير والمياه تنساب فى رقة بين الحشائش الخضراء ..

وكنت لا أستطيع أن أنسى الروائى «سيزار بافيزى» الذى مات فى الخمسينات منتحرا لأنه رفض أن يكون أداة تخدل الجمهور المتعطش الى الحقيقة .. أو أنسى الروائى «فابريزيو أونوفيرى» الذى قال لنا فى روايته «روما بتسمبر ٣١» أنه يرفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية .. فهؤلاء وغيرهم من الروائيين أمثال البرتو مورافيا وأيليو فتوريني وبراتوليني ، عاشت أعمالهم فى وجدانى ووجدان العالم كله ، لأنها ترتكز على الصدق الفنى والبناء الدرامى المتماسك والشكل الجميل البالغ الاتقان !

وكنت أبحث دائما عن سر هذا العطاء الخاص فى المدينة .. العطاء الفياض فى كل شيء .. فى القوة التى جعلت من تاريخها قبل الميلاد سجلا للفتوحات والانتصارات خارج الحدود .. وفى اللمسة الفنية التى جعلت منها مدينة عصر النهضة الخالدة .. وفى الروح الأدبية المتمردة الخصبة التى أعطتنا قمة فى الشعراء وقمة فى الرواية .. وكنت أجد الجواب دائما فى أفلام مخرج ايطاليا العظيم فلليني الذى جعلنى فى أعماله السينمائية أحس بها شابة حانية تفتح ذراعيها للجميع .. وتجدد خلاياها باستمرار لادراكها بأن الحياة لا تعرف التوقف أو الجمود !

كمال سعد



ترميم القديم



التنين وحش الخيال الشعبي

فاروق خورشيد

لم يقف الخيال الشعبي عندما وجد من مخلوقات الله في عالم الحيوان أو الطير أو في عالم البحر أو عالم النبات ، بل راح يعطي بعض هذه المخلوقات من السمات والوظائف ماليس لها في دنيا الواقع . ثم امتد به الجنوح فخلق من العدم مخلوقات أخرى لا تعرفها هذه العوالم المتعددة لإبراز تجسيده بعض المعاني أو الرموز . ذلك التجسيد الذي لم تكن تفي به الحيوانات والمخلوقات التي تقع تحت إدراكه وبصره في عالم الواقع ودنياه ...

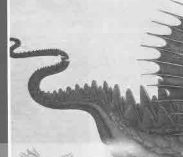
من وحوش الطير التي ابتدعها الخيال الشعبي الرخ والعنقاء .

أما الرخ فهو ذلك الطائر الأسطوري الذي ربط السندباد نفسه بساقه فنقله من جبل الحيات محملا باللؤلؤ والجوهر .

أما العنقاء فهو وحش من نسيج الخيال الشعبي تماما ، وفي المثل العربي السائر إن المستحيلات ثلاثة وهي العنقاء والغول والخل الوفي .

أهوال البحر

إلا أن أهم عالم حظي بالقدر الأكبر من ابداعات الخيال الشعبي كان بلا شك عالم البحار ... فقد ترك البحارة والرحالة لخيالهم العنان في تأويل ظواهر البحر ، وما يطوونه في دنياه العجيب من مشاهد ومخاطر وأهوال .. والى جوار بحار النار وجبال المغناطيس ، والجزر المتحركة ، والجنيات اللاتي يسحرن البحارة بغنائهن ، ظهرت الحكايات حول عروس البحر وحول الهلشة ثم حول التنين ... وقد خلط الخيال الشعبي كثيرا بين التنين والأخطبوط ، إلا أنهما في الحقيقة ، وفي الكثير من









الخيال الشعبي يخلق من العدم مخلوقات لم نعرفها في الواقع

النصوص شيئان منفصلان لا يجمع بينهما فى خيال الراوى الشعبى إلا وجود الأذرع المتعددة عند كليهما ...

أما الأخطبوط فهو حيوان رخوى يصنفه علماء الحيوان تحت النوع (الرأس قدمى) ... وهو يوجد بالبحار الدافئة . وجسمه كروى الشكل أو كالكيس ذى الفتحة ... وله ثمانية أذرع ، وهو عند الخطر يفرز مادة فى لون الحبر تخفيه عن الانظار الا انها مادة سامة ... والنوع الموجود منه بكثرة صغير الحجم ولا يشكل خطرا الا فيما يفرزه من لعابه من سموم . الا أن هناك بعض الانواع التى وجدت فى البحار العميقة يبلغ مد الذراع فيها حوالى سبعة امتار ، وهو يشكل خطورة حقيقية فى هذه البحار ، وهو يكثر فريسته قبل التهامها وتمزيقها بأذرعه .

ولعل هذا الأخطبوط هو الأصل فى انتشار أسطورة التنين الذى لايوجد فى عالم الحقيقة على الاطلاق ، وان وجد بكثرة فى الحكايات والأساطير الشعبية العالمية والعربية على السواء ، ونحن نرجع لنقطة البدء فى تحرك الخيال الشعبى الى ما شاهده الرحالة والبحارة فى البحار العميقة من اخطبوطات ذات الأذرع الطويلة ، والقوة المدمرة ... الا ان صورة التنين تجمع فى الخيال الشعبى بين اكثر من عالم من عوالم الحيوان ، وبين اكثر من صفة جمعت من اكثر من حيوان . فهو اقرب عند الخيال الشعبى الى هذه المخلوقات التى ركب لها هذا الخيال اكثر من جزء من عوالم مختلفة ليبدع مخلوقا غريبا قائما بذاته ، ولا ينتمى الى حيوان بعينه . فهو حيوان يجمع بين عالم الحيوان وعالم الزواحف وعالم الطيور ، فالتنين له مخالب اسد ، واجنحة نسر ، وذنب افعى ...واقدم صورة لهذا الحيوان الأسطورى ترجع الى العصر البابلى ، ثم انتشرت أسطورته فى آداب كثيرة ، وظهرت عند امم متعددة ... بل لقد اتخذ التنين رمزا قوميا لشعوب جنوب شرقى اسيا ، وظهر كرمز للصين فى كثير من الآداب العالمية التى تعتبر الصين رمزا للخطر الأصفر ، او للزحف الأسيوى على الحضارة الاوربية او حضارة الرجل الابيض ...

عجائب المخلوقات

وقد شغل امر التنين الرحالة العرب ، واصحاب المؤلفات التى اهتمت بتتبع اخبار هؤلاء الرحالة وما يصادفون من عجائب المخلوقات . ونحن نجد الحديث عن التنين فى كثير من هذه الكتب ، فيقول عمر بن الوردى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى فى كتابه «فريدة العجائب» : ويظهر فى بحر الروم تنين عظيم يشبه السحاب الاسود ، ينظر اليه الناس ، وهو دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه ، فيبعث الله سحابة من سحب قدرته فتحملها وتخرج بها من البحر ، فيادحية سوداء لا يمر [illegible] من الابنية فيعطلها الا سحقته ودمرته ، ولا من الاشجار الا هشمتها وربما نفست [illegible] الاثقال والاثقال [illegible] وتلقيها [illegible] فى الجزر التى فيها يأجوج ومأجوج ، فتصير لهم غذاء . ونحن فى هذا النص نلمح اثرا من اثار رؤية الاخطبوط فى الحديث عن هيئة التنين التى تشبه هيئة الحية . وفى الحديث عن ذنبه الذى لايمر بشىء الا دمره .. وان كنا نرى تداخلا بين صورة الاخطبوط وصورة الاعصار البحرى الذى يسمى (تيفون) والذى يكثر فى بحر الهند او فى المحيط الهندى ويسمى العلماء هذا الاعصار باسم النافورة البحرية وهو يمثل علميا من تفاعل ريحين متضادتين تدوران حول نطاق جوى منخفض الضغط او منخفض الحرارة ويتكاثف بخار الماء فى هذا النطاق فيظهر فى هيئة عامود هائل يصل بين البحر والسحاب فكأنه عند الرائى يصل بين البحر والسماء .. وتبلغ فى هذه الحالة سرعة الريح مدى هائلا يعرض كل الاشياء القائمة فى مجاله للدمار الأكيد ... ويقول العلماء انه كثيرا ما يظهر من نطاق السحب المحيطة بالمنطقة المتعرضة للاعصار بروز كالذنب الطويل يتجه نحو الشاطىء ويدمر المنازل القريبة ويقتلع الأشجار والاعمدة المنصوبة ، وتصحب ظاهرة النافورة البحرية هذه او التيفون ظواهر اعصارية معروفة كالبرق والرعد . ويقولون ايضا أن حركة التخلخل الفجائية فى الضغط الجوى تولد انفجارا داخليا فى الاقسام القريبة من النافورة والاعصار . وهذا التخلخل نفسه من الممكن لو كانت النافورة قريبة من الشاطىء ان يهدم المنازل ويدمر النوافذ ويقتلع الأشجار ويقذف بها فى الفضاء .

أسطورة التنين

فهناك هذه الظاهرة التى تكثر فى البحار الدافئة ، وما يمكن ان يرى معها بالعين من اندفاع لذيل طويل الى الشاطىء ، ومن برق ورعد ونافورة تصل بين البحر والسماء تساعد كلها على رسم المنابع التى اعتمدت عليها أسطورة التنين . وقد جاء وصف التنين فى كتاب رحلات سليمان وهو مخطوط ، نشره وترجمه بالفرنسية الراهب الفرنسى جان رينود عام ١٧٦٨ . والكتاب عبارة عن مشاهدات رحالة اسمه سليمان فى رحلاته عبر البحار وقد وصف سليمان التنين وصفا مليئا بالخيال . ومجموعة من المعلومات الناقصة المتداولة بين رجال بحر العرب . فعند العودة من رحلته الى الصين وخلال اجتيازه لبحر الهند اصطفقت الرياح أصطفاقا شديدا ذات يوم . ثم استمرت هذه الرياح مصحوبة بدوى شديد فى قاع البحر عدة ايام وليال . ويقدم البحارة تفسيرا غريبا لهذه الظاهرة اذ هى عندهم ان فى القاع شيئا يفزع دواب البحر فهى تطلب من الله تعالى ان يبعث اليها ما يحمل هذا الشىء الى السماء ليلقيه فى بلاد يأجوج ومأجوج . وان هذا الشىء الذى تضج منه دواب البحر وتفزع بهذه الاصوات الى الله سبحانه وتعالى لينقذها منه هو التنين . يعربد فى جوف الماء فيفزع الاسماك والحيتان . ثم يصفه لنا وصفا اسطوريا فيقول انه اضخم ما خلق الله تعالى من دواب ، فهو هائل المنظر ، طويل الجثة عريضها كبير الرأس ، براق العينين واسع الفم والشدقين .. ويضيف ان كل ما على الأرض او فى البحر يخافه ويخشاه . ثم يصف

الناقورة بانها ارتفاع التنين من الماء فى اندفاعة مخيفة لها صوت كالرعد ، بينما تخرج نار من ذيله تحرق كل شىء ، ويحمد الله ان السفينة كانت بعيدة ، والا لو طالتها هذه النار لاحترقت بمن فيها ، ويكمل روايته بان السحاب يرفع التنين من الماء ليلقيه فى بلاد ياجوج وماجوج .

ويبدو ان هذه الصورة للتنين كانت منتشرة عند عامة المؤلفين الذين يهتمون بهذا النوع من المعرفة ، فيقول القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » : زعم احد المعمرين ممن عرفت انه راى التنين ، وكان طوله فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، وله فلوس كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، وراس مثل راس الفيل العظيم كراس الانسان ، واذنان طويلتان وعينان مدورتان كبيرتان ويتشعب من عنقه ستة اعناق طوال ، كل عنق نحو عشرين ذراعا وعلى كل عنق راس كراس الحية .. وهذه المشاهدات التى يدونها المؤرخون القدماء تقترب الى حد كبير من صورة الثعبان البحر الكبير الذى حكى عنه الملاحون المحدثون وذكره بعض علماء البحار ، ولكن هؤلاء لم يقدموا له وصفا كاملا ، فلم يره احدهم بكامل هيئته ، وانما راى بعضهم راسه تطل من الماء ، كما راى بعضهم ذيله وراى اخرون اذرعه ، وسجلوا عنه فى مذكراتهم بعض الرسوم المقتضبة ، وحين جمعت هذه الصور بعضها الى بعض ، كونت شكلا متخيلا لهذا الحيوان ، وجاء شيئا غريبا لا يشبه الحوت او اسماك القرش ، ولكنه جسم ضخم طويل تبرز من مقدمته عدة بروزات طويلة كانها الاذرع .. واسموا هذا الكائن باسم الثعبان البحر الكبير .. ولكن العلماء ينكرون وجود مثل هذا الافعوان ، ويذهبون الى ان ما راه البحارة المحدثون هو راس حوت يطل من الماء ، وجسم قرش يتشابك فيه بواذرع اخطبوط بحرى ضخم ، وان كل هذا ادى الى تلفيق حكاية الافعوان او التنين فى خيال الهيت من مخيلتهم حكايات





البحارة القدماء ، وكتب الاساطير والحكايات ..

شاهد رؤيا

ونحن نلاحظ ان معظم الروايات جاءت نقلا عمن يزعمون انهم راوا هذا الحيوان ، او سمعوا عنه ممن راوه ولكن لدينا نصا فريدا فى المكتبة العربية لمؤرخ ثقة ، مشهور بالامانة هو ياقوت الحموى الذى يقول انه راى التنين بنفسه .. ويصف رؤية التنين فيقول : اقبلت سحابة بعد اصطفاق الموج طويلا ، حتى غابت فى البحر ثم تلتها سحابة وسحابة حتى صرن سبع سحابات ثم ارتفعت السحابات ، وهى تحمل شيئا يقولون انه التنين .. حتى غاب عنا ونحن ننظر اليه يضطرب فيها ، وربما وقع منها فى البحر ، فتعود السحابة الى البحر بالرعد الهائل الشديد ، والبرق العظيم حتى تغوص فى البحر ، وتستخرجه ثانية ، ثم تحمله وقد اجتاز وهو فى السحاب وذنبه

خارج منها بضعة عشر برجا من ابراج سور انطاكية ، فرمى بها فى البحر » .. ونحن نلاحظ ان ياقوت لم يكذب فى وصف ظاهرة اعصار البحر ، وانما هو مزجها بالتاويل الاسطورى لها ، فجمع بين صدقه فى الوصف ، ايمانه بالاسطورة التى نقلها البحارة ، ولو انه احترز بقوله « تحمل شيئا يقولون انه التنين » .. فكانه هنا يقدم شكه فى زعم البحارة وان كان يثبت وصفه لما راى ..

وقد لعبت صورة التنين هذه بخيال الادباء وخاصة اصحاب الادب الشعبى ، فظهر اكثر من بطل ملحمة وهو يصارع التنين وينتصر عليه ، ونحن فى الالياذة نجد الشاعر فرجيل يجعل من التنين حارسا للطلسمة الذهبية حتى لايحصل عليها ايناس بطله الملحمى .. كما لعبت صورة التنين بخيال الموسيقى فاجنر ، تصور صراع بطله سيجفريد للتنين ، صراعا داميا ينتهى بانتصار البطل ومصرع التنين . ونحن نعرف فى عالمنا العربى تلك الصورة الشعبية التى ترسم الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو يصارع التنين فيلقيه صريعا تحت جواده ، وقد اغمد سيفه ذى الفقار فى صدره وبين اذرعه . كما نعرف الصورة القبطية المشهورة للقديس مارجرجس وهو يركب جواده ملقيا بالتنين تحت حوافر الجواد ورمحه ينفذ فى جسد التنين الصريع . وقد تكون صورة البطل الاسلامى وليدة ما تجمع لدى المؤرخين العرب ، والملاحين العرب من تخيل للتنين كرمز لاقوى المخلوقات الضارة فى الارض او البحر ، ولكن صورة مارجرجس بعيدة بينها الى حد كبير عن هذه المصادر التى توفرت للملاحين العرب ، الا اننا نجد فى اسطورة ايزيس واوزوريس الرسوم الموجودة على المعابد الفرعونية ، رسوما لحورس الابن المنتقم ، وهو يصرع « ست » او « تيفون » اله الشر .. وهو طقس معبدى كان يمارس رمزيا عند تولى كل فرعون جديد .. ويبدو فيه الفرعون ، او حورس الجديد وهو يضرب برمحه فوق قاربه الملكى حيوانا بحريا ضخما هو ست او تيفون ليقتله رمزا لانتصاره الدائم على الشر ورمزا



الذين رأوا التنين على صورة حية سوداء .. والذين تصوروه ريحا سوداء في قاع البحر !

لاحقيته بتولى العرش ، عرش حورس المنتقم . ويبدو ست في هذه الرسوم على هيئة حيوان بحرى ضخم قريب الملامح جدا من فرس البحر الذى كانت تعرفه مياه النيل حتى الصعيد في العصور القديمة .. ونحن نشهد حيوانا مائيا ضخما هو الهايشه في سيرة سيف بن ذى يزن التى يعلو ظهرها في حذر وهى نائمة وعند الفجر تتحول بجسدها الى ناحية الشمس فتنقله بهذا من شاطىء الى شاطىء عابرة به عرض البحر الممتد الكبير ... وهذه القصة الواردة في سيف بن ذى يزن شبيهة بحكاية عمران الذى عبر البحر متعلقا بظهر دابة بحرية ضخمة . يوردها المسعودى في الجزء الاول من مروج الذهب فيقول : « منها خبر عمران الذى صعد في النيل ، فادرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة فعلق بشعرها ، وهى دابة يجرى منها على الارض شبر من قوائمها تعادى قرن الشمس من بين بدء طلوعها الى حال غروبها ، فعبر على ما وصفناه من تعلقه بشعرها - البحر ، ودار بدورانها طلبا لعين الشمس ، حتى صار الى ذلك الجانب ، فرأى النيل منحدرا من القصور الذهب من الجنة » الا ان المسعودى يحترز فيما يحكى فيعقب قائلا .. « الى غير ذلك من خرافات حشوية عن اصحاب الحديث ... وللمسعودى نفسه رواية عن التنين فيقول في حديثه عن بحر الاعاجم ... « وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين . وكذلك بحر الروم ، فالتنانين فيها كثيرة ، وكثيرا ما تكون بما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من جبال انطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر واكثره » .

وعلى هذه الرواية للمسعودى يصبح نعرف بحارة البلاد والمطلة على البحر الابيض للتنانين امرا واردا وتصبح التنانين لا ظاهرة خاصة بالمحيط الهندى ولكنها ظاهرة ممتدة حتى بحر الروم وسواحله . ويسهل التعليل في هذا لظهور التنين في اشعار فرجيل او في الرسوم المصرية حول مارجرجس او الرسوم العربية حول الامام على بن ابى طالب . ويستمر المسعودى محددا اماكن ظهور التنين فيقول : « وليس تعرف التنانين في البحر الحبشى ولا في شيء من خلجانه من حيث وصفنا في نهاياته ، واكثرها ما يظهر مما يلى بحر اقيانوس » .

حقيقة التنين

وفي الوقت الذى انساق فيه المؤرخون فجمعوا بين الاسطورة التى هى من نسج الخيال ، وبين الواقع الذى هو من المشاهد والعلمى ، لكان المسعودى حذرا وسدقا حين علل للتنانين فاجاد التعليل ، فذكر الحقيقة الى جوار الخيال .. واورد الامرين معا ، تاركا للعقل ان يقبل ما يلائمه . وللخيال ان ياخذ ما يروقه .. فيقول : « وقد اختلف الناس في التنين ، فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجلو فتلحق السحاب كالزوبعة ، فاذا ثارت [illegible] ثارت معها الغبار ، ثم استطالت في الهواء [illegible] الصعداء ، وتوهم الناس انها حيات سوداء » . وهذا كما ترى هو الرأى المتفق مع العلم الى حد كبير ، فالدكتور سيد حسن شرف الدين يقول في كتابه البحر والناس في تعريفه التيارات البحرية بانها عبارة عن حركة كتلة من الماء في اتجاه معين فينشأ عن ذلك وجود انواع كثيرة من التيارات البحرية موجودة في البحر نتيجة وجود العوامل المتعددة المؤثرة على حركة المياه ، فالرياح والامواج والمد والجزر وتغير الكثافة في الطبقات المختلفة للبحار والمحيطات والضغط الجوى والقوى الداخلة بين جزئيات المياه ، كلها عوامل تؤثر في حركة المياه ثم يقسم هذه التيارات الى (١١) نوعا من انواع التيارات البحرية ويقـــول ، ومن جهة اخرى فان التيارات البحرية تنقسم الى تيارات افقية (سواء كانت تسير على السطح او تحته في مستوى افقى) وتيارات رأسية (سواء كانت صاعدة او هابطة) ، ومن حيث الحرارة فان التيارات تنقسم الى تيارات دافئة واخرى باردة .

فالمسعودى لم يجانبه الصواب في هذا الرأى الى حد كبير ، الا انه ينقل لنا الى جواره حديث الخيال الشعبى فيقول « ومنهم من رأى انها - اى التنانين - تتكون في قعر البحر ، فتعظم وتؤذى دواب البحر ، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ، وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة الا اتت على مالا يقدر عليه من بناء عظيم او شجر اصيل ، وربما تنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها في سد ياجوج وماجوج ، ويمطر السحاب عليهم ، فيقتل ذلك التنين ، فمنه يتغذى ياجوج وماجوج ، وهذا القول يعزى الى ابن عباس » . وهذه العبارة الاخيرة تبرىء ذمة المسعودى مما حكى من اسطورة التنين .

اعظم من الفيل

وواضح ان الخيال الشعبى رصد هذه الظواهر البحرية ثم علل لها بطريقة التجسيمية بوجود هذا الوحش الخرافى المخيف ، ثم وصفه بما رآه جديرا من صفات مهولة ينكرها العقل والمنطق ، وقد رصد كاتبنا العربى الكبير ابو عثمان عمر بن الجاحظ في كتابه « الحيوان » حركة العقل الشعبى حول التنين فقال في الجزء الرابع من هذا الكتاب : « ولم يزل اهل البقاع يتداعون امر التنين . ومن العجب انك تكون في مجلس وفيه عشرون رجلا ، فيجرى ذكر التنين فينكره

بعضهم ، وأصحاب التثبيت يدعون العيان ، والوضع القريب ، ومن يعاينه كثيرا ، وهذا اختلاف شديد ... ويؤكد الجاحظ احساسه بأن التنين من نسج الخيال ، وأن اسراع الناس الى تأكيد وجوده ضرب من الخلط الشعبي وأحاديث المجالس في قوله في موضع آخر : «ومثل شأن التنين مثل أمر فرانق الاسد ، فإن ذكره يجري في المجلس فيقول بعضهم ، انا رأيته وسمعته ، وفرانق الاسد ضرب من الوحش ابتدعه الخيال الشعبي ايضا ، وزعم انه يتقدم الأسد ويرشده الى فريسته ، الا ان الجاحظ يذكر تنين انطاكية او اعصار انطاكية الذي ذكره ياقوت الحموي واوردناه من قبل ، وهو يرى ان ما حدث في انطاكية ثبت اسطورة التنين في الخيال الشعبي فيقول : «ومما عظمها وزاد في فزع الناس منها ، الذي يرويه اهل الشام واهل البحرين واهل انطاكية وذلك انى رأيت الثلث الأعلى من منارة مسجد انطاكية اظهر جدة في الثلثين الاسفلين ، فقلت لهم : ما بال هذا الثلث الاعلى اجد واطرى ؟ قالوا : لأن تنينا ترفع من بحرنا هذا ، فكان لا يمر بشيء الا اهلكه ، فمر على المدينة في الهواء ، محاذيا لرأس هذه المنارة ، وكان اعلى مما هي عليه ، فضربه بذنبه ضربة حذفت من الجميع اكثر من هذا المقدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختلف في المنظر ويضيف لنا الفيروز بادي في القاموس المحيط الى الصورة الشعبية اضافات جديدة حيث يقول «والتنين كسكيت حية عظيمة وبياض خفي في السماء يكون جسده في ستة بروج وذنبه في البرج السابع دقيق اسود فيه التواء ، وهو ينتقل تنقل الكواكب الجواري وفارسيته هشتنبر ، وقول الجوهري موضع في السماء وهم» . فهو يتفق مع الجاحظ في اعتبار التنين من الحيات وينقل عن الجوهري انه نجم في السماء ولكنه ينكره عليه . والجاحظ يرى ان التنين من اعظم الحيات حتى ليحاج اعداء الفيل به من يزعمون ان الفيل هو اعظم الحيوانات قاطبة فيقول في الجزء السابع من الحيوان على لسان هؤلاء الاعداء : «قد اجمعوا على ان اعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان ، وحكوا عن عظم بعض الحيات ، حتى الحقوه بهما ، واكثروا في تعظيم شأن التنين ، فليس لكم ان تدعوا للفيل ما ادعيتم ... فالتنين اذن اعظم من الفيل واضخم جسدا ..» ويرد صاحب الهند المدافع عن الفيل فينكر وجود السرطان ثم يقول «واما التنين فانما سبيل الايمان به سبيل الايمان بعنقاء مغرب . وما رأيت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين الا وهم ينكرونه ، ويكذبون المخبر عنه ، الا انا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم ان التنين اعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان ، فلا يمر بشيء الا احرقه ، فسمى ذلك ناس (التنين) ، ثم جعلوه في صورة حية» . فالجاحظ هنا ينكر تماما وجود التنين الحيواني او الثعبان ، وان كان لا ينكر وجود التنين الظاهرة ، ولعله يقترب من الحقيقة كثيرا حين يؤكد ان الخيال الشعبي يذهب الى تصوير التنين في صورة حية ، وان كانت المسألة لا تزيد عن خلق الخيال ، وابداع التصور الشعبي .. وقد ذهب بعض الدارسين الى افتراض ان يكون البحارة القدماء قد رأوا وحشا من وحوش اعماق البحار عاش في هذه المنطقة قبل ان ينقرض نهائيا ، وانهم وصفوا من شكله ما تبقى في ذاكرتهم من رؤيتهم له ، الا ان هذا الرأي بعيد الاحتمال .. اذ تقول باحثة الاحياء المائية الامريكية «بس . م . هنت» .. في كتابها «الثعابين» من ترجمة الدكتور عبد الحليم كامل : «انها لحقيقة ان هناك مخلوقات بحرية كبيرة لا يعرفها الكثيرون منا ، فهناك (حبارى) عظيم ينمو الى خمسة عشر مترا ، الا انه من المشكوك في ان يكون هناك مخلوق ما يظهر على السطح ويراه الناس وغير معروف للعلم ولكنك قد تقول ان المحيط كبير جدا وعميق جدا ، وقد يكون هناك بعض من وحوش ما قبل التاريخ تعيش في القاع ، وقد يصعد واحد منها الى السطح مرة في فترات بعيدة جدا فيراه البحارة مصادفة وهذا بعيد الاحتمال تماما ، لأن كثيرا من المخلوقات العجيبة الكبيرة والصغيرة قد اخرجت من الاعماق المظلمة للمحيطات الى السطح ، وقد وجد ان كل هذه المخلوقات مهيأة للضغط المروع التي تسببه المياه التي ترتفع آلافا من الكيلو مترات فوقها ، وعندما يصعد حيوان من الأعماق السحيقة الى السطح فانه ينفجر ، لأن الضغط على السطح اقل كثيرا حتى اذا كان هناك وحش من وحوش ما قبل التاريخ مختبئا بين حافات الجبال العظيمة الموجودة تحت الماء فانه لا يستطيع الصعود الى السطح ولو لمدة دقيقة واحدة ..

تجسيد الظاهرة

فهذا الافتراض اذن مرفوض ولا يبقى الا تعليل الجاحظ والمسعودي ، وهو الذي يرجع اسطورة التنين الى رصد البحارة للاعصار الرأسي او التيفون ، ثم اضافة الخيال الشعبي للظاهرة تفسيرها التجسيدي .. ويضيف تقرير الجاحظ ان هذا الخيال جسد الظاهرة على صورة حية او ثعبان تفسيرا لما وصف في التنين من رؤوس متعددة اذ تقول نفس الباحثة الامريكية عن الثعابين : «وليس لثعابين البحر خياشيم ولهذا فهي لابد أن تصعد للسطح للتنفس ، ولهذا يراها الناس وهم في البواخر غالبا في مجموعات من اعداد كثيرة احيانا ، كما ان اضواء المركب تجذب هذه الثعابين في الليل» .

الى هنا تكون كل الاحتمالات لتعليل الظواهر التي اعتمد عليها الخيال الشعبي قد اكتملت ولكن يظل دائما هذا الخيال دائما فوق كل تعليل واحتمال الامر انه كان محتاجا الى هذا الوحش البحري الضخم ليرمز به الى القوى المخيفة والمجهولة التي يصارعها البطل ليؤكد تفوقه الدائم على كل صور الشر وان عظمت ، وان فاقت كل ما هو مخلوق بالفعل من صور البطش والقوة ، وكل ما هو موجود بالفعل من صور العسف والشر المقيم ، فالانسان دائما هو الاقوى وهو الاكبر ، وهو هازم الشر وصانع الحياة.

فاروق خورشيد

الثقافة هناك



محاورات بين الحمامة والانسان

تذكرنا بالحكيم وحماره .

وكليلة ودمنة



الحروف ... أديب من اليونان
مغامرات حمامة تطير كالسهم

د. نعيم عطية

يحتل بيلتخلوس الحروف مكانة مرموقة في الأدب اليوناني المعاصر كقصاص وروائي . وقد ولد الحروف عام ١٩١٠ ودرس القانون والاقتصاد بجامعة لوزان بسويسرا . وشغل في بلاده عدة مناصب وزارية تولى فيها منصب وزير الخارجية ثم منصب وزير الدفاع في الحكومة الحالية . ولم يعقه اشتغاله بالسياسة عن مواصلة عطائه الأدبي . فأصدر أعمالا روائية ومجموعات قصصية ترجم عدد منها الى لغات اجنبية . ومن مقدمة أعماله الروائية روايته بعنوان « جنود الأرض » التي صدرت باليونانية عام ١٩٦٤ وترجمت الى الفرنسية عام ١٩٦٨ . اما من اعماله القصصية فيبرز كتابه « مغامرات حمامة تطير كالسهم » الذي صدر عام ١٩٦٨ وترجم الى الفرنسية عام ١٩٧٨ وقد منحت الاكاديمية الفرنسية ميداليتها الذهبية الى الحروف تقديرا له عن هذا الكتاب .

مغامرات حمامة

و « مغامرات حمامة تطير كالسهم » سلسلة قصصية تدور على محاورات طلية بين الحمامة والانسان . مما يذكرنا بالحوار الذي يدور في ادبنا العربي بين توفيق الحكيم وحماره . ويتبين من الوهلة التي تتضح بها صفحات الكتاب والمعرفة الغزيرة بأحوال الحمام أن المؤلف من هواة تربيته . وهو يربي تلك السلالة الموهوبة من الحمام المسمى « الحمام السهم » في البرج بفنائه بـ[illegible] بشمال اليونان . ولا يتردد القارئ في ان يقرر لنفسه ان السيد ابكار الذي يحاك فيلوس الحمامة بطلة الاقاصيص الكتاب هو ذاته الحروف الذي زاره الكاتب الفرنسي الشهير موريس دريون مؤلف « مذكرات زيوس » في بلدته وعرف فيه رجلا جمليا يعتز بطباع الفرسان الشهم وليست تربية الحمام الا دليلا على النفسية برياضة شعبية محببة الى اهل الشمال في اليونان . وفي سباق الحمام

وقد اتخذ الحروف من هذا التقليد الشعبي ومن الملمة بحياة الحمام ، تكأة لبكاتب اقاصيص تذكرنا ضمن ما تذكرنا بصفحات من كتاب كليلة ودمنة ، من خلال مقربه من حمام بلدته هذا والسيد اليونانية [illegible] الذي [illegible] [illegible] ، [illegible] الحروف [illegible] في [illegible] وللكاتب [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] .

وإذا كان الحروف رجل حكم وسياسة ، ويتصل منه فلسفة وحكمة ، إلا انه بالأخص يعطينا رؤية الشاعر الى هذا الوجود . ويشبه الحروف بنوع الشعراء بحثيات الناس . هكذا يقول فيلوس لنواني الشاعر الشاب الذي تركته حبيبته الى ليلة في حديقة بتركه دموعه أ راح يقتبس بمنقاره من على الأرض الحشائش التي علقت بها دموع العاشق الولهان . وفي حوار نموذجي بين الشاعر والحمامة ، وقد دللت بظلالها الرقيقة ، يقول الشاعر ان كل الجرات الانسانية تخشيه من تحاشوا تلك الكنز الذي لا يتسنى داخل قلب



الانسان : انه كنز الطيبة والحب .

ويدعونا الحروف الا نتنبئ او نتجاهل هذا الكنز حتى في اللحظات التي يبدو لنا انه غير موجود . ويؤكد لنا الحروف الشاعر الذي يكتب قصائده شعرا ويلمس رموز هذه الحقيقة في اكثر من مناسبة . وفي فقرة اخرى من مغامرات فيلوس يلتقي الفلاح بشاعر استغرقته كتابة قصيدته فلم يشعر بالبرد ولا بالجوع والتعب . وراح يتطلع الى النجوم على جناحي كلماته . ويوجه اليه فيلوس من اجل ذلك تحية تقدير واكبار . اما الفقرة التي تترجم عن حقيقة الحروف الاديب الذي تربى الى معترك السياسة فهي تلك الفقرة التي يقول فيها فيلوس لسيده ابكار ان تجاربه في الحياة واسفاره العديدة والمعيدة قد علمته ان اهم ما على ذوي النفوس الابية هو ان يأخذوا على عاتقهم تحقيق الرسالة التي آمنوا بها . وما هذه الرسالة على وجه التحديد ؟ انها تحويل الافكار والقيم الى انظمة اجتماعية تحقق للبشر ما تاق اليه الشعراء الاصلاء على مر العصور من خير وجمال وعدالة .

الحكمة السهلة

وإذا مضينا نقلب صفحات كتاب الحروف بعنوان « مغامرات حمامة تطير كالسهم » نلتقي في الفصل الثاني منه بواحد من حمام فيليبسنا الذي يخاطب فيلوس بطل تلك المغامرات فيقول على وجه العموم : انا لا نفعل سوى ان نأكل ونتغوط وننام . وما الذي نحتاجه في الحياة غير ذلك ؟ انما لن نطير لنزل من مأوينا ، ولكي نحط على الارض ونأكل . كما اننا نطير ايضا كي نعود فنستريح وننام . ولكننا لا نصعد ابدا الى ما هو ابعد من اعشاشنا . وما الذي يدعونا الى ان نقذف انفسنا للريح ؟ ولماذا نرهق انفسنا بالطيران بعيدا الى هذا الحد ؟

هذه هي الحكمة السهلة ، التي توصل اصحابها الى البلادة ، رغم الثروات العظيمة

مغامرات حماية تطير كالسهم

الفيفية . . ما الذي نحتاجه في الحياة سوى ان ناكل ونلهو ونتناوم؟ فكر فيلوس لحظة ، بطبيعة الحال ، مادام ان هذه طريقتهم في تبسيط الامور والتهوين من شأنها ، فمن الصعب ان يقال لهؤلاء المتبلدين الذين اعماهم الغرور الكاذب عما هم بحاجة اليه في هذا الوجود حقا .

يحلق فيلوس بازيزاء الحمام المحيط به في ميدان سان مارك بفينيسيا ، وفتح جناحيه وطار بحمية . وعندما التقى بالحمامة سالها المسكينة ، وزوجها سيريكلس في كورفو ، قالا له ، انك الفيت في فينيسيا باولئك الذين يحتمون بمجد اسلافهم ، ويلبسون ادعاءاتهم على هذه الامجاد الماضية فحسب ، دون ان يؤدوا هم شيئا يمجدهم . وهنك هؤلاء لانهم لا يعتمدون في وجودهم على انفسهم فسرعان ما يفسدون ويتحللون .

الدرس الأول

وعندما حط فيلوس على كتف تمثال الامير ملمون في احد ميادين لندن ، وتبادل معه الحديث تلقى الدرس الاول من الاسفار التي خرج اليها بغية التعلم وجني الحكمة . وهذا الدرس هو ما عبر عنه فيلوس في قوله الى سيده ايكار عندما لا يعرف المرء قيمة ما لديه ، يضرب هنا وهناك ، جريا وراء شيء ، عثير . اما الآن ، فاني اعرف هذا لدي . هيا ، فلنعجل بالعودة الى بلدنا .



وفي رحلته الثانية يلتقي فيلوس بزميله الثاني ، ويكتشف بحشا من اخطر مثالب الوضع الانساني : ان البشر تحركهم شهوة القتل . فهم فيلوس لماذا تنشب الحروب . انها تقوم لا لمسائل تتعلق بالحدود والمستعمرات والاقليات ، بل لان الانسان ـ ربما دون ان ينتبه الى ذلك ـ مخلوق دموي يتلذذ بمغامرات القتل . منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف عام ، لا يكف البشر عن القتال انهم متخلفون ، يبنون حضارات ، يشيدون امبراطوريات . ولكن على الرغم من كل ذلك فانهم يشنون الحروب على الدوام ، ويقتتلون .

ولكن التعميم في الاحكام مجحف بدوره الحقيقة فليس كل البشر قتلة بلا ضمائر . يستمع فيلوس لنظرته الى الامور عندما يلتقي براهب الاخلاق الذي يقع فيلوس لحظة وسط الجلجلة عن ظهر سفينة ويفترس قشته في الجزرة القديمة لقناة اخرى . ويطلق الراهب ... يبدو ما يطل له الخلافة الفرغ محصيا يهيئ ... وتجلب على حياته ... من الرحلة ... على ... هذا ... لايجاب ... القلوب ... السلام في ... الارض .

ويخرج فيلوس في رحلته الثالثة . وكانت رحلة بعيدة واسطورية فقد سحبته قوة خفية ، ربما بفعل صاروخ او شهب فضائي ، والقت به الى كوكب آخر غريب . وفي رحلته هذه يعرف فيلوس المزيد عن اهل الكرة الارضية : انهم منقسمون الى الاف المعسكرات المتعادية ، لم يكفوا طوال عصور عديدة عن الحروب والتناحر ، واليوم يعاني مئات الالاف منهم البؤس الشديد ، حتى ان كثيرين منهم يموتون جوعا ، ليس على الكرة الارضية اي تقدم علمي ، او ان شئنا الدقة ، فهناك القليل جدا من ذلك التقدم ، على الارض مرض يفترس اهلها ـ يطلقون عليه السرطان وكان الاجدر بهم ان يعرفوا طبيعته ، وكل لعناء منذ قرون ، تسبب الانفلونزا للناس اضرارا جسيمة ، ومع ذلك فهم عاجزون عن القضاء عليها لو ان اهل الارض كرسوا كل مواردهم المعنوية والمادية لحل هذه المشاكل لوجدوا السعادة ، ولكنهم عنها يعتدون ، مواردهم يستخدمونها في بناء الصواريخ ، ينفقون عليها مبالغ فاضحة ، ربما كانت لتخفيض الكثير من اوجاعهم .

ولكن اذا كانت الحماقة هي الصفة الغالبة على اهل الارض ، الا ان هؤلاء لا يخلون من بعض الذين يتمتعون بتصور نبيل للوجود . ومن ثم ليس من المستحيل ان تنتج الكرة الارضية

البشر همج ، دمويون
ولكن الحب والجمال ينتصران
وفيهما خلاص الانسانية

يوما ما شيئا خيرا وجميلا ، وان يتوصل هؤلاء ذوو التصورات النبيلة الى فرض رؤاهم في النهاية ، فتغلبة الخير مهما طال الامد .

ولنر الآن بعض نواحي الخير الذي يوجد للبشر . عندما يلتقي فيلوس بالمعلم الرومانسي في رحلته السابعة يعرف ان خلاص البشر في ان يعرفوا ان الجمال والحب وحدهما هما الخلاص ، ومهما اشتدت الخطوب ستنتصر الحب في النهاية ، وستزول الكراهية والحروب ، وذلك متى انغرس في النفوس الايمان بالخير والجمال ، ودعاة الحروب هم الاقلية ، وسوف يوجد في كل مكان معلمون يعلمون الحب على تلقين الكلمة في المدارس ، وعلى الاخص رياض الاطفال ، تزرع بذرة الحب في النفوس ، وعندما يشب النشء الذي احسن تربيته فسيقف سدا منيعا في وجه حروب جديدة .

ويذهب فيلوس الى كورفو حيث كانت تقوم مكتبة من اكبر المكتبات العامة ، ولكن قنابل الحرب العالمية الثانية دمرتها وخلفتها اطلالا ، وهناك يتعلم فيلوس كيف تحيا رسالة الفكر على الرغم من ويلات الحروب ، ويعود الى سيده ايكار ليتكلم معه بضرورة حث المسؤولين على اعادة بناء وتزيين تلك المكتبة الشهيرة ويتاكد فيلوس ان الاهداف النبيلة بحاجة الى عمل من اجل تحقيقها وجهد يبذل لادخالها الى حيز التنفيذ . على ان الفرحة والامل هما وحدهما القادران على ان يسيرا بالظلام والمصاعب بين الفكرة الموجهة والحركة من اجلها .

السعادة بالحب

ويرق اسلوب افيروف عندما يتطرق الى حديث الحب ، ويعرض لنا تحت عنوان على الطريق الى السعادة الحقة ، حوارا رمزيا بين زهرة زنبق وشجرة ورد على سفح جبل عال ، فتقول شجرة الورد في شوق الصباح لزهرة الزنبق : ـ يوم سعيد ، ما طلع النهار الا كي اشدك بحبك .
ويجيبها الزنبق :
ـ فلنحمد الله الذي منحنا مثل هذه الليلة الجميلة ، وهو يعيننا الآن نهارا لا يقل عنه جمالا .
ويستطرد الزنبق قائلا :
ـ عندما يشرق يوم جديد يلوح لي انني سوف احبك فيه اكثر مما احببتك اليوم السابق .
ويصف افيروف الطبيعة الجميلة بحب شديد فيقول في فقرة من كلامه «رويدا رويدا ، امتدت الظلال وعتمت ، واصبحت زرقة النهار في لون الرماد ، حيث تمسك خفيفة نقية ومحملة بالاريج

رؤية شاعرية للوجود تجسد الانسان المكافح المتطلع إلى التفوق

وبدلا من ان يبدو الليل الصحراوي اكثر جهامة مع مقدم الليل ، اصبح على العكس رقيقا ، كما لو كان قد استسلم للتوبيخ ، ولكنه قبل ان يروح في النوم تصاعدت من الاعصر الاخير وسقوحه آلاف الأصوات الخفيضة ، بدت كما لو كانت هذه الهمهمات العديدة تتماوج مع الريح ، او ربما تهدهد جدائل الجبل الجريئة وزهوره القليلة ، او ربما تسبح بحمد الخالق على جمال اليوم المنصرم ، او ترجوه ان يكون الغد صافيا وذهبيا ومعطاء مثل سابقه . من الذي بامكانه ان يدري ؟ ولكن ما كان واضحا ان ثمة احساسا بلغ الابدية وايضا بالهدوء والسكينة اللذين يسودان المنظر الطبيعي كله ، بدا الجبل كما لو كان لا ينتمي الى ارض البشر ، بل الى كوكب اخر ، كوكب للحب والسلام .

هذه هي الأرض التي لا يرجى فيلوس عنها بديلا ، ويرفض ان يحيا منعما مبجلا على كوكب اخر يفوق الكرة الارضية حضارة وتقدما . ويقول رؤساء ذلك الكوكب ، انك هنا . ستحيا ابدا حفت بمراسيم الترحيب ، ستكون النعمة ملك هناك فيجيب فيلوس بتواضع

ـ معذرة . لكنني ايضا في بلادي النعمة ملك والملك لا يغير مملكته ابدا .

وعندما يقولون له ان الجنة هنا على كوكبهم يجيب بان الجنة على الارض ايضا .

طغيان المادة

وعلى نقيض الحب الصافي الذي تنبعثه زهرة الزنبق والورد على سفح الجبل الطاهر ، يقدم لنا الفيروف صورة لحب مصطنع في المدينة همس الشاب قائلا للفتاة :

ـ احبك .

اجابت الفتاة :

ـ انا ايضا احبك ، لكنك فقير .

ـ من قال اني فقير ؟ اني امتلك على العكس ثروات كثيرة .

ـ وما ثرواتك هذه ؟

ـ الشمس ، القمر ، الزهور ، احلامي .

ـ هائلة هي ثروتك الى الحد الذي لا يمكنك ان تشتري ولا حتى زهرة واحدة .

قطف الشاب وردة حمراء ، ومد اليها يده بها وقال

ـ عيناك ، شفتاك ، يداك ، هي زهوري انا .

ـ لا اتحدث عن هذه ، ولكن عن تلك التي يبيعونها في السوق .

ـ ولكن تلك زهور مصطنعة وبلا عبير .

ـ بالعكس انها لا تذبل ، مثل زهورك . ثم انها (موضة) الآن ـ على الاخص تلك التي من حرير او قطيفة ، تلبسها الفتيات في شعرهن او على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ـ [illegible] [illegible]

[illegible]

ـ وهل سيجد قلبك مشتريا ؟

ـ يقول الشاب انه لا يعرف لم يريده .

ـ انه لا يساوي قلبا واحدا ، لو اراد احد ان يشتريه

ـ الم تسمع اذن ان الدنيا اصبحت الان كبائع العزيز : فالقلب لا يتاجر به ، انه لا يباع ولا يشترى .

نهضت الفتاة فجأة ، دقت الارض بقدميها ، وقالت :

ـ فلتبق الكيل منك ! اللي انا للبيع . واليوم عقدت الصفقة ، وغدا ساخطب لاغنى تاجر في عاصمة .

استدارت بحركة عصبية ، ومضت بخطوات سريعة متباعدة .

الحب الانساني

لم يقدمنا الفيروف في كتابه «مغامرات حمامة تطير كالسهم» الى صورة مغايرة من الحب : على كرسي مشقوق رث ، جلست امرأة شابة تتشح بشال يلتف حول كتفيها ، لم تكن قسماتها جميلة بل عادية . ضمت المرأة الشابة بين ذراعيها صبيا صغيرا راحت تهدهده بحركة خفيفة ، بينما احتواها الصغير بنظرة مفعمة بالثقة والسعادة . كانت تهمس في اذنه مبتسمة بينما راح هو يتأملها معجبا ، متعلقا بشفتيها وعينيها . ما الذي كانت تهمس به اذن ؟ لابد انها حكاية حب ، الحب الذي لا يشترى بالمال ، مهما كبر مبلغه ، ومهما كان ثراء من يملكه ، الحب الذي يحتوي من الحرارة اكثر مما في الشمس ، وبه مثلما تبثه ، بسخاء وبلا حساب ... انه حب الأم .

ولنر الآن حبا اخر ، حبا نبيلا مثل حب الزنبق والوردة ، انه حب الحداد لزوجته وطفله ، يريد ان تكون مدفأة بيته كبيرة ومليئة بالاخشاب ، تقول له زوجته :

ـ لكنك بذلك تستهلك خمسة اضعاف ، بل عشرة اضعاف كمية الخشب .

ـ وبحصر على متعة ازيد خمسين ضعفا ـ ولكنك مضطر ان تضاعف عملك من اجل ذلك ، بل من اجل ازيد من سعادتي ، وانا ارى وجنتيك تكتسبان بلون اللهب ، وراحتك تكبر مع كل قطعة خشب القي بها .

نهضت المرأة الشابة ، وطوقت عنق زوجها بذراعيها ومنحته قبلة .

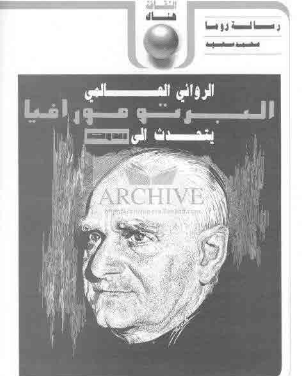
قال لها :

ـ ارأيت يا زوجتي ، لست اديبا لكنني ازعم ان في هذا العالم لا يكفي ان يكون معك الغذاء ، بل يجب ايضا ان تكون النار في المدفأة جميلة ومواتية للاستغراق في الاحلام ، حتى لو احتاجت هذه الاحلام جهدا مضاعفا من العمل .

ـ هذا حق ، فلتلن اليدان تعطيانا الكفاية ، ولكن الاحلام لها الاولوية ، لا لو الغيناها لفقد كل شيء رونقه .

هذه بعض النواحي الانسانية في كتاب الاديب اليوناني المعاصر الفتجيلوس الفيروف بعنوان «مغامرات حمامة تطير كالسهم» .

د. نعيم عطية


الثقافة هناك
رسالة روما
الروائي العالمي
البرتو مورافيا
يتحدث الى العربي

● التفاعل مع الفكر الاسلامي في حياته يجعلك تدرك قيمته الحضارية

● أبطال رواياتي هم نماذج من البشر يطاردونني بالحاح !

لم يتح للأدباء العرب أن يتعرف عليهم الغرب لفقر الترجمة

إن زرت ايطاليا ولم تلتق بالروائي العالمي البرتو مورافيا فهذا يعني انك حضرت الى ايطاليا دون أن تتعرف على أهم ملامحها المعاصرة، خاصة اذا كانت اللقطة إحدى محاور المقابلة .. واللقاء مع الكاتب الايطالي العالمي تحاصره بعض الصعوبات .. لا ترجع إليه ! فهو رجل بسيط متواضع برغم ما يبدو في عباراته من حدة ساخرة تجاه بعض الأمور .. ولكن الصعوبة في كيفية الوصول الى مورافيا .. فهو يفضل الاقامة في مدينة فينيسيا .. لكنه يرحل كثيرا الى العاصمة روما بحكم نشاطاته الثقافية والشخصية .. ويتردد ايضا على ميلانو بحكم ارتباطه ببعض دور النشر التي يتعامل معها .. ولا يضعك في الطريق الصحيح في خريطة الوصول الى البرتو مورافيا سوى أن تجد هداية لك ممن يعملون في الكتابة والنقد الأدبي في الصحف والمجلات الايطالية خاصة تلك التي يكتب فيها مثل صحيفة كوريري دي لاسيرا ..

● بدأت الحوار مع الروائي الايطالي في حضور زوجته الشابة .. كان خيط الحوار الأول مستمدا من عباراته في بداية ترحيبه بي وتحديد الزمن اللازم لاجراء الحوار .. سألته عن مستقبل الانسان الغربي في ظل متغيرات العصر السياسية والاقتصادية والثقافية ؟

ـ يقول مورافيا : من يتابع كتاباتي الصحفية في الفترة الأخيرة ومن يتذكر آرائي التي أوضحتها في رحلاتي الى العواصم العربية المختلفة خلال العامين الأخيرين يعرف انني اكره التحيز لفكر على حساب فكر آخر دون أن تكون هناك دوافع واعتبارات قاطعة .. وانا اكره التحيز وأرفض التعصب بصوره المختلفة .. لكن الأمر ليس دائما مسألة تعصب .. والتعصب الاسود لا يمكن تحمله .. والتعصب هو التمعن بالنفس وأنا مع الرأي القائل إن التعصب هو أسوأ أشكال الانحطاط البشري لأن فكر الانسان في الأصل لا يعرف التعصب .. والمسيحية في بداياتها عرفت هذا ... والاسلام ايضا تميز بهذا السلوك الفكري .. وقراءاتي المتنوعة عن الفتوحات الاسلامية خاصة في الشمال الافريقي من مصر الى المغرب كانت مطبوعة بصور التسامح وسلوكيات الفروسية .. وتميزت بنوع من المشاعر الحضارية .. ولذلك لعب العرب من خلال توجههم الاسلامية دورا اساسيا في استمرار الحضارة الانسانية .. وقد حمل العرب التقدم الى الكثير من مناطق العالم في الحقبة المعروفة .

●● انت الروائي العالمي البرتو مورافيا .. برغم تعاطفك الجديد مع الحضارة العربية لكنك لم تشارك في صنع جسر يربط الثقافة العربية بالثقافة الغربية ، خاصة وانت مفكر وروائي رائد تجيد اللغات الايطالية والفرنسية والانجليزية ؟

ـ يرد مورافيا : لكنني لا أجيد اللغة العربية ولم اجد في حركة الترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاوروبية ما يجعلني احدد هذا الدور الذي يمكن القيام به .. ولكنني اكتفي بالقراءة باللغات التي اعرفها عن الحضارة والثقافة العربية . أما دور نقل الفكر والثقافة العربية الى اللغات العالمية فهو دور مؤسسات النشر في بلادكم وفي بلادنا .. ولا اعرف لماذا تقاعست حركة الترجمة في المنطقة العربية . والعرب هم اول من حافظ على التراث الاغريقي والروماني والفارسي بشروحه وبتصحيح لمراحله في اللغة العربية . بل إنهم ساهموا في نقل تراث حضارة الى واقع حضارة اخرى وقتها . أما عن الفكر الاوروبي ووصوله الى القارىء العربي فاعتقد انه عن طريق المتحمسين له من خلال البعثات والترجمة [illegible] من المستشرقين تقريب هذه المنطقة الثقافية ومنهم عشاق الدراسات الشرقية والعربية الدكتور [illegible] العميد السابق لمعهد الدراسات الشرقية في ايطاليا والذي توفي خلال شهر ابريل من عام ١٩٨٠ .

●● انت الروائي الايطالي العالمي .. الأدب الذاتي والتراجم الشخصية وأدب الاعترافات لون هام من ألوان التدفق الروائي عند كتاب أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين .. اين مورافيا من هذه الأعمال ؟ وما هي الملامح العامة لتناول مورافيا لحياته الذاتية في كتاب ؟

ـ يطول الوقت وانتظر أن استمع الى اجابة البرتو مورافيا .. لكنه يكتفي بتعليق مقتضب .. لم يحن الوقت بعد .. وتتحرك عيناه في اتجاه الصحفية وزوجته الأديبة داتشيا ماريني التي تكمل مستلهمة منه بداية الحوار بعد تبادل عبارات قصيرة منغمة بالايطالية .

تقول داتشيا ماريني : مورافيا كاتب مفتوح حسب التعبير الشائع . عمره الآن ثلاثة وسبعون عاما .. مورافيا هو اسم الشهرة وله اسم حقيقي هو البرتو بنكيرلي من مواليد العاصمة روما في عام ١٩٠٧ .. بدأ مورافيا الكتابة عام ١٩٢٨ وكانت روايته الاولى «اللامبالون» التي يعتبرها اهم اعماله للآن ، وكانت نقدا عنيفا للبرجوازية الايطالية عندما كانت ايطاليا في ظل الحكم الفاشستي ورقابته الشديدة .

وظهر صداع التيار [illegible] في الفكر في مواجهة مورافيا الذي اختار لنفسه اسلوبا أدبيا يطرح فيه وجود الانسان من خلال شخصيات يهتم بتقديمها في اعماله الادبية ، ويجنح الى التحليل النفسي في توصيفها ، ومن خلال رسم الشخصيات حرص مورافيا على الاهتمام بالمواقف الجديدة التي تعطي الانعكاس الصريح لما يدور في الحياة .. في البداية تعلق مورافيا بأهم اساتذته في عالم الرواية . ديستوفيسكي . كان يميل الى شخصياته الفاشلة . لكنه كان يختلف عنه في وضوح شخصياته وعدم هروبها الى الغيبيات والفلسفات وما وراء الميتافيزيقا بينما وضحت شخصيات مورافيا من خلال بحثها عن الخلاص وميلها الى السلوك اللامبالي .

وفي حياته الخاصة يميل البرتو مورافيا الى البعد عن صخب الحياة العامة . وقد تزوج مرتين الاولى كانت الاديبة الايطالية الكبيرة [illegible] والزوجة الثانية .. والحديث لا يزال على لسان زوجته .. تلميذته المعجبة به الصحفية المخرجة السينمائية داتشيا ماريني .

●● انت الكاتب العالمي البرتو مورافيا .. لا جديد في أن نقول انك روائي عملاق من أشهر من قدمتهم الرواية العالمية .. لكنك تعمل ايضا بالفكر والسياسة والثقافة والفلسفة .. فأي الصفات ترى انها انسب لتسمى بها البرتو مورافيا ؟

ـ من خلال التعامل مع الأدب والصحافة اعتز بأن يصفني النقاد بأنني من المفكرين .. لكنني أرفض أن يصفني البعض مع الفلاسفة لأن موضوعاتي ومقتدراتي في كتابة «اللامبالون» هي الواقعية .. لكن في أوضاع غير معقولة .. واضرب لك مثلا ببطل روايتي «الملل» فهو يقول إن اللوحة التي يرسم عليها خالية .. والفتاة التي يحبها تهرب منه .. لهذا كان الواقع يهرب منه والفراغ يحيط به .

●● هذه تساؤلات وليست إيضاحات .. وقارىء رواياتك يحس انك لا تضع أية إجابات عن التساؤلات التي تضعها في رواياتك ؟

ـ بعد اكثر من خمسين عاما على ممارستي لكتابة الرواية استطيع أن أقول لك إن هذه هي شخصيتي .. وحتى الشخصيات رواياتي ايضا لم تتغير ، وهي لا تتغير لأني [illegible] ، وانا اهتم بالتغيير ولكن من خلال فهم شامل يبدو من الناحية السيكولوجية . واذا كان الكاتب يدور حول القليل من الموضوعات في نشاطه الكتابي لذلك تجدني ادور حول مفاهيم وأفكار التمرد .. العلاقة بين الانسان والحياة اليومية ... وفي افكاري انسجم بعض آرائي من ديستوفيسكي وسيجموند فرويد وكارل ماركس والبرت اينشتاين في اندماج غير محدد .

وانا اضع تساؤلات مطروحة كما تقول وكما

الروائي العالمي البرتو مورافيا مع زوجته كارمن ليرا

سبق أن واجهني نقاد أنني أعرف أنه لا توجد ردود ولا توجد إجابة للسؤال عن معنى الحياة .. ولماذا الاستمرار .. ولماذا الموت .. وهي تساؤلات ميتافيزيقية كتخمينات ديستويفسكي يصعب التكهن بنتيجتها برغم استمرار طرحها للمناقشة .. ومهمة الكاتب أن يعرض الحياة مع كل تناقضاتها ويعطي أو لا يعطي رد تساؤلاتها .. هذه هي وجهة نظره .. وأنا لست فيلسوفاً وهناك من يتعاملون بالفلسفة ولهم تصورات واضحة تعوزني .

●● قلت للروائي الكبير البرتو مورافيا .. قبل أن احضر اليك شاهدت في دار السينما فيلماً خطيراً هو (كاليجولا) الذي كان الجنس والعنف محور حبكته والذي أدى بدورانه في دائرة الجنس الى انهيار حكمه ومصرعه .. معنى هذا أن الفكر السينمائي يجد بالجنس الذي يهدد الحضارة الحديثة .. والقارئ المتابع لك يلاحظ استمرار اهتمامك بالجنس في كتاباتك وعلى أن الجنس هو الموضوع الذي يطغى على أعمالك وأنه الرابطة الأساسية بين انسان وآخر في فكرك .. ما موقفك من هذا الموضوع ؟

- يرد مورافيا بعد أن يعرف رأيي في تكنيك فيلم (كاليجولا) .. لا يغيب عن أحد أن الجنس أمر أساسي في حياتنا ولهذا كان من بين أواخر أعمالي كتاب «أنا وهو» وهو عبارة عن العلاقة بين الرجل وجنسه .. الآن أنوي الكتابة عن «الرجل المنفصل» وقد تناولت حالة شاذة لدراستها لأكتشف أن الجنس هو الانقسام بين الرجل ونوعه .. والجنس لا يتبع إرادة الرجل .. لكنه أمر تلقائي وأحيانا يطيع الرجل الأمر وفي أحيان أخرى يعصي هذا الأمر .

●● وفي علاقة الرجل بالجنس الآخر .. كيف كانت صورة المرأة في واقع مورافيا بعيداً عن صورتها في عالمه الروائي ؟

- تزوجت مرتين وعرفت من خلالها أن للمرأة تأثيراً غير محسوس .. ومن الصعب أن يشرح الإنسان حقيقة شعوره بالنسبة الى نفسه أو بالنسبة للآخرين .. لكنني في تعاملي مع المرأة أستطيع إدراك التأثيرات ولهذا أجد نفس الأمر وضوحاً .. فليس من الحكمة أن تدخل النفس في متاهات هم في غنى عنها ولهذا أكتفي بالتبسيط ولذا أقول لك إن المرأة لها في أفكاري تأثير واضح في نمو وتطور تفاهمي .. وفي ايجاد التوازن النفسي مع ذاتي ومع المجتمع من حولي .

●● لم أضف جديداً الى معلومات البرتو مورافيا عندما ذكرت له أنه يتمتع برصيد ضخم من معرفة الناس به واهتمامهم بأدبه في المنطقة العربية .. لكني قصدت من ذكر هذا أن أعرف من وجهة نظره تفسيراً لذلك .

- رد مورافيا قائلاً : لعلها السينما التي حولت رواياتي الى أفلام فنية .. ولعلها جودة الترجمة من الفرنسية أو الايطالية الى العربية .. بل أعل مرجعها حماس بعض نقاد الأدب في العواصم العربية للاطلاع .. وقد يكون هذا أيضاً نتيجة أنني أقول رأيي بوضوح وأحرص على تعميق الموضوع دون الاخلال بشرط الوضوح .. إنها الموهبة التي يحصل عليها الكاتب لو تسطها الظروف .. وأنا في صراحة بسيط أحب الناس .. أعشق الاقتراب منهم .. ولي زيارات كثيرة لعواصمكم العربية عندما زرت الرياض وأنا كاتب بوضع سيناريو فيلم «البترول والحياة الجديدة» لحساب التلفزيون الايطالي وهو من اخراج برتشيلوتشي .. وموضوعه يدور حول التغيير الكبير الذي أحدثه ظهور البترول في الجزيرة العربية والخليج العربي .. كما زرت مصر أكثر من مرة كان آخرها في صيف مهرجانها السينمائي الذي قضيت بعض لياليه بين الاسكندرية والقاهرة وأنا أعشق النيل ومؤشر هذا عشقي لتعلم اللغات فأنا أجيد الفرنسية والألمانية والانجليزية وبعض الاسبانية بجانب لغتي الأم طبعاً ويحدوني الرغبة لتعلم اللغة العربية .

●● ختمت حواري مع الكاتب الايطالي العالمي البرتو مورافيا بمعرفة انطباعاته عن رحيل صديقه المفكر الفرنسي الكبير جان بول سارتر الذي وصف مورافيا في مقالاته في مجلة «الأزمنة الحديثة» بأنه أحد كتاب الوجودية .

- يسرح البرتو مورافيا في شمس ايطاليا المشرقة صيفاً والساعة تقترب من التاسعة مساء ولا تزال الأشعة الذهبية واضحة المعالم من سماء النافذة ثم يقول : «أنا أميل الى كتابات سارتر وكان من أكثر الكتاب وصولاً الى نفسي وميلي الى الكتابات الوجودية ينبع من فكرة أعتقد فيها وهي أن الكاتب الروسي العملاق ديستويفسكي من رواد الوجودية منذ تعتمد على بنيه كتابته أو الرواية في «الجريمة والعقاب» .. وعظمة سارتر في القرن العشرين مثل عظمة ديستويفسكي في القرن الماضي فكلاهما لديه القدرة الخلاقة على كشف مداركنا غير الواعية وما يبدو في أفلاك وأغوار نفوس الآخرين» .

محمد سعيد

جان جيتون والزمن والخلود

د. رشدي فكار

لقد ساد تيار الفكر المادي وسيطر بمدارسه على حضارة الغرب متخطا في البداية عبر العصور الوسيطة بميتافيزيقياتها وتجريدها لينتهي بتفنيدها ورفضها. ولكن رغم هذه السيطرة للاتجاه المادي في الفكر الغربي، ظل تيار روحي متواضع تنطلق قلة نخبوية من قادة الفكر الفلسفي، تصارع بإصرار أمواج الرأي المادي، مدافعة عن مشروعية نقلتها من بسكال إلى برجسون وما تلاهما على سبيل المثال، متمسكة بخيطها الروحي الرقيق تزكية بعقلانية واعية محاولة النجاة من يم الحضارة المادية العاتية، ومحيط عواصفها المتسلطة والتي عمت سماء الغرب بسحبها وضبابها كما غطته بمنجزاتها التكنولوجية المتطورة التي دعمت طغيانها ليبرالية كانت أم ماركسية، يمينية أم يسارية. فإن كانت اليسارية المتمركزة حول الماركسية تمد المادية كمشعل ايديولوجي فكرا وأسلوبا، فالليبرالية الرأسمالية تعيشها حياتيا فعلا وممارسة، دون ما حاجة للتنظير أو غطاء ايديولوجي يبرر سلوكها واختيارها.

في خضم هذا التسلط العارم للمادية في الغرب يرتفع صوت شيخ وقور مازال ممسكا بالخيط الروحي وبلمسته، محولا مده إلى القرن الحادي والعشرين انه «جان جيتون» رائد من رواد الفكر الروحي المعاصر في أوربا، والذي ما انفك منذ الخمسينات يدافع بقناعة مطلقة عن اعتقاداته واختياراته سواء في السوربون كأستاذ أو في جل مؤلفاته. حتى يومنا هذا في مقعده بالأكاديمية الفرنسية (مجمع الخالدين) بفرنسا وهو على أبواب التسعين رغم ثقل الشيخوخة وهمومها. ولقد ساعده أسلوبه الرومانسي (نسبة لمدرسة المعلمين العليا الشهيرة بباريس) التعليمي، وقدرته في التكوين المتعمق عبر الفلسفة الإغريقية وفلسفة الزمن والخلود على طرح أطروحته بوضوح مستقطبا انتباها في ضمير العصر من قيم ومثل خالدة، يمكن بفضلها تجاوز شهوة الإشباع المؤقت وتكثيف الرغبات الزائلة واستراتيجية الاستهلاك المفتعل...

كثيرا ما شدنا إليه هذا الشيخ الطيب الوقور وهو يجتاز بهدوء وتأمل حديقة «لكسمبورج» الشهيرة في الحي اللاتيني بباريس وبخطوات طريدة لكنها مستقرة، تجسد خطوات معاناة الإنسان في حديقة الزمن، وفي درب الخلود.

لقد حصل جان جيتون على الإجازة في الفلسفة سنة ١٩٢٣ على دكتوراه الدولة سنة ١٩٣٣ عن الزمن والخلود، وعمل في التدريس ووجهته سلطة بفرنسا، ويحتل عام ١٩٦٠ كمحاضر ليرى أنه نقل الطريقة لكل طاقاتها الفكرية والتسامح، وعرف أنه أشكل والتعليقات لدحضها [illegible] سنة [illegible] وفي عام ١٩٥٥ السوربون كأستاذ للفلسفة الأساسية وتاريخها، ثم انتخب عضوا عاملا في الأكاديمية الفرنسية، بعد أن حصل على جائزتها، وقد انتخب عام ١٩٦١ في المقعد الذي خلا بوفاة المفكر الكبير ليون بيرار، ومازال يشغل هذا المقعد حتى يومنا هذا.

لقد انطلق جان جيتون من أرضية عقلانية ليطرح الفلسفة الإشكاليات الأساسية للإنسان محاولا إعطاء إجابات موضوعية لهذه الإشكاليات مستنيرا بحوار السماء وبالكتب المقدسة، ولقد أهله تخصصه في الزمن والخلود عند فلاسفة الإغريق وعند سنت أوجستينوس في مطلع العصور الوسيطة ومن خلال فلسفة نيومان، أن يتجاوز الغموض الكنسي، متلقيا للميتافيزيقيا ما علق بها من شوائب الالتباس، مركزا على مصير الإنسان أمام صعوبة الاعتقاد في هذا العصر. ولعل مقارنته في هذا الموضوع بين «رينان» و«نيومان» وموقفهما من الكنيسة ومن تعاليمها، ومدى التغير الذي يقع في العرض لا في الجوهر، وقدرة تحرك الإيمان في إطار الزمن سلبيا أو إيجابيا تعتبر من التفاسير القيمة والجديرة بالدرس أو التأمل...

ولقد وقف «جيتون» المفكر الروحي موقفا مرنا من ما أسماه «مشكل المسيح عليه السلام». ولقد ارتكز على الحكمة (المجد المتدفق من التناجي) ليقوم بعرض بناء للحب الإنساني كالذي رجحه الشباب بعصره، هذا العصر المتأزم في الضمير المعاصر بين فورية عطاء التكنولوجيا كمعرفة والعلم كأساس، وبين اشباع غرائزي وتطلع غير موضوعي جعل من الرفاهية غاية لا وسيلة، بينما الغاية هي تأصيل انسانية الإنسان لا تدميرها باسم الترفيه والرخاء. فهل يمكن الرقي للإنسان بعقله وربه، وارتقائه بقلبه وربه واقترانه، وتحقيق مصيره بعقله؟

إن المجلد الرابع من إنتاج «جان جيتون» عن اللقاء (البين) وحوار مع الرواد يحاول الإجابة على هذه التساؤلات في إطار تكثيف المناقشة لا الهروب منها، وتوضيح كل الأبعاد دون خلفيات أو تحفظات ومضمرات. وهذا ما يجعلنا نطرح «عقلانية» «جيتون» بعد تنقيتها من شوائب التهميش الإغريقي في تجريده، والوسيطي المسيحي في تعقيده، لتحافظ على لبها وجوهرها المتحرر من كل التباس، لتسهم في جلب العقلانية السليمة الواعية في العودة إلى صفاء الإنسان في كل مكان، ليرى حقيقة مصيره أمام الزمن المتطلع في موكب الخلود، منذ مسيرة الوحدانية الحنفية لإبراهيم (عليه السلام) ومعالمها والإمام المسيح (عليه السلام) لتتمركز هذا المصير في أجل وأكمل وأتم صورة عقلته المثلة في الإسلام كعقيدة شاملة متكاملة لا انغلاق عبر كل الأزمنة في مسار الوجود بما تضمن استمرار التواصل حوار السماء مع الأرض، برضاء من الخالق وارتضاء من المخلوق، دون قهر وإكراه أو إلغاء وتهميش.

إننا لنتفهم معاناة «جيتون» كمفكر غربي يتحدث عن «صعوبة الاعتقاد» لديهم في القرن العشرين بل وفي أهم مؤلف له يحمل هذا العنوان، ونعي مقدار العزلة التي يعيشها كتيار فكري روحي بين التيارات الغالبة المتسلطة فكرا وشيئا قولا وفعلا باسم المادية في الغرب، ونقدر إصراره على الاستمرار في موقعه والثبات أمام كل العواصف، التي تهب من ذات اليمين أو ذات اليسار باسم الرفض والاعتراض تارة وأخرى باسم الفوضوية أو الانشقاقية أو العنصرية أو العصبية الواعية، أو البعد الواحد، أو الردة والارتداد... إلى غير ذلك من المسميات الرائجة





جان جينيتون

في حلبة الصراع والتقليد، وكلها تيارات جاهزة كحركات موضوعية لحركة تاريخ تمرد على ميكانيكية المتحجرة فتفجر وتفجر بعد أن أزاح عن عاتقه سلاسل القهر والتقوقع والمماثلة في فترة تجاوزت الألف عام من عصور ما الوسيطة المظلمة وحينما اتيح للعقل العربي المسلم بنوره إلى الغرب ليسهم في نهاية الفكر الوسيط القاصر المبهم بتجريده وتجرده ومدرسيته وميتافيزيقيته واغترابه بتعالي عن المشكلات الإنسان والواقع - تحرك لاهوت الكاثوليكي كما حرك خصومه من غفلتهم، وبدأت رياح اليقظة والنهضة تهب على النسق الكنسي السكوني متخطية بقيم عقلانية متجددة واجتاز مواجهتها للتحول التي يتشاطر المنحوتة بعد أرسها الفلسفية، وهكذا بدأ العصر الأنوار والمعارفين والمسيحيين للفكر حول الإنسان والطبيعة على حد سواء، محاولين التساؤل والتعليل بدلاً من المسلمات والقيد والتدليل، والتوجهة والتجريد بدلاً من الاستدلال والتجريد، ومن بفتح ارضية لحقول الرفض وفروعها وأشكالها للثورة، وضمنها

أو عضوية أو ذاتوية أو ماركسية أو وجودية وطرحت نفسها كبدائل في حركة التاريخ وحسمت الحقيقة مرة أخرى في المسيحية وما حولها بعد المسيح (عليه السلام) واضحة جداً وبسيطة تحكيمية. ثكل حوار ثم في كينونة وعن الإنسان. وأكثر العقلاء وقال موقع وتكل عصر فلاته - فتنسوقا فرصة سانحة، لتصفية الحسابات مع التاريخ نفسه باسم قدسية وفلسفة التاريخ كل بكل بطريقته وحسب انتمائه وأهوائه وتذوقاته أو الآلهة ومعاناته - وهكذا عزل أو انعزل موكب الروحية في الغرب عن الحركة العامة للفكر الأوثر ليصبح موضعاً للثقافة ولمعتقدها فكانت انت حيلون في مؤلفه القيم يعزون منصوبة الاعتقاد في هذا العصر، ولكن منصوبة سمو والعمق.

إنما ضمن حركة التاريخ ومنها يعتبر سيناله جرأة التحقيقية فحسب التأويل الذي سيتصل النقد والعلمي والنقلب ليخرج الشيئ شاحب أسبه، فتقليل تطلعاتها إنما هو يقف عند الدين ويسمو ...

الأولى: اقرأ تفسير ربك الذي خلق، اقرأ وأتدبر وتكن لا تنفقي .. وصلى موازياً له وموصلاً على درب المعرفة والوجود في الإقناع والاقتناع والبرهنة، فإن كانوا قد عرفوا في الغرب حوالي الألف عام من الفلسفات الوسيطة لتحجر التاريخ وتحجر العقل فقد عرفنا الألف عام أو ما يقرب من الانهيار، الشرقية والغربية الانفتاحية ومقابلين يصحب الكلام عن صعوبة الاعتقاد في أمتنا عبر هذا العصر وإنما يصحب العكس .... فنصيبنا ولله الحمد، اعطتنا قناعة الإيمان الواضح والاعتزاز بذاتية التاريخ المشرق في حضور الإنسان وفي كل زمان ومكان، هذا أعطتنا نهجاً ووسائل موضوعية في التطبيق بما يضمن استمرارها في بناء صرح الأمة المتكاملة وصياغة تشكيلها، بتكامل ويلاحم طاقاتها وجمعياتها بين دين أو الاستقلال ويحقق بالتالي توازن وسعادة النفس، وإشراق الذات، وإنقاذ مصير الإنسان.

بدر الدين خلف

نابوكوف

عبد القدوس الخاتم

يقول الناقد الأمريكي فرانك اوكنور في كتابه الصوت المتفرد متحدثاً عن أدب الجنس «إن الخطورة في الموضوع تتعدى إلى أن القصص التي كانت احتجاجاً على ابتذال الجنس قد تصبح نفسها ابتذالاً له» ... ذلك لأن الخيط الرفيع الذي يفصل بين الأدب الفاضح - البورنوغرافيا - وأدب الجنس لا يزال غير مرئي. ولا زلنا في الرواية العربية نعاني نفس المشكلة، فمن الصعب على كثير من القراء التفرقة بين الاستخدامات المختلفة للجنس عند كتاب كنجيب محفوظ ويوسف ادريس والطيب صالح وإحسان عبد القدوس وحاتم خوري أي بين البراعة والتمني الفنيين ... والأديب نابوكوف معروف للقراء العرب من خلال الترجمات المتعددة لروايته الشهيرة (لوليتا)




نابوكوف

التي طارت بصيته في الآفاق وجعلته كاتباً موزعاً بين عشية وضحاها. وعبرة الرواية أن الشيء جزء من المسيح الفني فيها، وهي رواية تشريحية بارعة لنفسية مريض.

وقد صدر أخيراً كتاب البروفيسور أندرو فيلد بعنوان جزء من حياة نابوكوف - والأستاذ فيلد من المتخصصين في أدب نابوكوف. ورغم أن غلافه لا يحملون كثيراً المعلومات والانطباعات المرويمة في السيرة الذاتية الروائي، والتي قد أخرجها عام ١٩٦٦ تحدثني أيتها الذاكرة، إلا أنه يحفل بالمؤثرات التي ساهمت في تكوين نابوكوف فكرياً وعاطفياً: عائلته البورجوازية في روسيا القديمة، طفولته السعيدة في الريف الخلاب، حبه الأول، مقتمونه حبيبة الدافق السلة رأسه بعد تجربته، حتى التفاصيل الصغيرة في حياته - كحديث المؤلف عن سكرتيرة الكاتب وخدمه وعمله اليومي تبدو موجودة جانب الكبير عنه.

ومن أهم فصول الكتاب حديثه عن تأثير الناقد العظيم ادمون ويلسون على نابوكوف رغم خلافهما حول موضوع الروائي الأثير الجنس. فقد كان ويلسون على اعترافه بمواهب نابوكوف يرى أن الأخير يقحم الجنس لتحديث القراء ويتملق غرائزهم.

ومن ناحية أخرى فإن كتاب البروفيسور فيلد مفيد أيضاً للذين يريدون أن يتأملوا غربة الكاتب عن اللغة - رغم تفوقه فيها - فقد كان نابوكوف روسياً ذا مزاج سلافي شاعري، يكتب بالانجليزية








أندرسون — الكيلاني

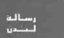


رسالة لندن
ستيفي سميث

هل تستطيع المرأة أن تكون شاعرة عظيمة ؟ يزعم الكثيرون أن لا ـ لماذا ؟ لأن المرأة بطبعها العاطفي السريع الانفعال لا تتمكن فقط من تصفية التجربة الحقيقية من الزوائد تنسيها في قالب التركيز الهادىء الذي بدونه لا يمكن أن يكون الشعر عظيما ، فهي تميل في انفعال مستمر دون توقف موضوعي عاقل يتحكم الجموح ويكون أساسا متينا للمعمار الشعري . ويدللون بأننا لا نملك طوال تاريخنا شاعرات لهن مقدرة أو موهبة المتنبي أو المعري أو دانتي أو شكسبير أو شوقي . وبالرغم من ذلك فمن الممكن أن تكون المرأة شاعرة مجيدة بشرط ألا تخرج عن طبيعتها . إن بعض الشواعر كتبن قصائد جميلة عن تجربة الحب والأمومة والتصوف أيضا (مثل : [illegible] وفدوى طوقان وعزيزة هارون مثلا) . فالمرأة بطبعها على استعداد للتضحية الدائمة في سبيل من تحب وتتميز تجربتها هنا بالصدق والحرارة . والشاعرة استيفي سميث استطاعت أن تتخطى تلك الأطر [illegible]

انتقت قصائد عليها مسحة من الفلسفة تصل أحيانا إلى حدود التجريد مع تطور المرأة معه وقد فازت من قبل بجائزة كوموندلي للشعر ومنحت عام ١٩٦٩ ميدالية الملكة الذهبية .

ولشعرها طعم السخرية يدعو للكذوبة المطارحة الا أن من يحاول سبر غوره يجد بطانة من الفكر الحر النقادي الذي يحيط بقصيدتها من الذين أمثال لويس [illegible] ورغم ذلك يلسع من [illegible] الذي الببغاء [illegible] الإرهاصات لقصيدتها [illegible] الحدود [illegible] الأطفال [illegible] اجتمعوا ، سمعوا ، يزعمون أن تنشئوا الكلمات التي لقضيتها المسلة .. [illegible] الفكر صاحب الببغاء : من الذي قال لويس ابن لم يكن ذلك مناسبا أبدا ، وهكذا أعطوا الببغاء جزءا آخر تعلق فمها .. يجب أن نحمد الله أنهم لم يكسروا رقبتها .. من الواضح أن الاتهام يتعلق لويس ابن توجه للجميع .. وليست الببغاء إلا رمزا للارتشاء والقمع الإنساني .

رسالة لندن
الكتابة للأطفال

[illegible] يختلف اثنان في أهمية الكتابة للأطفال فهم مصابيح المستقبل وحداثته . وإذا ذكرنا أدب الطفل فلابد أن يتبادر إلى الذهن رائدان بارزان في هذا المجال هانز أندرسون وكامل كيلاني . أما كيلاني فقد كان هدفه مزدوجا : تبسيط وتقريب اللغة العربية للأطفال ثم تنشيط خيالهم في إطار من الموعظة الحسنة . أما أندرسون فقد همه الأول خلق عالم سحري براق مليء بالحيوانات الأليفة والشريرة يستطيع من خلاله

تتبلور الأنشطة مفاهيم عن الخير والجمال والحق والعدل . ومن المؤسف أن جهود كيلاني الرائعة لم تجد الثقافة الواعية اللازمة لها فعدا صدور مجلات للأطفال كسمير وميكي وغيرها في البلدان العربية تكاد أن تكون مكتبات الأطفال خالية من شيء له قيمة حقيقية . ومن ناحية أخرى أدى الغزو الثقافي الوافد مع الاستعمار الجديد إلى تنشيط حركة المجلات المترجمة كالسوبرمان ، وهي ترفد عالما يبدو في ظاهره أن

تمجيد للعنف والحمق الخلاق تكمن خطورتها في تمجيدها للقيم الغربية المفترضة . نقول هذا بمناسبة أسبوع كتاب الطفل في لندن والذي اختتم بالقاعة الملكية للاحتفالات مستظلا تحت عنوان «كتب الأطفال .. الماضي والحاضر» ، وشارك فيه ناشرون من العالم الثالث واستمرت الاحتفالات بالمناسبة طيلة الشهر الماضي في شتى أنحاء بريطانيا ونظمت ضروب المسابقات للأطفال للكتابة بأنفسهم بأنفسهم ، وألقيت عشرات المحاضرات بواسطة المؤلفين والمقتبسين والمترجمين وأبرزت للكتابات في واجهاتها الملصقات التي تعبر عن النتاج المستحدث في هذا الحقل . ولكن صياغتها للأطفال أصعب بكثير من مخاطبة الكبار الراشدين .. فهي تحتاج إلى دقة ومهارة لما تحمله في طياتها من مسؤولية خطيرة نحو وجدانات غضة سريعة الالتقاط لكل ما يلقى إليها فهنا يبدو النطاق أكثر ضيقا ومحفوفا بالمخاطر .













مود جون المرأة التي عشقها الشاعر العظيم وليام بتلر ييتس وكانت له مثلما كانت الانسة مي ملهمة للعقاد .. خليطا من الرغبة والخوف من الاخفاق على ارضية قلقة من عنف النفس والتحدي الغامض والمراهقة العاطفية .. والتي اعلنت تشعره الحوارية التي افتقدها زمنا وكانت تجربته معها مستحقة محزنة ، ومود جون تذكر في تاريخ ايرلندا السياسي مع انها لم تكن ايرلندية تماما .. وقد عادت الى الحياة فجأة في السيرة التي اصدرها عنها صمويل ليفنسون .

على ما يقرب من خمسمئة صفحة يحاول ليفنسون - من خلال تحليل دؤوب عمل احيانا - ان يرى عصرا باكمله منعكسا على هذه الفتاة العجيبة .. وهنا تكمن خطورة هذا النمط من كتابة السيرة فالمؤلف يجهد نفسه ومصادره في تضخيم الجانب الشخصي من الموضوع مما يوقعه في شراك التفسير اللاموضوعي للاقوال والمواقف .. فقد يكون لمود جون تأثير على عصرها - لا احد ينكر ذلك - ولكن الخلاف يأتي عند قياس مدى ذلك التأثير .. وقد فرض هذا النهج على المؤلف التردي مرارا في الاحكام المقتضبة اللاصورية ويبدو ان مود لم تكن بارعة الطباع والاخلاق مليو فولي لم يكن ليبقى معها طيلة ذلك الزمن .. مثل هذا التشبث في التفسير يكفي لقبل منه القضاء على السيرة برمتها .

ونأتي الى حيز ما في الكتاب .. اذا استثنينا علاقتها بييتس - وهي فلذا علاقة مؤلمة محيرة - اعطاها المؤلف حقها من البحث والتنظير - فما سطره المؤلف عن لياليها الاخيرة وكيف اصبحت بعد ذلك في اربعينات القرن شعارا ورمزا مقدسا للحركة الوطنية الايرلندية - هو افضل ما يمكن العثور عليه في الموضوع .. اختفت الاحكام القطعية وتخلص الاسلوب من الحشو والتهويل هنا تعود .. الى .. على حد تعبير ... - تعود السيدة ... تعيش في منزل ابنها في .. بقبلة الزوار ، تدخن بشراهة وتكتب الرسائل لمعارفها واصدقائها ... الايرلندي ... بمحبوبة .. وتطلق الاحكام ... بمنة ويسار (..) .





هذه سلسلة ممتعة تصدرها دار بيانج تعتمد الحوار في رسم صورة حية واضحة الخطوط للشخصية .. والحوار يدور بين الخالق (المؤلف) والشخصية (شو) وبعض خاصة اصدقاء هذا الاخير واستقل مسرحياته وكاتبي سيرته . والحوار هنا مختلق - بقدر الامكان - من الوقائع التاريخية الثابتة المحضة دون تزيد مسرحي او روائي .. والغرض منه تمكين القارئ من الالمام بالموضوع بعيدا عن الجمود الاكاديمي وحذلقة كتاب السيرة ومماحكاتهم .

يدور الحوار بين الخالق وشو وفرانك هاريس (كاتب سيرته) وشترسون صديقه اللدود وبعض الشخوص المسرحية .. ويلقي الحوار على الرجل العظيم اضواء باهرة فيتبدى واضحا للعيان تحت الشمس بلحمه ودمه .

ولد شو عام ١٨٥٦ في دبلن وقدم انجلترا في العشرين من عمره .. وبعد تقلبه في عدة وظائف احترف كتابة الروايات الفاشلة فمن جملة سبع لم يقبل اي من الناشرين ولو واحدة منها .. وانغمس صاخبا في المنعقة الى الفابية والتحم بالجمعية الفابية واصبح خطيبا مفوها على اتصال بالفكر الجديد في زمنه ومن جانب آخر اكتسب شهرة طيبة بنقاد الموسيقى الذي كان يكتبه في مجلتي النجمة والعالم .. وظلت الفنان ورجل الدعوة الكاشف في حلبة الى خمسة المسرح خاصة بعد اكتشافه لابسن .. او على حد تعبيره .. ان يستعيض عن القصة بالخطبة .

وتعود بداياته المسرحية الى عام ١٨٩٢ «بيوت الارامل» التي كشفت عن بذور خصبة رغم الاستقبال الخامد الذي لقيته من النقاد والجمهور ولم تزدهر سيرورته المسرحية الا اوائل القرن حين اقترنت باسم جرانفيل باركر بالرويال كورت .. وفي نيويورك قدم له ريتشارد مانسفيلد «تلميذ الشيطان» فاصبح على جانب من الثراء وطار اسمه في الافاق .. وفي عام ١٩٠٢ احترف المسرح .

وتتناول معظم مسرحيات شو المسائل الاجتماعية والسياسية حتى ليبدو الحوار جدالا حادا بين الشخوص وفي البداية رأى معاصروه في ذلك منهجا غريبا في الاملال .. الجميع يتحدثون ولا احد يفعل شيئا .. اي ان المسرحيات خالية من الحدث .. وكتب نقاد التايمز بعد ان شاهد «المريكس والنيث» سالقطع .. انها مسلية الابد .. ثم بعد ذلك .. من قبل ؟ لا نقصد خلع المروكليس المشوقة من قدمه .. ولكننا نقصد انه الشخصية الوحيدة في كافة مسرحيات شو التي لا قدرة لها على الكلام .

ولكن مع مرور الزمن بدأ الناس يحتفون ويقدرون بطريقة مختلفة ـ فإن دراماتو شو كانت ولا تزال على جانب كبير من الجودة . ومن جانبه فإن شو كان دائم التأكيد على أن مسرحه لا يحتوى ـ تكنيكيا ـ على أى «مستطرف» ووصف مسرحيته عربة التفاح بأنها «حكمة خفية من جيل مسرحية الدمية» . وكرس شو نفسه لمسرح الأفكار الذى ـ فى زعمه ـ هو الدراما بعقلها وقصيصها . إنه رأى فى الحكمة سمة تتحرك فوقها الأفكار وفى الدراما قوة اجتماعية دافعة . وكان يقول إن إبسن كان كاتبا عظيما لأنه كتب بيت الدمية، وإن شكسبير مجرد متأمل يسجل ملاحظاته .

وقد تناول شو العديد من القضايا ، ففى «بيوت الأرامل» عالج استغلال الملاك الأثرياء للسكان المعدمين . وفى «الرجل والسلاح» سخر من الروح العسكرية والأمجاد الحربية الزائفة «وقيصر وكليوباترا» دراسة فى الاستراتيجيا السياسية . وفى «الميجور بربارا» تتناول مشكلة الفقر وجيش الخلاص . أما «مهزلة الأطباء» فهى دعوة غير مباشرة لنظام التأمين الصحى، وعالج فشل الزواج فى مسرحية «العربى» . ومن كافة مسرحياته يمكن استنباط إيمانه الوثيق بمساواة الجنسين . ولذلك فشخوصه النسوية من أكثر شخصياته تحررا وتأثيرا وحيوية منذ العهد الشكسبيرى . ولا يعنى ذلك أن شو كان يسطر مناقشات مجردة لا يبدو فيها لشخوصه أنفاسا حقيقيين فهم حقا كذلك . إنهم يخرجون خلفهم القضية المثارة فى جميع الأمكنة حتى ليشعر المتفرج أن القضية جزء من وجدانه البشرى . وفى الحوار فإن الشخصية التى تبدو وكأنها ربحت الموقف ليست بالضرورة الأداة وجهة النظر المثارة فى المقدمة . فهى قد تكون أكثر عاطفية ومضارة فنية من الشخصية التى تحمل الأفكار الصحيحة . وهنا يتضح أن شو الفنان كثيرا ما يدفر ظهره لشو السياسى .

ويبدو أن شو كان يتجه نحو الدين رغم تجديفه فقد كان مثقلا بما يكفى لكى يرفض المسلمات . وكان اهتمامه بالبشر ذا مسحة رومانتيكية . ومن المقطوع به أنه كان يفهم النوازع الدينية بالفطرة والغريزة وليست مصادفة أن تعالج مسرحياته الناجحة المسائل الدينية (الميجور بربارا ـ القديسة جان) .

ومن الحق أن نسمى شو رجلا متدينا أكثر منه اشتراكيا . وقد أشار ويستون تشيرشل فى كتابه «عظماء معاصرون» إلى أن ممارسة شو لحياته كثيرا ما كانت تصطدم بمعتقداته الاشتراكية . وكان نقد حياته يشير بالسعادة ...

العقل والعقل الظاهر والمستقبل الخلاق نحو الاشتراكية الإنسان وتجعله يركز فى فهم القيم قيم روحية . وأسوأ ما فى الحياة ـ يقول شو ـ أن نكون مستقلين بواسطة رجال دون عقول ثابتة لأغراض تعلم أنها وشيعة . ومن الناحية الفلسفية فإن خير ما فى الحياة أن تحركنا الفكر الخلاقية . ولا يستطيع أحد هذا إلا إذا سدت حاجاته الحيوانية الأولية . ولإيمان شو بمسئولية الإنسان شن هجومه على نظرية الانتخاب الطبيعى الداروينية : البقاء للأقوى وهى نظرية تبدد الأخلاق وتبرر كل أفعاله مهما تكن .

ويفسر شو الحرب الكونية فى هذا الإطار فالسيد الوطنية البريطانية ترفض ألمانيا إربا بعد ترغيمها على ركبتيها . ولقد كانت الداروينية هدف شو فى حملته على النهضة العلمية ، فالتقدم التكنولوجى بدون أسانيد خلقية من شأنه أن يهدد الحضارة برمتها . وهذه الخصوصية الأخلاقية هى التى تحفظ مكانة شو ككاتب ، إن نقده الموسيقى والمسرحى يتألق بالعاطفة ، متدفق ومتوحش الثقافة . والاستشهادات الواردة إن نقده فى هذا الكتاب تبين عدم الانفلات فى الفن أن الخطأ الخلقى ما يؤدى لا ما يبدو أن ...

لأنه الحرب العالمية لفترة طويلة وكان من المستحيل أن ينجح فى صدورنا الإعجاب المستقيم برجل متوحد صمد فى خندقه المنعزل ولم يتخل عن سلاحه .

ومفتاح شخصية شو أنه كان بالميلاد والطبيعة لا منتميا ، كان ايرلنديا بين الإنجليز وبروتستانتيا بين الكاثوليك وزوده ذلك بنظرة منفصلة لما حوله . والغريب أنه كان مزاجه ، كانت لديه المقدرة على نقد الذات وكان شو الصحفى مصدرا لقوة هائلة . وامتلك نفسه بقدر من البرودة . كانت حاجاته العاطفية والجسمية قليلة أو مفقودة ، كان نباتيا ، لا يدخن ، يمقت المسكرات ومحصنا من غوايات النساء . ولم يكن فيه أثر للغيرة أو الحقد أو للمزاج المنحرف أو العواطف المتناقضة . وعلى الرغم من تفاوته الطفولية وبهلوانيته فقد كان مفكرا جادا ، ويمكن أن يعزى نجاحه إلى طاقاته العقلية والأخلاقية .

ولعل خير تلخيص له قول بنطلى إليس فى شو تبريرات أو اعتذارات ، ولا مراوغة ولا مزاح ، لقد قال أشياء عديدة وأخطأ فيها إذا أخذناها كما هى . ومع ذلك فهو أقل خداعا من الكتاب الآخرين إنه يعلم أن التمايز ليس بين الحقيقة واللاحقيقة وإنما بين الحقيقة الجزئية والدوافع الشخصية .

رسائل مسرحية

الخدمة الاعتيادية

جون بيرن كاتب مسرحى موهوب نال جائزة الإيطاع ستاندرد مناصفة مع زميله بريان كلارك ككاتبين واعدين بعطائه فى العام الماضى . ولم يكن الطريق إلى النجاح لهذا الرجل المنحدر من الشعب الاسكتلندى الذى ... إلا سراطا من عذاب وانطباع المرير .

لقد كانت طفولته فى بيزلى باسكتلندا ـ أكثر مناطق أوروبا فقرا كما كان يطلق عليها إبان الحرب الكونية الثانية والتحق فى صباه وشبابه الأول بمهنة أهل أبعد ما تشبه موهبته الكامنة ـ من ضمنها مصنع السجاد كانت وظيفته فيه القيام بمزج الألوان والدويبات فى السروى العطن برائحة الكيماويات . وإثر معاناة قاسية انتقل إلى مدرسة الفنون بجلاسجو وتخرج منها وبعدها إلى إيطاليا حيث تخصص فى تصميم الجرافيك وعاد ليلتحق بالتلفزيون الاسكتلندى ومن استطاع بيرن أن يرمش الأجواء المسرحية فى لندن عام ١٩٧٧ حيث عرضت له على خشبة البوش مسرحية «تشنج الكاتب» وهى تدور حول الإساطير والمعتقدات المتداولة فى الأوساط البورجوازية الاسكتلندية الفقيرة . وقد استخدم فيها تيمة مختلة توحى بالتعرة . ويرتجل الواقعة أكثر فى العام الماضى بعد أن عرض مسرح الرويال كورت مسرحيته «البلاطون» استوحى فيها عمله فى مصنع السجاد فى أواخر الخمسينات .

والحق أن كل المسرحيتين تستلهمان سيرته الذاتية كما تستلهمها مسرحيته الأخيرة «الخدمة الاعتيادية» التى تعرض بنجاح على خشبة الهامستد وهى أوتوبيوغرافيا مباشرة حتى أسماء الشخصيات هى هى فى الواقع «لا أعتقد أن هناك شيئا يقال على الخشبة تفوه به أحد فى حقيقة الحياة . إننى أتذكر نغمة حديث الناس . وكثير أحاول إعادة صياغتها والنفاذ إلى الأعماق ملامح شخصياتهم من خلال ما يقولونه والطريقة التى يقولون بها ، إن ذلك يشبه رسم الوجوه بالفرشاة ، إن الصورة الفوتوغرافية تعطيك شكل الشخص من منحى شبه مستقبلى ولكن الرسم يعكس الملامح الحقيقية» .

ومسرحية «الخدمة الاعتيادية» تدور حوادثها فى الغرفة التصميم الإيضاحى بالتلفزيون الكالدونى أثناء يومين مليئين بالهستيريا والتوتر عند إعداد برامج احتفالية بالذكرى العاشرة لبدء البث بالمحطة التلفزيونية . والعمود الفقرى للحدث هو الإعداد العرض على الهواء والمتحدين بدون منطقيين بنجاح البرامج على مستوى الأمة وكل الأحداث الطاحنة تترى






رسالة لندن
مارتن ويبر





غسان حمار

مقامات
عبد الشكور المشهور
بمعركة الأنام والدور

المقامة الشاعرية

قال عبد الشكور المشهور بمعركة الأنام والدور :

أعلنت رابطة الأدب العصرية ، عن ندوة شعرية ، يديرها الشاعر اللامع ، خالد الجامع ، وطالعت أسماء المشتركين وتوقفت عند أصيلة نور الدين ، ودفعني الفضول لسماعها ، والوقوف على مستوى إبداعها ، فأنا عديم الثقة بمواهب النساء ، باستثناء الخنساء ، والتي لولا الصحبة ، ما كتبت هذه القصائد المهيبة ، وكذلك ولادة بنت المستكفي ، ولولا ابن زيدون لأخفاها الزمن فيما يخفي ، وجاء يوم الثلاثاء فخرجت في المساء ، وذهبت الى مقر الرابطة ، بلا دليل ولا واسطة ، لأنني اعرفها منذ الخمسينات ، وازورها في بعض الأمسيات ، وصعدت للطابق السابع وأنا ألهث ، ودخلت والأستاذ خالد يتحدث ، كان كهلا أنيقا ، وأصلعا رشيقا ، وهو يحكي عن الشياطين ، الذين يوحون للمبدعين ، ولكل شاعر شيطان ، والعياذ بالرحمن ، إلا أن شياطين الشعراء ، أرق من الهواء ، يوحون بالجميل ، ويلهمون المعنى الأصيل

ولكننا لا نعرف بالتحقيق ، هوية شيطانها الأنيق ، فاسمعوها الآن ، واحكموا ما شئتم .. ، والآن مع النغم الحالم ، والشعاع الطالع ، شاعرة الشعراء ، وعاطرة الإسداء ، مع أنغام عطرين ، والشاعرة أصيلة نور الدين .

وبحركة مسرحية بارعة ، انحنى رأسه اللامعة ، وتراجع الى الخلف ، لتخرج أصيلة من أول صف ، وتذهب الى المنصة وتلحقها العيون المتراصة ، ويبدأ التصفيق بحرارة ، بينما يشعل الأستاذ سيجارة ، لها رائحة البلاط ، ومع ذلك بمنصتها بانبساط ، كانت أصيلة شاهقة البياض ، وفستانها غامق السواد ، والكل هذا - الكونتراست - ينافسها بلا قيد أو

شرط ، هذا الى عيون مكحولة ، وخدود مصقولة ، وشفتين مرسومتين كالوردتين وصوت اقرب للهمس ، يخاطب الحواس الخمس ، أما عن المنطوق ، فغير مسبوق جديد معناه ، مثير مبناه وقالت بعد أن مالت :

إيـــاك بحبيـــبي
إيـــاك ألف مرة
لمس في جيوبي
[illegible]

وكانت تقول [illegible] وتنظر حواليها ، ثم تطرق [illegible] بحبيبي [illegible] ملابسي والأكف تصفق ، والإعجاب يتدفق [illegible] [illegible] [illegible] التصفيق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تشعلت خصيتها ، واشتدت [illegible] وظهرت في لحظة واحدة ، الشهامة الزائدة ، واندفع اليها المساعدون ، يقيمون ويحملون ، وأعلن خالد بفرح زائد أن أصيلة بخير ، وقد أصابتها الحمى

لاغير ، ثم تطرف وقال ، لأنها تحدت الرجال وطلبت النزال ، وسيظل الرجل هو الرجل ، وإن طال الأجل ، وحواء حواء وإن تغيرت الأسماء ، ثم قدم شاعرا على قد الحال ، اسمه مجاهد عبد العال ، فأصابنا البرود ، وهو يتحدث عن فردوسه المفقود ، وحينما انتهى ، شرع في أخرى ، فانصرف البعض ، وأوشك المجلس أن ينفض ، والشاعر ما زال يهيم في حواري الخيال ، لا يعلن بانفضاض المجلس ، وامتعاض النفس ، وراء الطين بلة ، أن ذلك الأبله ، خلع ثوب الخليل ، واستبدله بآخر هزيل ، تحت ستار التجديد ، في بنيان القصيد ، فصد وباعد ، وصار من الثلج أبرد ، وهذه آفة غير المجيدين ، في كافة الميادين ، وحاول خالد تدارك الأمور ، فوقف يصلح ما أفسده الشعرور ، ولكن هيهات ، فالوقت قد فات ، وانصرف ثلاثة أرباع الحاضرين ، وهم غير ملومين ، ولعنة الله على هادم اللذات ومفرق الجماعات وانتهى الأمر بمجموعة صغيرة تحلقت حول الشاعرة النضيرة التي فكت ، لعب عيال ، فقصد عبد العال فاحتلها خلف باهتمام زائد ، فعارها الذي أطلقاه ، مع



كل فكرة وكل اتجاه ، فقلت : وهل ترحبون بالسذج ، الذين يعملون فى الدهج ؟ فقال : نستدرجهم من حيث لا يشعرون ، ونكشفهم للعيون ، ثم اننا لو منعناهم شغلوا بدعواهم ، وانت رأيت الجمهور ، يرفض الزور

وكان اول المنصرفين اصيلة

وإذا بالفراش فرج ، يصيح بأعلى صوته ، فقلت له : إيه ، فقال إنه التقى خطابا مغلقا ، كان تحت مقعدى ، ولعله وقع من يدى ، واعطانى الخطاب واخذته بارتباك ، فهو لا يخصنى ، ولكن الشيطان وزّنى ، لمعرفة خوافيه ، والاطلاع على ما فيه ، وكانت الصدمة القاتلة : فالخطاب لاصيلة

الفاضلة الفضيلة اصيلة ، وجدتك تاكلين مع الملائكة ، ازرا يقلبن والسكى ، فكتبت لك هذا بالسلام

نجحت فى شراء هذه القصيدة ، من الشيخ صعيده وهو شاعر مناكف ، جمل يقر كالحطب التاشف ، لم يرض بالجنيه ، واصر على ضعفيه ، وقد اخذ الاربعة ، ونجح فيما سعى ، و قد جعلته يقوم بالتشكيل منعا للغلط والتشليل ، وهذه هى القصيدة التى الوقع لها نتائج سعيدة ولابد من مقابلك الى صفقاه ، لمعاونتك فى الالقاء ، وقد ذهبت اليها المرة الماضية ، بيد فاضية ، فجذى لها معك ما تيسر ، وابتعدى عن الشاتم والذائع المظهر ، فقيمة الهدية فى تدريها قبل قيمتها ، وبذلك نامن لسانها ونضمن كتمانها ، لأن لسان المقلات كثير النزوات ، وكلى ثقة لك موفقة ، سيصفقون ويعجبون ، ويستعيدونك ويهتفون ، فكونى لبقة ، فاردة منطلقة ، وانشدى القصيدة البديعة ، التى اشتريتها من على عطيه ، وقد قابلت خالد الجلمع ، واعطيته القلم السابع وكان هذه المرة مباركا ، زاد فصاح الله اكبر ، فعفنى من تحيته ، لانك نجمة امسيته ، وساتحدث بهمة شديدة عن شاعر غير صعيده ، فهو يطمع فينا ويفض حواشينا ويبيع الشعر ، باغلى سعر ، وفى الختام ـ عليك السلام .

كان هذا ياأولى الالباب ، هو الخطــاب . . !

جحويات

الجزاء من جنس العمل



راح جحا يسعى للسلطان

شعرو يبحزه الاحسان

وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جلست بالحضرة

[illegible]

اجمل حال راحت للحال

والمال قبل والزمان بال

لأجل هذا جئت يابن امى

لحاشيه السلطان سار عمى

باكلنت الحاجب القة الطامع

والدداه مثله شـــــنيع

وقال خذ بلك ياجحـــــا

لنت لكى تقابل السلطانا

هناك شرط واحد محتم

عطاؤه إليك سوف يقسم

مابيننا ، رضيت ؟ قال طبعا

والـف اهلا بالحبى وسهلا

وبعدها مضى الى السلطان

يهدوه من رائع المعانى

قال تمن باجحا تجــــب

ولو طلبت الفــة من الذهب

قال لــه : مولاى ام يضر

خمسين جلدة وهذا طلبى

تعجب السلطان مل والحاشية

فتلوه يلقى نكتة جحوية

تهلهلوا وصاح فيهم جحـــــا

إنى القول الحق لست مازحا

مولاى انت قلت لى تمنى

وقد تمنيت فلا تظنـــــا

إن الملوك حلمهم والعقد

لامهم كالسيف لا يرده

ثم يجد سلطانه مفرا

من جلده مادام قد اسـرا

ورفع الصوت وراح يعدو

عليـه وهو صابر يعد

وصاح فى الخاص والعشرين

جحا باعلى صوته : يكفينى

والباقيات من نصيب الحاجب

لانه الشريك فى المواهب

سد على الباب فى دخولى

الا إذا قسمته بحولى

فلم اجد من الدخول بدا

لاجل هذا قد رضيت الجلدا

حتى ارى الكبيد المحجاب

الزارعين الشوك فى الاعتاب

فاعلن السلطان : بل سيجلد

ضعف الذى جلدته وازيد

فقاما الحاجب للسلطان

بمنزل الحيين من الانسان

وكل مابلى من الفاعل

دلالة على الذى فى الداخل

اما جحا فيستحق منا

رعاية ونجدة وعونا

مروا له بصرة من الذهب

لعله ينبع عنا إن ذهب

بانا نحكم بين الناس

بالعدل والميزان والقسطاس

الحصان ، أدهم .. وأبلق



● الأدهم هو الحصان الشديد السواد والأبلق شديد البياض .. ومنذ قديم الزمان والعلاقة حميمة بين العربي والحصان ، يربيه وينتخب من سلالته أجود ماقيه .. وهي علاقة صورها عنترة وهو يخوض المعارك بحصانه ومع حصانه .

هؤلاء علموه





● في مايو ١٩١٤ ركب طه حسين البحر في طريقه الى فرنسا بعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة المصرية في نفس العام .

وفي السوربون كان أساتذته : دور كايم ــ جلوتز ــ لانسون ــ بيير جانيه . هؤلاء هم معلموه في باريس .. ومن قبلهم جميعا كان معلمه الأول والأكبر ، القرآن ، الذي حفظه صغيرا ودرسه كبيرا مما شحذ طاقته واستخرج موهبته حتى انه وهو في فرنسا درس عامين مايتعلمه الشاب الفرنسي في ست سنوات .

الميكرو .. والماكرو

ولن نتحدث عن أزياء النساء وانما عن الفلسفة فقديما كانوا يفرقون بين «الميكروكوزموس» ــ العالم الأصغر ــ و «الماكروكوزموس» ــ العالم الأكبر ــ ولكن الشاعر العربي اعتبرهما وجهتين لعملة واحدة :

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

١١ فعلا .. وبيت واحد

● والبيت قاله المتنبي إجابة لمن سأله نظم بيت يتضمن أكبر عدد من الأفعال .. فقال :

عش ابق اسم سد جد قد

مر انه اسر فه تسل

وهو يتضمن ١١ من أفعال الأمر .. أما عدد حروفها فنتركه للقراء الذين يستهويهم هذا من الاحصاء .. وكان طبيعيا والدافع كثرة الأفعال .. أن يكون وزن البيت من بحر الطويل وإيقاعاته : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن !



انطباعات أحلام

نحن وابن سينا



كان العلامة العبقري ابو الريحان البيروني اول من لاحظ ان حبات الرمل ليست على شاكلة واحدة اذا نظرت اليها (بزجاجة) مكبرة وان قطعة من (البللور) كحد السكين تحلل ضوء الشمس الى الوان قوس قزح . وذلك قبل نيوتن بقرون ، ثم لاحظ الدنمركي (ستينو) بعد البيروني بزهاء سبعة قرون ان (البللورات) تحتفظ بين اوجهها (المتشابهة) بمقادير من الزوايا ثابتة لا تختلف مهما كبر حجم البللورة او صغر ... ثم توالى العلماء على دراسة البللورات بمختلف الوسائل والاجهزة حتى وضعوا اساسا لعلم سموه (علم البللورات) وهو من العلوم التي لا غناء عنها لكل مشتغل بالطبيعيات او الكيمياء او الجيولوجيا على وجه التحديد ... وقد استيقن العلماء بوسائل الدرس والاستقصاء ان الله سبحانه قد وهب (الجماد) من مادة الكون القدرة على (التبلور) طبقا لقوانين ثابتة في علم (الهندسة الفراغية) في اثنين وثلاثين صورة يحكمها مقدار (العلاقة الزاوية) بين محاور النظم البللورية الرئيسية الستة ... وقد وجد العلماء ان مكونات كل مادة لكي تصير الى بللورات ذات بريق وجمال ومميزة عن غيرها من بللورات المواد الأخرى المختلفة عنها في تركيبها الكيميائي وكيانها الفيزيائي لابد وان تكون خلوا من (الشوائب) ، ووجدوا ان الشوائب قد تكون (مواد) كيماوية فعلية تؤثر في مسيرة تكون البللورة (وانتظامها) الى اسرتها البللورية الصحيحة او على الاقل قد تغير لونها او تحطم بها في زمن الوصول الى ما تصبو اليه ، وان الشوائب قد تكون (معنوية) كان يترك الوعاء الذي به المادة المطلوب (بلورتها) معرضا (للهزات) او انعدام الفرصة للانخفاض التدريجي (الطبيعي) في درجة الحرارة .... وكذلك الامم والشعوب والمجموعات البشرية ، لا تستطيع ان (تتبلور) لتصبح ذات (كيان) اراده الله لها لتتميز به عن غيرها من خلق الله ، وتتسابق معهم في الفضل والاداء ، والتفاعلات الحياتية ، إلا لم تستطع ان تنقى (الغالبية) من مادتها من الشوائب والادران ، المادية والمعنوية .... ولعل من الدلائل على وجود شوائب وادران (مادية ومعنوية) في امة من الامم هو عدم قدرتها على (الوفاء) لمن ترى انهم ينتمون اليها ممن يشرفون تاريخها وسيرتها بين الامم والشعوب ونضرب لذلك مثلا ، زحمنا خلال هذا العام (١٩٨٠) في اكثر من مكان غير صفحات الدوحة الغراء ، بمناسبة مرور (الف عام ميلادي) على مولد العالم المسلم (ابن سينا) ولسنا هنا بصدد تعداد افضال ابن سينا العظمى على الحضارة الانسانية ، ولكن بصدد التذكير ان وسائل الاعلام في مختلف بقاع الارض قد سارت مع تيار عالمي كاسح هائل هاج خلال سنة ١٩٧٩ م الفائتة (بمناسبة مرور قرن كامل على ميلاد ١٨٧٩) بحصاد (مثالب وعبقريات ومواهب) عالم (يهودي النسب) المانى النشأة والتربية والتعليم ، امريكي الجنسية (البرت اينشتاين) الذي كان عالما عظيما لاشك فيه ولكنه ليس الوحيد من خلق الله من العلماء القدامى والمعاصرين ، الذي يستحق (فقط) كل هذا الاطراء والتمجيد والتسبيح والتحميد - ولكن (القوم) الذين يتنازعون التمامه ، ويتشدقون ويتمشدقون بنسبته اليهم ، ارادوا إحياء ذكراه بتلك الصورة العالمية .. وتمر علينا نحن (واحسرتاه واحسرتاه) ذكرى مرور الف عام (عشرة قرون كاملة) على مولد ابن سينا الذي اؤكد تماما انه سيخلد على التاريخ اكثر من علماء كثيرين، دون ان نأبه (لاشهار انفسنا بانتمائه الينا ، ولا نحيي بذكراه بعض موات انفسنا ... لا انادي من هذا المنبر باحتفال (اكاديمي) يعقد من اجله (مؤتمر) وتوزع فيه حقائب (السمسونايت) و (بدلات السفر) ثم تودع نتائج ابحاث (النحاتين) في الاضابير و (الملفات) كان لم تكن ، شأن ما يعلم به كل من ولد منذ قبل الحرب العالمية الثانية في هذا الوطن الذي لم يتبلور بعد ، (ولن يتبلور) مادام مقيم بما به من (الشوائب والاوساخ) وزنة ويخشى (الرأي العام العالمي !!) بل نريد احياء ذكرى مرور الف عام على مولد ابن سينا (العالم العبقري المسلم) بصورة تشعر بها (الشعوب والعامة) ان هذا العقل الكبير منا من خلال الصحف والمجلات والتلفاز والاذاعات والفنانين والفنانات والمطربين والمطربات ..... إن امة منها ابن سينا ولا تأبه لذكراه لا شك انها بعيدة عن سمت التبلور الذي يدل على الحيوية والنماء واثبات الوجود ، فهل آن الأوان لان نحترم هذا الناموس الكوني العجيب في نطاق التبلور بالاهتمام بكيفيات احياء ذكرى مرور الف عام على مولد ابن سينا ؟

درويش مصطفى الفار

سينما

رسالة مهرجان «كان» السينمائي

رءوف توفيق

الزواج على طريقة تل أبيب !

من يتصفح كتيب مركز الفيلم الإسرائيلي ، لعام ٨٠ .. سيجد هذا البيان ، الذي انقل نصه كاملا .. لكي نعرف كيف يفكرون ويخططون للانتشار السينمائي .. واستخدام هذا السلاح الفني الجذاب للتأثير في الرأي العام العالمي ..

يقول البيان :

في هذه الأيام .. يتزايد عدد الأفلام الأجنبية التي تصور في إسرائيل .. ذلك لأن صناع السينما العالمية يجدون هذه المزايا في اسرائيل :

اسرائيل دولة صغيرة ، تستطيع أن تقطعها بالسيارة في خلال ٩٠ دقيقة .. وطولها يمكن أن تعبره في سبع أو ثمان ساعات على الأكثر .. وخلالها تجد العديد من الأماكن الصالحة للتصوير : جبال - سهول - صحراء - غابات - بحار - أنهار - تساقط مياه - مدن وقرى على مختلف الطرز المعمارية من الطراز القطي الى أحدث طراز عالمي .. ولهذا فاسرائيل تتمتع بمناخ يصلح للتصوير الخارجي في كل وقت ، وتتشابه مع مناخ كاليفورنيا حيث يتوافر الجو الملائم للتصوير طوال العام .

واسرائيل ملتقى ثقافات متعددة .. وعادات وتقاليد أيضا متعددة .. ولهذا فستجد تنوعا في الوجوه واللغات .. ومن الممكن أن تختار بينها بسهولة سواء في التمثيل أو في المجاميع الكبيرة .

وبجانب كل هذا .. فهناك الفنيون المهرة ، والاستوديوهات المجهزة على أحدث الأساليب .

وفي كل أنحاء العالم تتزايد تكاليف الإنتاج السينمائي عاما بعد عام .. ولكن في اسرائيل تقل التكاليف بنسبة ٢٥٪ الى ٣٠٪ عن أوربا الغربية .. والحكومة الإسرائيلية ترعى بعين الاهتمام والحب صناعة السينما .. وتقدم تسهيلات مغرية في الاقتراض والمشاركة . (ويستعرض البيان نماذج التسهيلات المالية) ::



وهكذا ... ندرك أن هذا البيان موجه الى صناع السينما الحقيقية لكي يتجهوا الى اسرائيل (جنة صناعة السينما في الشرق الأوسط) كما يطلقون على أنفسهم وهم لا يكتفون بمناخ الأرض

والشمس والهواء لمن يريد من صناع السينما .. ولكنهم يتحركون في نشاط محموم لإنتاج الأفلام الإسرائيلية داخل استوديوهاتهم ... وعقد اتفاقيات الإنتاج المشترك مع دول أوربا الغربية وكذا

بعد كل الذي نعرفه -

نتساءل في ذكاء

المال اليهودي وخططه للانتشار ؟

خطتهم

أن امريكا هي نصف العالم

وعليهم أن يتعاطوا ! على هذا الأساس



الممثل الألماني كلاوس كينسكي في فيلم [illegible]

وضريبا

شركة افلام .. داخل امريكا

وفي هذا العام .. ومن خلال سوق الافلام الضخم داخل اطار مهرجان كان السينمائي .. عرض اول انتاج للشركة السينمائية التي اسسها المنتج والمخرج الاسرائيلي «مناحم جولان» وشريكه الاسرائيلي «جلوباس».. والشركة تحمل اسم «كانون» ومقرها هوليود بالولايات المتحدة الامريكية !!

وقد كان ظهور اول انتاج سينمائي لهذه الشركة بمثابة هجوم مقصود ، لاحداث «فرقعة» إعلامية مثيرة !!

وفوجئت - دائما نفاجأ !! - بأن هذه الشركة قامت بشراء صفحات متعددة من كل المجلات السينمائية التي تصدر خلال مهرجان كان .. وبعض مجلات السينما الامريكية الذائعة الانتشار .. لتعلق على انتاجها الغزير من الافلام .. وهو انتاج ليس على الورق .. وإنما انتاج حقيقي ، تم تصويره وإعداده للعرض ، وعرض بالفعل في احدى دور السينما الانيقة التي اشترت الشركة حق العرض فيها ، خلال مدة المهرجان بأكمله !!

وقد طاردتني هذه الاعلانات طويلا .. (كل يوم نصف صفحة من كل المجلات السينمائية .. بالاضافة الى اعلان بست صفحات كاملة بالالوان من كل مجلة خلال فترة المهرجان) !! وهذه الاعلانات لا تشير اطلاقا الى اسم إسرائيل .. وانما تكتفي باسم الشركة الامريكية وعنوانها في هوليود !! .. ولكن من يدقق قليلا يكتشف الخدعة .. فصاحب الشركة اسرائيلي .. ورأس المال يهودي .. والمخرج الاشهر في هذه الشركة هو «مناحم جولان» نفسه !!

وفي حوار مع المخرج الاسرائيلي ، اجرته مجلة «الفيلم الفرنسي» قال بتواضع شديد (!!) ان شركته الصغيرة «كانون» قد انتجت في اول عام لها ثماني افلام (وهي التي عرضت في سوق مهرجان كان السينمائي) .. وان هذه الافلام الضخمة تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار (!!) .. وانه ينوي في خطة عمل الشركة للعام القادم ان ينتج عشرة افلام بميزانية تتراوح من عشرين الى ثلاثين مليون دولار (!!)

وصرح ايضا المخرج الاسرائيلي انه سيبدأ في شهر اكتوبر (اي هذا الشهر) اخراج فيلم من بطولة «انتوني كوين» والممثلة الايطالية «اورنيلا ميوتي» ..

والفيلم كوميدى عن حلم فتاة ايطالية بالذهاب الى امريكا للعمل فى السينما .. وتدعى بالفعل .. وتحاول .. ولكنها تنتهى الى بائعة سندويتشات !

وصرح أيضاً المخرج الاسرائيلى (أن شركته اتفقت أيضاً مع الممثلة سارة ميلز، والممثل اوليفر ريد، على بطولة فيلم بعنوان «عشاق ليدى شاترلى») ! وهكذا يتضح ان الشركة تسعى لاجتذاب عدد كبير من نجوم السينما العالميين ، لتصنع بها افلامها ، وتغزو الاسواق !

هل بعد هذا .. نتساءل عن ذكاء اهل اليهود .. وخطتهم للانتشار .. وتأكيد انكارهم !؟

وربما يتسنى للقارىء ان يعود الى مقالة كتبتها فى الدوحة بعدد سبتمبر ٧٩ ... انبه فيها الى ظاهرة الانتشار الاسرائيلى فى السينما العالمية والذى يتخفى تحت الستار الامريكى .. وفى هذا المقال اوردت تصريحاً صحفياً كان قد ادلى به المنتج المخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» يتحدث فيه عن ظروف تكوين شركته السينمائية فى امريكا .. ومن المهم لنا حتى نستكمل تفاصيل الصورة ان نعود الى قراءة ما قد قاله هذا المخرج الاسرائيلى فى ذلك الوقت ..

قال : «ان امريكا هى نصف العالم .. وعلينا ان نتعامل على هذا الاساس ولقد انشأنا شركة توزيع تحمل اسم كانون (ملحوظة - هذه الشركة اصبحت الان



من فيلم «طريقة فى الهرب»

لقطة من فيلم «المبعوث»



لقطات من فيلم «الزواج على طريقة فى العيد»



الممثل اوليفر ريد فى فيلم «بكون مثال وحش غليف»



لايمانع أن يعرضـــوا عيوبهم الشخصيـة لاستدرار الضحـك عليهم !

شركة إنتاج وتوزيع) .. إننا نعرف الآن كيف نصنع سينما جيدة . وهذه السينما تحتاج للانتشار .. ومن هنا اخترنا أن يكون المركز الرئيسي لشركتنا في نيويورك .. ثم افتتحنا فرعاً في لوس انجلوس .. وفي خطتنا افتتاح ١٧ فرعاً داخل المدن الرئيسية في امريكا .. ولقد اثبتنا مكانتنا في السوق العالمي .. ومن حقنا أن نقول إننا الآن في الموقف الأحسن .. بعد أن أصبح بحسبنا المال الكافي .. ومصادر أخرى كثيرة تدفعنا للانتاج والتوزيع) !!

هذا ما قاله المخرج الاسرائيلي .. وما نشرته في مقال الدوحة في العام الماضي الآن .. أصبح كل شيء واضحاً .. وواقعاً قائماً بالفعل !!

لقطات من فيلم «مهرجان الأطفال»







● من الرعب .. الى كل شيء

واستكمالاً لهذا البحث ، شاهدت بعض افلام هذه الشركة في سوق مهرجان «كان» السينمائي .. واكتشفت من خلال هذه الأفلام ، أنهم يتجنبون الخوض في دعاية مباشرة أو غير مباشرة لإسرائيل .. انهم يحاولون إبعاد أي شبهة عن هوية هذه الشركة السينمائية .. ولهذا فهم يتحركون في كل الاتجاهات التجارية المضمونة .. أفلام التسلية والضحك .. وأفلام الجنس والعري .. وأفلام الإثارة والرعب .. وأفلام غنائية موسيقية .. !!

إنها أفلام .. كما نقول في لهجتنا العامية .. جر رجل .. لجذب المتفرجين الى اسم الشركة .. [illegible] الحقيقة ..

[illegible]

[illegible] في الاعلان عن هويتهم الحقيقية .. ويسيرون ابتسامة وراء الآخر يتحسس بعض الكلام .. ووجهة نظرهم في القضايا العالمية ومقالات الهيبة وجودهم .. وحق اسرائيل .. وأمن اسرائيل .. وحلم اسرائيل .. و.. و.. !!

والمخطط معروف ..

فالمال اليهودي لا ينفق هباء .. !!

● .. «الفضائح»

وأهم افلام تلك الشركة في أول انتاج لها .. لابد وان يأتي من نصيب صاحبها المخرج الاسرائيلي «مناحم جولان» .. انه يقدم فيلماً بعنوان «الفضيحة» .. تصوير فيه الموسيقى والغناء والرقص عام ١٩٦٤ .. وقد عرض هذا الفيلم في أول عرض له داخل سوق مهرجان «كان» محاطاً بدعاية ضخمة .. وقصة الفيلم كما كتبها المخرج بنفسه .. تحكي عن هذه المؤسسة الفنية الهائلة التي يديرها رجل تمكن من القوة ليرفع نجوم الغناء الى قمة الشهرة .. بشرط أن يوقع عقد احتكار

نحـن العـرب ماذا نفعل إزاء هذه المواجهة الشرسـة

شامل ، ليس في الغناء فقط ، ولكن في أن يضع حياته كلها تحت تصرف هذه المؤسسة .. ومن يرفض هذا الشرط عليه أن يتحمل عقاب ومطاردة افراد المؤسسة !

وفي حدود هذه الفكرة نرى شاباً وفتاة يهويان الغناء .. ويرتبطان ببعضهما بقصة حب .. ويواجهان هذه المؤسسة .. الفتاة تبهرها الاغراءات والشهرة .. وتوقع على الفور عقد الاحتكار .. أما الشاب فهو يرفض هارباً من القيود .. وتستمر الاحداث داخل إطار من الموسيقى والغناء وتشكيلات الرقص .. وفي جو من الابهار الفني .. فالصوت مجسم .. والديكورات مثيرة وغريبة كما تصورها الفيلم لنهاية القرن العشرين .. وتصميمات الأزياء اكثر غرابة .. !

كل شيء في الفيلم مصنوع بخطف الابصار !!

وقد تكلف الفيلم ثمانية ملايين دولار .. كما اعلن المخرج صاحب شركة الانتاج .. !!

أما بقية الأفلام .. فلم تتجاوز أعلى ميزانية لفيلم عن ثلاثة ملايين دولار .. وهو ما تكلفه فيلم «مستر هيكل ومستر هايد» .. والعنوان محور عن «دكتور جيكل ومستر هايد» .. والقصة تتناول نفس الفكرة .. ويلعبها الممثل «اوليفر ريد» حيث يؤدي الشخصيتين : القبيحة .. والوسيمة !

ومن بين الأفلام .. نجد الممثل الالماني الشهير «كلاوس كينسكي» يلعب بطولة فيلم «جريمة قتل بالبريد» وهو تقليد لنوعية أفلام الاثارة التي برع فيها «هيتشكوك» .

ويبلغ من ذكاء الشركة .. والرغبة في الانتشار ، ومحاولة لضم الفنانين للعمل معها .. أنها أوكلت مهمة إخراج أحد أفلامها .. الى مخرجة تلفزيون في لندن «جانيت سوموت» وأعطتها الفرصة لتخرج أول فيلم سينمائي في حياتها .. وهكذا قدموا فيلم «المبعوث» الذي صور بالكامل في انجلترا .. وهو من نوعية افلام الرعب .. ولقد أكدت الأرقام أن هذا الفيلم حقق ايرادات بلغت خمسة ملايين دولار خلال ١٢ اسبوعاً في الولايات المتحدة فقط !

الـزواج عـلى طـريقة تـل ابيب !

لقطات من فيلم «البحر الأخير»





وهكذا يتحركون خارج اسرائيل.

أما في داخل اسرائيل .. فمركز الفيلم الإسرائيلي يواصل انتاج الأفلام بايقاع لا يهدأ .. ولكن نوعية الأفلام هذا العام أقل مستوى من الأعوام الماضية .. ربما لغياب العقل الأول المخرج «مناحم جولان» في مهمة خارج البلاد !!

البحر الأخير !

ومن أبرز الأفلام التي أعلن مركز الفيلم الإسرائيلي عن افتتاحها فيلم «البحر الأخير» وهو فيلم تسجيلي طويل يقدم قصة معاناة اليهود الذين تركوا أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية .. ووجدوا طريقهم إلى أرض اسرائيل .. والفيلم تجميع لأفلام تسجيلية قصيرة صورت في حينها لهروب اليهود من معسكرات النازي وكيف تخطوا الحواجز الكثيرة وليعبروا في قوارب صغيرة عبر البحر الأبيض المتوسط حتى وصلوا الى شواطئ «أرض الميعاد» !!!

واستخدم الفيلم تسجيلات صوتية لأحاديث مع ١٣٠ شخصا من الذين مروا بهذه الرحلة !

ومن ذكريات الأمس .. الى اسرائيل المستقبل .. من خلال فيلم تسجيلي آخر عن «مهرجان الأطفال» وهو نفس عنوان الفيلم حيث يقدم أطفال اسرائيل وهم يستعدون للمهرجان السنوي لأغاني الأطفال والذي يقام في تل أبيب .. وتستعد له كل بيوت اسرائيل فيما يشبه العيد السنوي حيث تجري المسابقات لاختيار الأطفال الذين سيظهرون في الحفل الختامي للمهرجان.

ويسجل الفيلم رحلة الأطفال الى المهرجان خلال العام [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في البيت [illegible] عن العمق [illegible] في اسرائيل ؟!

على طريقة تل ابيب

أما أغرب الأفلام الإسرائيلية الحديثة .. فهو ذلك الفيلم المأخوذ عن مسرحية المخرج «فوليمر» .. والذي أعطوه اسم «الزواج على طريقة تل ابيب» .. وغرابة الفيلم لا تأتي من مستواه الفني .. فالمستوى ضعيف جدا .. ولكن الغرابة في تقديمه للشخصية اليهودي المحلل فهم يختارون قصة الفيلم .. هذا الأب التاجر الذي يجمع القرش فوق القرش ويخبئ نقوده داخل أحد الأرغفة في دكانه .. ومتعته الكبرى أن يخرج النقود ليداعبها بفرح ويغني لها ويعدها كل يوم .. ثم يعيدها مرة أخرى الى مكانها وهو يتلفت حوله في ذعر خوفا من أن يراه أحد .. ولكن نجس صانع القهوة والشاي الذي يأخذ مكانه بجوار دكانه .. يلاحظ ذات مرة هذا المشهد .. ولا ينساه !

فكيف ينسى اليهودي الأصيل منظر النقود ؟!!

وهذا التاجر شارف الخمسين من عمره .. أرمل .. وله ابنة وابن .. الابنة لها عشيق تستقبله في البيت .. والابن عاطل يقضي كل نهاره وليله داخل صالة لعب القمار وبجواره فتاته اللعوب التي وعدها كثيرا بالزواج.

وهكذا يعيش كل واحد في عالمه الخاص .. ويفكر الأب التاجر في الزواج من جديد .. ويتصل بالخاطبة لتطلب منها عروسا تقبل الزواج منه ويشترط أن تكون غير طامعة في نقوده ..!

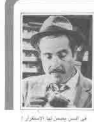
ويعلم صانع القهوة برغبة جاره التاجر .. ويحكي لابنه عن مساعي أبيه مع الخاطبة .. فيفكر الابن للحصول على ثروة أبيه أن يدفع صديقته الفتاة اللعوب لكي تغير من ملابسها وشكلها وأن تبدو كتلميذة المدارس .. خجولة ورقيقة .. ثم تعرض نفسها على الخاطبة وتبدي رغبتها في الزواج من رجل كبير





حتى الممثل الكبير «لورانس اوليفيه» البسوه ملابسهم .. في الفيلم الجديد «مغني الجاز»





في السن يحسن لها الاستقرار !

وتتم الخطة .. ويسرع الخاطب بالاتصال بالاب التاجر الذي يطلب مشاهدة العروس في احدى الحدائق حتى لا تتورط في فوتيه الى دفعه مهر .. وعندما تحضر العروس بصحبتها مع الخاطبة التي تعرفه ويسعد التاجر باستقبالها .. فيشتري الزهور من حديقة جاره .. ويوحي ابنه الا يتمادى في الكرم مع ضيوفه .. حتى تتجاوز العروس عن هذا !!

وتاتي العروس مع الخاطبة .. ويسألها التاجر اذا كانت تريد ان تشرب شيئا .. فترد العروس بخجلها المصطنع انها لا تريد شيئا .. وهنا يتهلل وجه التاجر فرحا ويود لو اختار لنفسه مقاعد او شرائح .. وانه سيكون سعيدا جدا لو وافقته على هذا الندا (:)

وبالطبع تبدى العروس ابنته موافقته حتى يتم التعاقد .. وتتوالى اللقاءات الجافة والتي يؤكد فيها التاجر حرصه الشديد على المال .. حتى تورطه الخاطبة ان يقدم لها شيئا !! فيخرج من جيبه خاتما من الماس .. وتطير العروس فرحا من هذه المفاجأة .. وتسرع الفتاة صديقتها ابن التاجر الذي ما ان يلمح الخاتم حتى يخطفه من اصبعها .. في نفس اللحظة التي يراقب فيها التاجر خطر فريسته الثمينة .. ويكتشف علاقة ابنه بها فيدور في شجار .. بينما الابن يعرض الخاتم للبيع .. ويصاب .. خاتم

زجاجي لا يساوي شيئا !!

ويتزوج الابن بالفتاة ويهديها الخاتم كهدية زواج من حديقتها ويرى مدينته الفقيرة التي تعيشها .. ويرضى الاب ... [illegible]

[illegible]

ابنها النقد الى مشاع تقع عليه من ينهار ويطلب موت ابنه .. ويحاول جاره صانع القهوة ان يهدئه فالصحة اهم من النقود .. ويظل الاب يبكي ويتململ وهو يؤكد بحسرة ان النقود عنده اهم من الصحة !! .. ويعلن في حالة يأس انه مستعد ان يفعل اي شيء في مقابل اعادة نقوده اليه .. وامام هذا الاعلان يتقدم الابن بشروطه .. زواجه من صديقته .. وزواج اخته من صديقها .. في مقابل اعادة النقود .. ويرفض الاب التاجر على الفور .. ويستمر نقاشه مع عودة النقود اليه .. ولا يجد يجاوره الا الخاطبة التي يعرض عليها الزواج .. فتوافق على الفور ! فهل مفيده اكثر منها !!!

وهكذا ينتهي الفيلم بالزواج الجماعي

واذا كان الفيلم قد عرض لبعض صور الضعف في البيوت الاسرائيلية .. وانحرافات الشباب .. الا انه كان صريحا جدا في عرض حالة الاب البخيل .. وكانوا يؤكد على الصفة العقلية لبخل اليهود وحرصهم البخيل على النقود .. ويستخدمهم ان يحفظوا اي شيء ولا

يفقدون شيئا واحدا من ثروتهم !!

(الذكاء اليهودي .. بل الخبث والدهاء .. انهم يعرضون عيوبهم الشخصية ولا يستنكرون ان نضحك منها .. او نضحك عليهم .. بل يروجون للنكتة .. ويدعوننا للضحك كما شئنا !!

ويضحك العالم كما يشاء على بخل اليهود ..

اما اليهود انفسهم .. فهم يستثمرون هذا لصالحهم .. ليتفرغوا لما هو اهم من مسائل البخل !!

وهكذا يعملون

وهكذا يواجهون العالم ..

امتد تاثيرهم عبر الصحافة الاوربية والامريكية .. ثم سيطروا على شركات التلفزيون .. وتدخلوا في رؤوس اموال شركات السينما الكبرى .. والان يشاركون في الافلام مع دول كثيرة في العالم .. وينتجون الافلام داخل اسرائيل .. وداخل امريكا .

وبعد .. ايها السادة الكرام اصحاب الثروات العربية .. ماذا انتم فاعلون في هذه المواجهة الشرسة ؟!

هل ننتظر اكثر ؟!

هل نواصل دهشتنا وحسرتنا ؟!

ان الامر يبدو هكذا .. للاسف !!

رءوف توفيق

الملاحظ والمهندس



مسرحية جديدة من فصل واحد

تأليف علي سالم

المكان : استراحة الغراب بالقرب من احد المصانع الكبيرة في صحراء نجع حمادي .. الوقت : بعد الغروب بقليل ..

الغرفة اثاثها بسيط ، سريران صغيران ، قطعة موبيليا تشبه التوليه ، دولاب صغير ، مائدة صغيرة عليها صينية صغيرة بها قلة ماء ، في الحائط مثبت حوض صغير فوقه صنبور صغير ـ مقعدان صغيران .

يدخل المهندس وهو رجل تجاوز الاربعين بقليل ، ويتأمل الغرفة .. من نظراته نعرف انه يدخل الغرفة للمرة الاولى في حياته يحمل حقيبة كبيرة ويضع إفتتاف ... يخرج من الغرفة ثم يعود ومعه عدة كراتين وحقيبة اخرى ... يختار احد السريرين ويضع حاجياته فوقه وحوله ويقترب منه .. يخلع جاكتته ويلقيها على السرير متأملا الغرفة ، يتجه بسرعة ناحية القلة ويقترب بها من فمه ... يتردد .. يعيدها مكانها .. يفتح الصنبور .. يتأمل المياه .. يغلق الصنبور .. يخرج الترمس من بين حاجياته ويصب لنفسه كوبا يشربه .. ثم يعود ليضعه على السرير .. يشعل سيجارة ويعود لتأمل الغرفة .

يدخل الملاحظ ، وهو من النوع الذي لايمكن تحديد عمره بالضبط ، اشيب الشعر ، خفيف الحركة من تلك النوع الباسم ابتسامة ترحيب دائمة ، ينظر للغرفة منتشيا ...

الملاحظ: اهلا .. اهلا .. اهلا وسهلا .. النبي نورت (ويقترب من المهندس كأنه يريد ان يعانقه ، المهندس يصافحه بترحيب خفيف)

المهندس : اهلا وسهلا .

الملاحظ: حمد الله على السلامة .. انا آسف جدا .. الاشارة وصلت لنا متأخرة .. سير الملاقات قال يروح .. فرحت بنفس المحطة .. للاسف حضرتك كنت مشيت

المهندس : واحد وصلني بعربيته .. واحد من ركاب القطر ، كانت بتستناه عربيته امر يوصلني .

الملاحظ: الناس هنا طيبين جدا .. اي مهندس جديد يوصل للمصنع .. بنعمل له استقبالة في المحطة .. كل العمال اللي نولوك في الورديه بيطلع استقباله .. مفققش .. مش ملاحظ ابدا انك غريب ..

المهندس : واضح إنك هنا من مدة طويلة ..

الملاحظ: من ايام ماكانت المنطقة دي جبل ..

المهندس : مهندس قديم ؟ ..

الملاحظ: ملاحظ .. ملاحظ الملاحظات .. معلوم صنايعي قديم .. [illegible]

المهندس : [illegible] ([illegible]) .. وجودي وطنك يزعجك ؟

الملاحظ: اعوذ بالله .. ارجوك .. انا احب الناس قوي .. وقالمهندس (ابتسامة ارتياح) .. وانا تحت امرك .. انا وام ابراهيم ..

المهندس : (ينظر متسائلا) .. ام ابراهيم .. ؟

الملاحظ: ست المطبخ في استراحة الغراب من يفطه ندري .. بس ست طيبة وخدومة جدا .. إذا ماحبيتش تتغدى في المطعم بتاع المصنع .. مع إنهم بيعملوا اكل كويس قوي .. ممكن ام ابراهيم تعمل لنا اللي نحبه .. إفرد والتصرف كانك في بيتك .

المهندس : متشكر قوي .. انا كمان احب الناس قوي .. واحب العشرة .. وإن كان تفكير طبيعتي بتاعه .. انا آسف إذا كنت سلمت عليك بفتور شوية .

الملاحظ: اعوذ بالله .. السفر طويل ومتعب .. والانسان لما بيروح مكان جديد بيبقى متخوف ومن الناس اللي فيه .. اطمن .. اطمن قوي .

(يبدأ الحماس يدب في اوصال المهندس)

المهندس : الاوضة دي مش بطمنها روعة .

الملاحظ: يالله ياخويا .. إيدي على كتافك .. انا تعني اعملها من زمان (يضحك) .. بس بصراحة ماعرفش تبقى روعة إزاي

المهندس : انا اعـرف ..

الملاحظ: إزاي .. ؟

المهندس : الحيطان تتلزق ورق .. تاخد وش زيت وبعدين تتلزق ورق .. الارض تتفرش موكيت .. الحوض ده يتغير .. يبقى ستانلس ستيل .. بتشرب من الحنفية دي ؟

الملاحظ: لا .. من القلة دي ..

المهندس : لكن المية بتجيبها من الحنفية دي ؟

الملاحظ: طبعـــا ..

(المهندس يخرج من حقيبة صغيرة ، جهاز صغيرا يقوم بتركيبه على الصنبور ثم يفتحه قليلا ويراقب المياه التي تنزل منه)

المهندس : ده فلتر .. ميكروفلت .. بيصفي الميه .. هتشوف الشوائب بالوقت ..

(بعد لحظات يخلع الفلتر ثم يلقيه على قطعة ورق بيضاء فوق المائدة) .

الملاحظ: (يتأمل ابيود .. كل الطين ده في شوية المايه دول !)

المهندس : ابدا شفت بنفسك ..

الملاحظ: يعني انا من السنين اللي فاتت شربت كمية طين تعمل بيت في بلدنا .. هاهاها

(المهندس لا يستجيب للدعابة .. وجهه جاد تماما ، ويعيد تركيب الفلتر ويملأ كوب ماء ويناوله للملاحظ)

الملاحظ: (يتسلمه) .. طعمها طعم .. عندي الترابع تتشرب بالفلتر .. وانا اشرب من القلة عادي .. خلاص .. جسمي تعود .. بقيت مدمن لو شربت مايه نقيه ممكن يحصل لي حاجة .. ها ها ..

(يتناول القلة ويشرب منها بتلذذ واضح)

(المهندس يقترب بحذر شديد من النافذة وكأن شخصا ما يترصده من خارجها ، الملاحظ يراقبه مدهشة شديدة)

الملاحظ: المنظر جميل .. إيه رايك ؟

المهندس : المنطقة دي بتزرع قصب ؟



الملاحـظ: ايوه ..
المهندس : يبقى حضرتك هنا ستارة تقيلـة ..
الملاحـظ: تركب ستارة .. بس ليه تقيلـة ؟
المهندس : اى حد يستخبى فى القصب .. ممكن يصطاد حد فينا .

(الملاحظ تستولى عليه دهشة مفاجئة)

الملاحـظ: ماحصلتش قبل كده ....
المهندس : اللى ماحصلش قبل كده ، ممكن يحصل بعد كده ..
الملاحـظ: حضرتك ولا مؤاخذة .. عليك دم ..؟... قصدى مطلوب تار ؟
المهندس : لا ...
الملاحـظ: ولا انا .. إيه اللى يخليك تفكر إن حد يرقد لنا فى القصب ويصطادنا ..؟
المهندس : الدنيا فيه ناس كتير .. واحد فيهم يكون وراه تار .. ييجى حد يصطاده ، تيجى طلقة فينا على سبيل الخطأ
الملاحـظ: ده احتمال بعيد قوى
المهندس : برافو عليك .. احتمال بعيد .. بس قائم
الملاحـظ: لو ركبنا ستارة تقيلة ، حتبقى الجو حار جدا !
المهندس : ليها حل تانى .. انا عامل حسابى لكل الاحتمالات ..

(يخرج جهاز تكييف صغير متنقل ، يوصلـه بفيشـة الكهربـاء)

المهندس : انا عامل حساب كل حاجـه .. كل الاحتمالات .
(يخرج مسدسا)

الملاحـظ: (بتوتر) .. إيه ده ؟
المهندس : ده مسدس بتاعى .. مرخص .. بتعرف تضرب نار ؟
الملاحـظ: لا ...
المهندس : ابقى اتعلم ..
تسليح شخصى .. اهم حاجة بالنسبة للانسان : هى امنه الشخصى .. بين المصنع وبين المساكن اللى كيلو .. ممكن حد يطلع على .
الملاحـظ: ماعتقدش حد يطلع على حد .. الكلام ده كان زمان قوى ... قبل المصنع مايتبنى والاتنين كيلو اللى بتقول عليهم : دائما مليانين ناس .
المهندس : (جدا وعادنا) .. حاجز التأخر فى المصنع ، وارجع بالليل لوحدى .. فيما يتعلق بأمنى الشخصى .. مالفرض أسيب المسائل سداح مداح .. لازم أعمل حساب كل الاحتمالات
الملاحـظ: (يحدجه ساخرا لحظة تقطرابه) .. عندك حق

(المهندس يخرج رشاشا صغيرا من حقيبة اخرى ويتقلد فى معصمه ، ويسوى فرع كمسارى للملاحظ)

المهندس : مفاطفش .. تعجب تعمل الارضية موكيت والاسجاد عندى ... ولا متسيع ارضية .. فيه مشمعات للارضية شكلها جميل جدا .. والترابيزة دية تتغير .. نجيب واحده اشيك ونحط عليها زهرية .. ونحط فيها ورد طبيعى
الملاحـظ: (صامت .. صوته لايكاد يخرج) .. ده .. ده رشـاش ؟
المهندس : ايوه .. انا اللى عامله .
الملاحـظ: بحق وحقيق ..؟
المهندس : طبعا ..
الملاحـظ: يعنى بيرش ..؟ قصدى .. بيضرب .. ويطلع رصاص ويمو ت ؟
المهندس : طبعا .. مرخص (لحظات صمت ثم يتساءل برقة) .. فيه جنينا مشتل زهور ؟ اصل ماحبش الورد الصناعى (يشم هواء الغرفة) .. إيه رأيك .. الجو فى الاوضة بقى لطف .. هو صحيح جهاز التكييف صغير .. بس فعـال .

(المهندس يسعل ثم يتنحنح بشدة كما لو أن هناك شيئا يسد زوره) .

الملاحـظ: حضرتك هتروح المصنع ومعاك الرشاش والمسدس ؟ .
المهندس : طبعا لا .. هيبقى منظرى بايخ قوى .. هاكتفى بالمسدس .

الملاحـظ: امال الرشاش هتعمل بيه إيه ؟ ..
المهندس : لو طلع على ...
الملاحـظ: (يقاطعه بعصبية) .. ماانت معاك المسدس .. احنا اتفقنا ، لوطلع عليك حد .. هتستخدم المسدس .
المهندس : ده لو طلع على واحد او اتنين .. لو طلع اكثر من كده .. مالفرض اواجههم بالمسدس .
الملاحـظ: .. اه .. عصابة يعنى .. والعصابة دى هاتطلع عليك فين ..؟
المهندس : الاسبوع اللى فات عصابة هاجمت قطر الصعيد .

(الملاحـظ لايدرى ماذا يقول)

الملاحـظ: يعنى الرشاش ده هتستخدمه فى حالة السفر ..
المهندس : او الحالات المشابهة .. لما اكون بعيد عن هنا .. فى رحلة صيد مثلا .. قلت لك فيما يتعلق بامنى الشخصى ... مالفرض اسيب حاجة للظروف .. انا ما احبش المفاجآت .

(يخرج بندقية طويلة)

الملاحـظ: وده ايه كمان .. مدفع مضاد للطيارات ولا غواصة
المهندس : لا .. دى بندقية خرطوش علشان الصيد .
الملاحـظ: الحمد لله .. اخيرا لقينا حاجة مالهاش علاقة بامنك الشخصى ..
المهندس : بس ليها استخدام تانى .. بحركة صغيرة ممكن يتركب لها تليسكوب وتضرب رصاص عليه .
الملاحـظ: الله يطمنك .. وطبعا تلاقيك عامل حسابك على الاحتمالات التانية ..
المهندس : زى إيـه ..؟
الملاحـظ: (وكانه يريد إقزاعه) .. يعنى .. فيه احتمالات كتير قوى
المهندس : زى إيـه ؟
الملاحـظ: هاكتشفها بنفسك ..
المهندس : (وقد بدا يضطرب .. ارجوك الكلام قل لى انت .. وانى لله هنا كتير وعارف كل

الملاحظ والمهندس

حاجة .. إيه الإحتمالات الكافية ! .. فتخلصش على حاجة .. إحنا أصدقاء وبلوقت إحنا نعل ..

الملاحظ: هو احتمل بعد شوية .. يعني ممكن وانت واجع نتقليل من المصنع

المهندس: قوه ..

الملاحظ: بطيع عليك الأسطول السادس .. الفرقة الأمريكية المحمولة جوا .. الجندي الروسي يدخل عليك بالمدرعات

المهندس: لا انت بتهور .. دي فرضيات خالصة .. قل لي إنت متصور إني مطلع شوية ؟ .

الملاحظ: متطلع قلبي .. كتير قوي .

المهندس: إنت شخص مهمل .. سايب أمك التخمين ..

الملاحظ: ما تسيبها على ربنا سبحانه وتعالى .. وربنا هو المنتظر .

المهندس: هو ده اللي أنا عاوزه بالضبط .
أحسن تمشي ضد كل الإحتمالات ..
(المهندس الملاحظ على ربنا والأمين من التفسير)

الملاحظ: حسبي ..

(المهندس ...)

المهندس: ...

الملاحظ: أيوه ..

المهندس: ... شك قوي .. ...

(يفتح الدولاب .. يلقى عليه نظرات سريعة .. يفتح أدراج الدولاب .. الملاحظ يراقبه وقد بدا ... أنه مقبل على مناقب غامضة)

الملاحظ: (يحاول الإحتفاظ برقة الترغيب في صوته) .. ممكن نقسم الأدراج .. حضرتك تاخد درجين .. وأنا درجين .. أو خد تلاتة وأنا واحد .. أو خدهم كلهم

(المهندس يخرج شوكة وسكين وملعقة)

المهندس: تنقل بالشوكة والسكينة .. ؟

الملاحظ: أحيانا ..

المهندس: إنت إنسان متحضر ..

الملاحظ: متشكر ..

المهندس: عاوزين نرتب كل حاجة .. الشوك والسكاكين نشحها في الدرج الأولاني

الملاحظ: موافق .. مش حاختلف بقى يا مهندس

المهندس: بس حضرتك عاوز زيادة .. يبقى فيه مفتاحين .. مفتاح معاك ومفتاح معايا .. أي حد يحتاج السكينة .. يبقى لازم الاتنين نفتح الدرج سوا ..

(لحظات صمت طويلة)

الملاحظ: مقبل داخل .. في حل أسهل .. أقو ..

(يمسك بالسكاكين والشوك والملاعق ويلقي بها من النافذة)

الملاحظ: إرتحت دلوقت .. ؟

المهندس: ارتحت ؟

الملاحظ: هازعل من إيه .. حضرتك متصور إني مطر أقوم عليك بالليل أذبحك بالسكينة ولا بالشوكة ..

المهندس: حصلت قبل كده ..

الملاحظ: فين ؟

المهندس: في قرية صغيرة في فيلادلفيا .. في سبتمبر سنة ١٩٣٣ (يخرج كلها) والزجاج أقو .. أفراد بتخف ..

الملاحظ: والمولى ليه .. ؟ فيه بيني وبينك حاجة ؟

المهندس: ممكن شيئاً مش وبعدين يتزايد



استيباه .. ويتحول لخف .. خف يمشي فيه .. ويشيل عطله)
الملاحظ: (باستياء شديد) .. هستاء منه إيه..!
المهندس: بدهشة .. انت موش مستاء على ثبوتك
الملاحظ: بصراحة .. انا مستاء فعلا .. بس استياء خفيف .. خفيف جدا !
المهندس: الحقد اللي بيدفع للقتل .. بيبقى في الأول استياء خفيف جدا

(يخرج خفا آخر)

المهندس: اقرا صفحة ١٠١ السطر العاشر
الملاحظ: انا اسف جدا .. فقدت اعصابي بدون مبرر .. ننسى كل التريقات .. نبتدي من جديد .. كل إنسان حر في الطريقة اللي عاوز يعيش بيها .. حضرتك حر..
المهندس: تكره إني احمي نفسي ؟!
الملاحظ: لا طبعا..

المهندس: خلاص ملاحظتش.
الملاحظ: (يحاول استعادة مرحه) .. صدقني موش متضايق .. انا عندي كوتشينة .. كوتشينة ورق .. بغطي مقعمعش يتعمل بيها حاجة غير انه يتلعب بيها هيه .
مقعمل في الاوضة إيه بقى .. ؟..
المهندس: موش فاهم
الملاحظ: لا انا باهزر
المهندس: مافيش الهزار
الملاحظ: انا اسف .. مش باهزر .. بطلت ..
المهندس: الموقف مايحتملش نكت ..
الملاحظ: هي مش نكت قوي يعني .. هي مزح .. يعني قصدي اقول إن الاوضة ناقصها شوية حاجات
المهندس: فعلا .. مقعمل في الحيطة دي حاجة بسيطة .. مش رفوف
الملاحظ: جميل

المهندس: منظرة بالليل !
الملاحظ: طبعـــا .
المهندس: معايا تجاويزات صغيرة .. هحطلك واحدة جنب السرير بتاعك وواحدة جنب السرير بتاعي .. مافيش حد هايزعج التاني .
الملاحظ: جميل .. هاتنقذني بقى ..

(المهندس يخرج بضعة اطباق صغيرة من احــد الادراج ..)

المهندس: الاطباق دي بتاعتك ..
الملاحظ: انا لي طبق واحد .. الباقي بتوع أم ابراهيم عهدة الاستراحـــة .
المهندس: اطباق رزينة .. واخده مكان على الحائط .
(الملاحظ يستبعد منها طبقا واحدا ويحملها



الملاحظ والمهندس

ويخرج بها من الغرفة ثم يعود على الفور)

الملاحظ : حطيتهم بره في الصالة .. الصبح تاخدهم .

(المهندس يمسك بلافتة مسكة معينة كما لو كان يجرب انها من الممكن ان تصلح كسلاح .. والملاحظ يأخذها على الفور)

الملاحظ : انا شايف كمان إن اللافتة شكلها مش حلو .. يعني متنفعش على شكل الاوضة ..

(يخرجها خارج الغرفة ثم يعود)

المهندس : ايه ثلاجة صغيرة وشيك قوي .. تحطها .. هاتوصلنا بكره .. مش هنحتاج للثلاجة .

(يخرج الطبق الذي سبق ان اخفاه الملاحظ)

المهندس : الطبق ده إيـــه ؟
الملاحظ : ده بتاعي ...
المهندس : محتاجه قوي ..؟
الملاحظ : مش محتاجه قوي ... بس معاز بيه قـوي .
المهندس : بتستعملـه ..؟
الملاحظ : احيانا ..
المهندس : فيه اطباق ميلامين اجمل بكتير .. منقوشة .. وشكلها حلو .. وتعيش سنين مايجرالهاش حاجة ... ده ممكن يقع يتكسر .

(يختطف منه الطبق في رقة بعد أن خبأه في دولابـــه)

الملاحظ : أرجوك .. الطبق ده عزيز علي قوي .
المهندس : طبق عــادي .. مش تحفة يعني .

(يحاول صرفه عن التفكير في الطبق)

الملاحظ : ذكريات .. (يضع الطبق تحت السرير) ... ذكريات ... من عشر سنين رحت البيت لقيت مراتي خدت العفش كله وسابت لي الطبق ده .. هاها .. احتفظت بيه (رجوك .. سيبهولي .. انا والله على كل طلباتك علشان امتك الشخصي .. الطبق ده مضايقك في إيـــه ..؟ (يحاول صرفه عن التفكير في الطبق) .. جهاز التكييف ده خرافة ... الاودة تحولت الى مصيف (يشم هــواء الغرفـة متنعشـــــا) .. الله بالطريقة دي الواحد لازم

ينعس بالليل وهو نايم .. بس ارجوك اوعى تقول لحد من زمايلنا ... كلهم مايجوا يسهروا عندنا هنا ..

(المهندس ينظر له طويلا ... نظرة جامدة)

الملاحظ : إيـه ..؟
المهندس : حطيت الطبق تحت السرير ليـــه ..
الملاحظ : ممكن تحطه في اي حته تانيـة .. مش مايقول لا ..
المهندس : (بشك) ... حطيته تحت السرير علشان يبقى في متناول إيدك .
الملاحظ : (وقد فقد أعصابه تماما) .. مش ممكن .. مستحيل .. ده زي مايكون بيقول موتني من فضلك .. ودلوقت انا بدأت افهم بعض الناس بيتحولوا لقتلة إزاي .. انه حاجة ... ده ممكن ؟ .. ده طبق .. ده طبق .. طبق مسكين .. طبق بريء .
المهندس : (هو الطبق البريء ده .. ممكن في لحظة يتحول لسلاح قاتل .
الملاحظ (مهتاجا) .. إزاي .. المعنى .. افهم إزاي
(قبل ان يفهم الملاحظ .. المهندس بسرعة شديدة يسحب الطبق من تحت السرير ويشهره ويخبطه بسقف [illegible])

المهندس : ده بفرعش .. ويخرج مشام .. المقال اقرا .. صفحة ٢٨ واحد بيوم اتقتل في مدن فرانسيسكو .. فــي يونيو ١٩٠٠ .
الملاحظ : (ماشيا في تعاسة شديدة) .. كل ممكن .. افهم من غير ماتكمله
المهندس : انا آسف .

(الملاحظ يجلس راسه بين كفيه وقد استولت عليه حالة شديدة من التعاسة)

المهندس : (محاولا التودد إليه) .. تحب نعمل في الاوضة إيه كمان .. مافتش الارضية حتى موكيت ولا شمع ؟

(الملاحظ لايرد .. يمسك ببقايا الطبق .. يحاول ان يضمها الى بعضها البعض)

الملاحظ : (رنة غريبة في صوته .. يهمس فـي حزن) ... سعدت جدا لما عرفت إنك هاتشتغل معانا .. وسعدت اكتر لما قالوا إنك هاتعيش معانا .. قلت يمكن اتعلم منك حاجة .. حاولت اعرف عنك كل حاجة .. فيه بعض الناس هنـا تعرفك .. سالت مدير شئون العاملين .. إداني الملف بتاعك اللي وصل قبلك .. قريته .. متفوق .. واتضح إنك متفوق

.. جدا .. حريص .. عندك شعور قوي جدا بالاهمية ... لكن الظاهر الآن إن المشاعر مالهاش اي اهمية عندك

المهندس : بدأت تكرهني ..
الملاحظ : .. طبعا لازم تفهم نفسك كده .. علشان ضميرك يستريح .. إحساس مريـح جدا إن الاخرين بيكرهوك .. علشان تكرههم وانت مستريح .. وبعدين تدي لنفسك الحق .. انك تعتدي عليهم .. انت واقف تتدي في الشارع .... بالسلاح ... إنت ياللي بتقل واقف في البلكونة .. بتكرهني ؟ .. اوعى تكرهني .. متهيالي إنك بتكرهني ... .. هه .. بتقول إيه ؟ .. بتحبني ..؟ .. كدب ... غير حقيقي .. انت بتكرهني لدرجة الحب .. اسمح لي يافلانهندس اضايقك شوية .. انـا باكرهك ..

(الملاحظ يمد يده تحت المخدة ليحضر شيئا ، والمهندس هو الاخر يسحب مسدسه من تحت المخـــــدة)

الملاحظ : تاخد سيجارة ..؟ ..
المهندس : شكرا .

(يعيد المسدس تحت المخدة)

المهندس : إذا كنت قررت تتلف بتاعي .. يبقى لازم تخفيلي ... طول عمري وانا باقابل متاعب ...
الملاحظ : الظاهر انك سعيد بيها جدا .. كل الناس ادمين قابلت وهتقابل نفس المتاعب .. بس حضرتك حاطط نفسك فوق البشر .. وهي دي مشكلتك .. من إنانك .
المهندس : هاتروح فين ؟ ..
الملاحظ : هاخرج اتمشى اشم شوية هوا ..
المهندس : اخرج معـاك ..
الملاحظ : لا ..
المهندس : ليـه ؟ ..
الملاحظ : لانك مش عاوز تلمني .. إنت متصور إني هاخرج اتآمر عليك ..
المهندس : احتمـال ..
الملاحظ : يعني إيه ... ؟ مش من حقي اخرج لوحدي ..؟ .. انا محبوس هنا ..؟ ..
المهندس : لا .. بس ابقى عارف إنت رايح فين .. ده حقي وحقك ... من حقك إنت كمان تعرف انا رايح فين وباعمل إيه .. إحنا عايشين في سكن واحد ... يعني لازم .. تشوف كل حقوقي .. وحتلاقي حق نفسها كل حقوقك .. انا غلطان ؟ ..
الملاحظ : لا طبعا .. فيه حد يبقى معاه سلاح التسليح ده كله ويبقى غلطان ... ؟ ..

(يقترب من النافذة ويفتحها ثم يصرخ بأعلى صوتـــه ..)

الملاحـــظ: لو ابراهـــيم ...

(لا احد يرد)

المهندس : الظاهر نو ما تقيل قـــوى .. عـــاوز منها حاجة ...؟

الملاحـــظ: كنت عاوزها تحضر لنا حاجات معينة على الفطار

المهندس : ممكن تبقى تركب عندها جرس بزراير .. زرار عندك وزرار عندى ... لما تحتاج لها تضرب لها جرس .

(الملاحظ يأخذ فى خلع ملابسه وارتداء البيجامـــا)

الملاحـــظ: تحب تركب فى الاوضة ستارة فــى النص علشان تحس بحريتك فى النص بتاعك

(المهندس هو الاخر يبدأ فى خلع حذائه)

المهندس : لا طبعا .. مش عاوزين نحس بالانفصال عن بعض .. الشعـــور بالغربة والانفصال خطر .

الملاحـــظ: انا بقول يعنى علشان تاخد حريتك .

المهندس : انت لما هتفهمنى حتحبنى اوى ..

الملاحـــظ: إن شاء الله ... تصبح على خير ..

المهندس : وانت من اهله ..

(الملاحـــظ يلتفت لشىء ما فى اخر الغرفة ، بهدوء ينحنى ويتناول شبشبا ثم يقفز قفزة طويلة ويضرب شيئا .. فى نفـــس اللحظة يكون المهندس قد اختطـــف سمـــة وشهره فى اتجاه الملاحظ وهو يطلق صيحة عاليـــة ..)

المهندس : إيه ده ... ؟

الملاحـــظ: عقربـــه ..

(المهندس يقترب منها بحذر ومعه سمـــه)

المهندس : ميتـــة ... ؟

الملاحـــظ: قوى .. ميتة جدا ..

المهندس : يعنى ، لو قرصت حد .. تموته ...؟

الملاحـــظ: فى دقايق .. بس مش اى حد .. اهل المنطقة هنا واخدين عليها .. انـــا شخصيا اتلدغت منها كتير ..

(لحظة صمت بينما المهندس يحدق فى جثـــة العقربة فى رعب) .. حاجة غريبة .. اخر مرة ظهرت من خمس سنتين .. جت إزاى دى ؟ .. (لحظة) .. اه جهاز التكييف ..

المهندس : جهاز التكييف ؟

الملاحـــظ: ده التنفس الوحيد .. وفى الاوضة [illegible] .. [illegible] على الرطوبة ..

(المهندس يخلع قبضة جهاز التكييف على الفور)

الملاحـــظ: [illegible] .. بالعكس .. [illegible] نزرع [illegible] [illegible]

(يفتح النافذة ، يشعل عود ثقاب ثم يحرق جثة العقربة ، يتناولها بورقة ثم يلقي بها من النافذة)

المهندس : والواحد يدافع عن نفسه إزاى ... ؟

الملاحـــظ: زى ما حضرتك شفت .. بالشبشب

المهندس : بالشبشب ...؟

الملاحـــظ: او بالجزمة .. او بالقلب دى الاسلحة الفعالـــة ..

المهندس : الكلام ده لو شفتها .. معاك مشوفوهاش .. واللدغ ..

الملاحـــظ: احتمال .. ترجع بقى لعلم الاحتمالات اللى كنت بتتكلم عنـــه ..

المهندس : ايـــوه ..

الملاحـــظ: عليك حريص .. قبل ما تلبس الجزمة لازم تفحصها .. قبل ما تنام وتفحص الملاية وتشوف تحت السرير وتحت المخدة .. والصبح تفلى الحوض كويس وحوالين الحنفية .. وربك هـو الستار .

المهندس : مفيش فى مكتبة المصنع مراجـــع ودراسات عن كيفية مقاومتهـــا ؟

الملاحـــظ: المصل موجود فى الوحدة العلاجية .. على بعد سته كيلو ..

المهندس : وعلى ما الواحد يروح الوحدة الصحية يكون خلص ..

الملاحـــظ: (وهو يتثاءب) .. احتمال .. بس زى ما انت لحضرتك .. ربك هو الستار .

المهندس : لازم نعمل هنا اجزاخانة .. ونحط فيها مصل ..

الملاحـــظ: (وقد بدأ يستولى عليه النوم فعلا) ... مش شايف انها هتبقى غريبة شوية .. اصل الاوضة دى هتبقى روعة ... هتبقى شكلها وحش لما نحط فيها اجزاخانة ... على العموم مش مشكلة .. نبقى نغطيها بلونة ورد وشويـــة ورق شجر ... (يتثاءب) .. تصبح على خير .. لو احتجت حاجة صحينى .. إيمام ، ثم تحلقت ، يفتح عينيه مرة اخرى) .. انا من رايى نعمل الارضية مشمـــع .. (يغمض عينيه وينام) ..

المهندس يجلس على سريره ، يرفع المخدة بحذر ويلاحظ مفحدتها ، يقلب بصره بين الجدران .. ينحنى تحت السرير ويراقب اسفله ، يعود سريعا لأمتعته ويخرج مصباحا كهربائيا صغيرا يمسكه بيده اليسرى ، وباليمنى يمسك المسدس .. يتذكر شيئا ، يترك المسدس ويمسك فردة الشبشب بدلا منه ، يبحث جيدا تحت السرير .. يجلس ليلاحق انفاسه .. ينظر حوله بحطه فى دائرة كاملة .. يقفز فجأة واقفا .. يراقب سقفـا صغيرا .. يمسك بمسدسه فى يد والرشاش فى اليد الاخرى ، يصعد على المقعد ويلتقط فردة الشبشب ، الان هو يقف على المقعد ، والمسدس فى يد ، والشبشب والرشاش فى اليد الاخرى ، عيناه تمسحان كل ركن فى الغرفة فى حذر وقلق وجد .. الملاحظ الذى استغرق فى النوم تماما يعلو شخيره .. طويلا .. متقطعا .. متقطعا ... الى ان تنزل الستار ..

علي سالم



صلاح احمد حسن

رسوم : علي دياب

مواقف









● جاء شحاذ ضرير الى حيث وقف القطار ولانه كان لا يرى ، وقف امام القاطرة والح في السؤال .

ولانه كان لا يرى، دهسته القاطرة.

احس ألما فجائيا وعارما ظن انه الجوع .

ضرب بعصاه الحديد بقوة .. هل احدا يسمعه .. يضع في انيته شيئا يسد رمقه .

● كنا نعيش بقرية نائية وكنت صغيرا اذاك .

وعدني ابي قطارا صغيرا .

عندما ذهبت الى محطة السكة الحديدية لاول مرة ، كانت القاطرات تقف بلا عدد .

اخترت اصغرها .

اخذت فيها مقعد السائق ، وبعد قليل كنت اقودها كان ذلك شيئا سهلا ، فقد كان لها خطان حديديان لا تخرج منهما ابدا .

● كان غريبا في هذه البلدة النائية وكان متعبا . قرر ـ لضجره بالمكان ـ ان يرحل سريعا .

(القطار كان هو الوسيلة الوحيدة لذلك .)

نظر فاذا الخطان الحديديان يلتقيان في نقطة عند الافق . اخذ مقعده بين المسافرين وعندما تحرك القطار ، اغمض عينا .. وظلت عينه الاخرى مفتوحة .

● كان الوقت اصيلا وكنت اتنزه في الخلاء عندما ابصرت جدارا عملاقا وبعرض الافق .

كان للجدار باب وحارس .

ـ «هل تسمح لي بالدخول والخروج متى شئت ؟»

ـ «الامر كله متوقف عليك» .

ما ان دخلت حتى اختفى الباب والحارس وبقي الجدار .

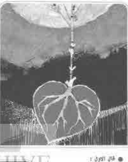
لم يكن هناك امامي سوى الافق ، والشمس التي ظلت تغوص فيه باصرار .

● أرسل مبارك الذي كان يدرس الحقوق بجامعة كيمبردج الى ابيه خطابا جاء فيه : «لقد قررت الزواج من ابنة عمي سعاد . ارجو اجراء اللازم وارسالها باول طائرة» .

وارسلت له سعاد المندهشة تسبقها برقية ليستلمها لانشغاله بالامتحانات .

عندما لم تجده سعاد بالمطار ، كان عليها ان تستقل المترو حتى ليفربول ستريت ومن هناك استقلت القطار حتى كيمبردج .

دوى ـ دون مناسبة ظاهرة ـ صوت عجلات القطار في اذنيها بعد عام عندما كانت تضع مولودها الاول .





● قال الاول :

«زرع ابي قمحا • وتعهده بالسقاية على مدار العام •كثرة السقيا قتلت ابي ، وما نبت القمح •

«في العام الذي يليه تيبست الارض فاذا الذي زرع ابي لم يكن قمحا • كان قلبه ••• زرع ابي قلبه • »

قال الثاني :

«زرعت حبيبتي قلبها •

أنبت قلب حبيبتي قمحا • »

● هذا اسبوعه الاول بموسكو • كان غريبا ، تائها وخجلا •

وعندما قادته قدماه الى حانة اكتظت بالعواجيز ، جلس قصيا • من حيث لايدري جلست اليه عجوز وظلت تتحدث اليه ثم انتزعته من مكانه وبرغمه جعلت تراقصه •

ما مر يومان حتى التقاها بمتجر احذية • تهللت اساريره ، اسرع اليها الخطى وهتف : « كاكديلا •• كاكديلا •• » اجابته بادب ••

وراحت تجرب حذاء جديدا •

● كان يافعا وكان محبا تيبلا •

قرر ان يهدي حبيبته تذكارا •

وقف امامها بخشوع الحب كما ينبغي آخرج خنجرا شق به صدره وانتزع بذات يده قلبه وقدمه لها •

سقطت مغشيا عليها ••

● عندما وقف بباب السجن ، ملا رئتيه بهواء الحرية التي حرم منهما عشرين سنة •

ولدهشته ، شعر بالغوق قليلا او كثيرا اسند رأسه الى الحائط الحجري المنيع واحس ببعض الاطمئنان •

● يوما احاول ـ كلما وقفت بحضرة حبيبتي ـ ان اقلد الآخرين اذا ما وقفوا بحضرات حبيباتهم •

تعلمت بعد جهد كيف امامها اسبل جفني واخفض صوتي الى حد الهمس فلا أنا اراها ولا هي تسمعني •

ذيالك هو الحب العظيم •

قالت يوما : « اني لا اسمعك • »

قلت : « وانا لا اراك • »

لسبب لم افهمه كان علينا الاثنين ان نتحني •• فعلنا ذلك •

وصفق الجمهور طويلا •

● ضرب في الصحراء تائها وكان عطشا • مرتان خدعه السراب •

وعندما بلغ نبعماء حقيقي ، اشاح بوجههوابتعد مسرعا •

● عندما قال الحجاج بن يوسف في البتراء : «اني ارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها واني لصاحبها • » تمتم احد المستمعين لنفسه : «عنب ؟» •

صلاح حسن احمد

أزمة الفن التشكيلي في العالم العربي

الفنان والجمهور

جمال قطب

لاشك ان هناك ازمة حقيقية تعانى منها الفنون التشكيلية فى وطننا العربى والتعاقى عن هذه الهوة التى تزداد اتساعا يوما بعد يوم بين الفنان والجمهور ، يعتبر مساهمة ايجابية فى انفصام عرى التفاعل بين الفنان ورسالته من جهة ، وبين استيعاب الاجيال الناشئة لهذا الفن الرفيع من جهة اخرى .

ورغم النشاطات الفردية والتنظيمات المحدودة العاملة فى هذا الميدان ، الا ان شيئا ما ليس فى موضعه ، ويتطلب منا المزيد من الجهد والمثابرة لاعادته الى مكانه الصحيح . والمشاهد لجمهور معارضنا الفنية النادرة ، يمكنه على الفور ان يحصر القلة الضئيلة التى تهتم بالفن التشكيلى عندنا ، واذا استثنينا الفنانين انفسهم ، وبعض النقاد والمثقفين ثقافة خاصة ، لاصبح باقى رواد هذه المعارض مجرد مجموعة من المتفرجين على صور ومجسمات لا يدركون ابعادها الحسية ولا فحواها ومرماها !

وقد يقال ان الفن التشكيلى بطبيعته ذو شعبية ضعيفة اذا ما قورن بباقى فروع الفنون الاخرى كالادب والسينما والمسرح وغيرها ، ولكن هناك حقيقة واقعة ، وهى ان الفنون بشتى تخصصاتها لا تعدو ان تكون اكثر من روافد لنهل واحد تغذى بعضها البعض وان اختلفت فى شعبيتها ومدى تأثيرها والتقائها بالجماهير ولمس ووصائل هذا الالتقاء ، والدليل على ذلك ما نراه فى البلاد المتقدمة من تلاحم الفنون التشكيلية بالجماهير وبالقنوات الثقافية الاخرى .. هذا التلاحم الذى يرتفع بمستواها ويدعمها يوما بعد يوم ، مما جعل الفنان هناك يتربع على عرش الريادة الفكرية فى مسيرة الحضارة المعاصرة .

ولعل هذه الهوة بين الفنان والجمهور فى بلادنا ، تعتبر المحور الرئيسى للازمة الراهنة ، وتتفرع منها مختلف الظواهر الاخرى من [illegible] الفنان [illegible] على ذاته ، ومن الهوة [illegible] وشعوره بالمرارة [illegible] وجود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التشكيلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاكاديميات [illegible] [illegible] به ، وهم يحسون مدى انصراف الجماهير عن هذا الابداع العريق .

والخطر نتيجة لهذه العزلة عن الجمهور ومسيرته الحضارية ، تتصل بالفنان ذاته وبقدرته على الابتكار والتطور ، لان المنطق ، والبديهية التى لاتقبل جدلا ، هو ان الفنان - اى فنان - ينتج فنه لجمهور ما ، ومهما اختلفت الطرق والمذاهب الفنية ، وتناقضت النظريات الجمالية والفلسفية ، وتفاوتت المقدرة على الرؤية والاستيعاب ، فستظل هذه البديهية هى القاعدة التى تحكم الابداع فى كل زمان ومكان . فالفنان الذى يعبر بصدق عن احاسيسه وانفعالاته وافكاره ، يصل الى قمة سعادته عندما يحظى بالاستجابة الجماهيرية الواسعة لفنه ، وتتردد اصداء ابداعه فى بصائر مواطنيه الذين يتفاعل معهم ويستلهم منهم افكاره الواعية !

اى ان الفن ، والفنان ، والجمهور ، مراكز ثلاثة تنتظم على محيط دائرة واحدة ، واختفاء او نقص واحد من هذه المراكز يعنى انقطاع التيار الفنى .

وقد يشير البعض الى عباقرة التاريخ الذين سبقت اشعاعاتهم الملهمة ازمانهم التى يعيشون فيها ، ولم يلاقوا فى حياتهم الاستجابة الكاملة من جمهور معاصريهم ، بل ربما جابهوا معارضة واعراضا وهجوما ، وربما مرت سنوات على رحيلهم قبل ان تتم الاستجابة الحقيقية لاعمالهم !

ونحن لا ننكر هذه الظاهرة ، ليس فى حقل الفن التشكيلى وحده بل فى كل نواحى الحياة الفكرية الاخرى ، وهؤلاء كانوا قلة من الرواد الذين وهبوا حياتهم لخدمة ما امنوا به من الافكار المستقبلية السامية ، ووجدوا العزاء فى اعتقادهم الراسخ بالسبق والخلود ، وكانت تحركهم عوامل نفسية معينة لا يقدر عليها الا الافذاذ ... وهم الذين اضاءوا لنا طرق البحث الفنى وارسوا قواعد الحياة الفكرية المعاصرة ، كما حدث لقادة المدرسة التأثيرية فى منتصف القرن الماضى ، وللمدرسة الوحشية فى اواخره ، والدادية والسيريالية فى اعقاب الحرب العالمية الاولى .

واعتقد انه مما لا يقبله عقل ، ان نعتبر كافة العاملين فى مجال الفنون التشكيلية عندنا فى عداد هؤلاء القادة العظام !

العزلة والفنان

ولعل اقسى ما يشعر به الفنان هو احساسه بالعزلة فى عالم اليوم الزاخر بالحركة والجموع المحتشدة فى شتى مجالات المعرفة ! ومن المؤسف ان هذا

فنوننا فقدت – أو كادت –

أهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا

وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة

الفنان بطبيعته يتسم وجوده كمبدع من تأثره بمواطنيه وبمدى تأثيره عليهم

الوضع يزداد حدة عاما بعد عام ، ويرسب فى وعى الفنان إحساس مرير بكونه عضوا لا يحظى بالمكانة اللائقة فى كيان مجتمعه . ويحدث هذا فى عالمنا العربى فى وقت نعيش فيه عالة على نتاج غيرنا فى كل متطلبات الحياة تقريبا . وأخطر ما فى الأمر أننا نستورد كذلك ثقافتنا وأذواقنا حتى وجدنا أنفسنا منساقين طواعية إلى أن نرى بعين الأجنبى ونحس بحسه ! وفقدت فنوننا – أو كادت – أهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة والتراث .

وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاستكانة للسيطرة الأجنبية الجارفة أن فسدت الأذواق وضلت طريقها فى متاهات الخلط بين الغث والثمين ، ولم نكن مسلحين بالثقافة الفنية الواعية ، ولم تدرب بصيرتنا على التمييز بين القيم الجمالية الفنية ، والابهار الشكلى الرخيص . وبين هذا وذاك ، انطمس الفنان العربى تحت وطأة العفوية والسطحية ومظاهر التحضر الجوفاء ، وازداد انعزالا فى مرسمه ، اتقاء من سطوة أعاصير الغرب العاتية !

يحدث هذا رغم تضاعف عدد الأفواج التى تخرجها معاهدنا الفنية عاما بعد عام ، وكذلك بالرغم من وصول الفن التشكيلى إلى كثير من مجالات الانتاج التى لم يطرقها من قبل كالصحافة والكتاب والتليفزيون والسينما ، وكلها وسائل جماهيرية كان من المفترض أن تساعد الفنان على اجتياز هذه الهوة بينه وبين الجمهور ..

وأن المحاولات الفردية فى تلك المجالات ليست محل اعتبارنا إزاء التقييم الشامل لوضع يزداد تدهورا على اتساع عالمنا العربى الكبير .

عندما يذوب الجليد

كانت هذه هى القاعدة العامة فى فنوننا التشكيلية وعلاقتها بالجمهور . وقد لا تكون تلك الانتكاسة الفكرية جهدا القدر من المسئولية ... [illegible] الفنان بطبيعته – فكرية ووجدانية – يستمد وجوده كمبدع [illegible] من تأثره بمواطنيه [illegible] الفنان العربى – محكوما [illegible] فى أعماق التاريخ – [illegible] ... إلا ما يتلقى بواعثه والآمه ؟ إذا ما تحركت فى نفسه بواعث الثور عن بلده أو الدفاع عن كرامته الوطنية أو القومية ، فعندما تستعر العواطف والمشاعر ، تتلاشى هذه الهوة الفاصلة بينه وبين مواطنيه ، وتتداعى كل الحوائل والسدود ، وتنطلق الصحوة بغريزة تلقائية نقية ، ليصبح فكره وابداعه واقعا ملموسا كأثر موجه فى مجتمعه ، ولعلنا نتذكر أحداثنا العربية الكبرى أثناء معاركنا المجيدة سواء كانت مكللة بالنصر أو رازحة تحت وطأة الهزيمة .. نجد أن الفنان – وقد ذاب حائط الجليد – قد اندفع فى حماس وكأنه يغمس فرشاته فى دمه يعبر بأعماله الصادقة عن خلجات وآمال شعبه .. مؤثرة كأروع ما يكون التأثير .. وهنا تتألق رسالة الفن كما يجب أن تكون دائما وأبدا !

ولكن هذه الظاهرة التلقائية – كأى حدث مؤقت – لا تلبث أن تخبو جذوتها .. ويعود الفنان إلى عالمه الذاتى المغلق .. وينصرف الجمهور كما كان ، فى معزل عن عطاء الفنان . وكأن الأمر لا يعنيه فى شىء !

واجبنا الحضارى

إننا مطالبون اليوم – وبعد أن نستعرض جذور المشكلة – بأن يحدث هذا التقارب بين الفنان والجمهور ، لا بشكل انفعالى طارىء ، ولكن بصورة منطقية ودائمة .. هذا هو واجبنا الحضارى الإنسانى نحو أمتنا وشعوبنا

يجب أن نضع أيدينا على الأسباب التى تؤدى إلى هذا الانفصال ، ونعمل بإصرار لا يعرف الكلل على فرض أوضاع جديدة تعيد لفنوننا التشكيلية تلك المكانة المرموقة التى حظيت بها على مدى آلاف السنين .. ولا نقول هذا من باب التجاوز ، ولكن الدارس لحضارة المنطقة العربية وحضارة الإسلام ، يجد أن أهم مظاهر تلك الحضارة هو التراث الفنى .

وهذا رأى معروف أقر به كثير من المؤرخين المعاصرين ، كان من أبرزهم وأكثرهم اهتماما بالفنون الإسلامية ، برنارد لويس ، رئيس الدراسات العليا بجامعة برنستون الأمريكية ، حيث استهل مؤلفه الضخم عن حضارة منطقتنا العربية بقوله : «إن أعظم منجزات الحضارة الإسلامية هو الفن» .

وليس من العسير ولا المستحيل أن نتدارك مواقفنا ونعيد حساباتنا لنعرف الطريق الصحيح نحو خلق فن عربى معاصر يكمل المسيرة الخالدة ..

وليس هناك شعب توقفت مسيرته الفنية بشكل مباغت يدعو إلى التساؤل كما حدث لنا منذ أكثر من ثلاثة قرون ، فلا تخطيننا ركام الأطلال ، وعبرنا عصور



لوحة للفنان السوري لؤي كيالي .. كان الفنان مثلا لتذكير جمهوره لأعماله الفنية

● النجاحات الفردية ليست محل اعتبار إزاء التخييم الشامل لوضع يزداد تدهورا

العثماني التركي عام ١٣٣١ هـ، والعصر الصفوي في ايران عام ١١٣٥ هـ وعصر الهند الإسلامية تحت حكم السلطان (أكبر) و (جيهان جير) و (شاه جاهان) حتى عام ١٠٦٩ هـ، نجد أن الطابع الاسلامي المميز قد اندثر بعد ذلك كحبات اللؤلؤ التي انفرط عقدها لتلتقطها اليد الأجنبية المتحفزة وتحيلها حسب أهوائها من جديد!

وانتهى منذ ذلك العصر عهد الوحدة الفنية الإسلامية .. وفي عالمنا العربي كان آخر عهود الإزدهار الفني في منطقتنا هو عهد المماليك حيث تألق الفن العربي الإسلامي ليدفع العقد كله بإبداعاته المعجزة .. وكانت هذه هي القمة التي ليس بعدها إلا الانحدار!

وتوالت على عالمنا العربي أحداث جسام .. ليس هذا مجال بحثها .. ولكننا نصل في استعراضنا للمسيرة الفنية العربية إلى إطلالة العصور الحديثة .. وحركة الفن المعاصر منذ أوائل هذا القرن .. إلى أن نصل إلى غدونا وفنانينا في عالم اليوم .. فنتناول بالتحليل شتى الظروف والوسائل التي أدت إلى هذا التباعد بين الفنان والجمهور ..

وإن نستطيع أن نحيط بدقائق هذا الموضوع إلا إذا تدارسنا الحركة الفنية العربية الحديثة منذ نشأتها وحتى اليوم.

جمال قطب



دراسة وجه امرأة لبيكاسو - انتقلت الى مراحل تلخيصية كانت بداية التكعيبية



جوجان - [illegible]



من أعمال جيوويد [illegible]

نادية محمد رزق

الحركة المسرحية في قطر

● إبتعاد بعض النصوص عن القضايا التي تهم الناس

● أثر « الفيديو » ومحطات التليفزيون على المسرح

بحماس الشباب وطموحه ، اتجهوا الى هذا الفن الجديد ، برغم قصر عمر التجربة التي فاقت عشر سنوات فقط . فقد قدموا أعمالا مسرحية عديدة ، أبرزت مجموعة من العناصر الفنية الشابة التي أخذت على عاتقها مسئولية المضي بالحركة المسرحية للامام ، رغم الصعاب والمشاكل التي تواجههم وهم يسعون لخلق مسرح قطري يساير كالجديد في عهم التطور الفني .

بداية الميلاد

وإذا أردنا الحديث عن أمال وطموح المسرح في دولة قطر ، لوجدنا أن البداية ظهرت في المدارس ، والنوادي ، حيث كانت تتكون بعض الفرق الصغيرة ، وتقدم عروضها أمام عدد قليل من المتفرجين ، حتى ظهور أول مسرح قطري بمعناه الصحيح في عام ١٩٧٠ ، وكانت أول عروضه تحت اسم «عانس» .

وتحمس الشباب بعد عرض هذه المسرحية ، وأدى طموحهم الى بداية اكتشاف الخبرة ، والى تأسيس مسارح أخرى مثل مسرح الأضواء ، ومسرح السد بالاضافة للمسرح القطري .

الكتاب المحليين

ونتيجة لهذه الطفرة المسرحية ، بدأت تظهر لأول مرة نصوص مسرحية لكتاب محليين ، يعرضونها على الفرق المسرحية أو يعطونها لقسم المسرح التابع لادارة الثقافة والفنون ، الذي يختار النصوص الصالحة ويشتريها لتشجيع التأليف المسرحي وللحصول على أفضل الافكار التي تصلح للعرض فوق خشبة المسرح .

ومن هنا ينطلق [illegible] البداية [illegible] المسرح [illegible] بعض [illegible] المسرح [illegible] [illegible] الرميحي [illegible] [illegible] [illegible] الجزيرة - المفتش والجرة - بكيل بكيلين .

وعندما سألت عبد الرحمن المناعي عن مرحلة الكتاب المسرحيين في قطر ، قال ان المؤلف مازال في حالة استيعاب للطفرة الحضارية السريعة ، وحتما عندما يتم تفتحه في استيعاب هذه المتغيرات سيعبر عن ذاته ، ويعطي المسرح وغيره أفكارا متعددة ، خاصة وأن الجيل الحالي متاح له كل فرص الحياة السهلة التي كان يصعب على أجدادنا الحصول على مثلها .

الترجمة والاقتباس

وقد بدأ المسرح في كثير من البلدان العربية بالاقتباس أو بترجمة النصوص الأجنبية التي تتناسب ظروف كل بلد ، ولكن الفنان عبد الرحمن المناعي يعترض على هذه الفكرة ، فمن رأيه أنه في الوقت الحاضر لابد من الاهتمام بالشكل العام للحياة ، وتقديم الأعمال المحلية الصرفة حتى يتعود الجمهور على الحضور للمسرح لمشاهدة ما يهمه من مشاكل بيئته المحلية . وبعدها يمكن الاتجاه الى الترجمة لمعالجة نصوص أكثر عالمية .

أين الجمهور

وحتى الآن لا يوجد جمهور ثابت قطري ، وفي بداية المسرح في قطر كان اقبال الجمهور أكثر من الوقت الحاضر ، وسبب ذلك ابتعاد بعض النصوص عن القضايا التي تهم الناس . فعلا يذهب المتفرج نفسه ويأتي ليشاهد مسرحية لا تتحدث عنه وعن حياته اليومية .. فهي التي كانت المسرحيات تتطرق لتلك القضايا وتعالجها بكل الأدوات التعبيرية مثل الأغاني والأمثلة الشعبية .

تكوينات الممثلين على خشبة المسرح

سعادة وزير الاعلام عيسى الكواري مع فناني المسرح



وقد قال الفنان « غو جسوم » بأن إقبال الجمهور على المسرح يجعله يستطيع أن يؤدي رسالته ليصل الى الافضل ، والمسرحيون محتاجون الى جمهور يفكر معهم ، في الأعمال الفنية التي تقدم له .

وقال انه في محاولة لتشجيع الأهالي على المسرح ، تذهب الفرق المسرحية احيانا الى الجمهور ، فمثلا مسرح الأضواء ذهب عدة مرات لتقديم مسرحياته في الخور ودخان ، وكذلك مسرح السد .

ومن الأسباب الأخرى لانصراف الجمهور عن المسرح ، نقص الدعاية والاعلان عن المسرحيات المقدمة ، وعدم اهتمام وسائل الاعلام بقضايا المسرح .

المنافس الخطير

وهناك منافسة شديدة بين المسرح وبعض وسائل التسلية والاعلام الأخرى مثل التليفزيون والفيديو ، فالمتفرج الذي يستطيع أن يشاهد مايريده من خلال سمع أو تماشي الوقت بالتليفزيون ، أو من خلال مايسجله في الفيديو الذي أصبح الآن منافسا خطيرا للمسرح ، بل وحتى للتليفزيون والاذاعة ، لا يرغب أن يتعب نفسه بالذهاب الى المسرح لمشاهدة عمل ما قد يعجبه وقد لا يعجبه ، ولهذا فالفيديو الآن يجذب هذا الجمهور ، فضلا عن أن الجمهور في دول الخليج غير معتاد على التوجه من تلقاء نفسه للمسرح لأنه ليس من تراث منطقته ،

نقص الفنانين

وعندما بدأت فرقة الأضواء عام ١٩٦٦ كان الفنان حسين [illegible] ، وعبد العزيز [illegible] ، وعبد الرحمن المناعي وغيرهم ممن شاركوا في بداية الفرقة ، لايجدون مقعدا يجلسون عليه [illegible] [illegible] البروفات ، [illegible] [illegible] [illegible] الآن للفرقة مثل المكاتب ، والبروفات وغيرها ، [illegible] حماس الشباب في بداية تكوين الفرقة المسرحية حين كان الحب يجمع بين الفنانين .. والآن .. وبعد أن خصصت الدولة مكانا خاصا لكل فرقة ، وسهلت عليهم كثير من التعقيدات ، تكثر الشكوى ، وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأن المعاناة جزء من تكوين الفنان حتى ينتج ، أما الراحة ، وتوفير كل سبل الحياة السهلة فانها تجعل الفنانين غير مقبلين على العمل ، وبالتالي تطفو على السطح مشكلة نقص العناصر الفنية الحقيقية .

وهذا لا ينفي الحقيقة القائلة بأن هناك العديد من الاسماء التي اثبتت وجودها في الحركة المسرحية مثل علي ميرزا ، وسيار الكواري ، ومحمد البنم ، وحمد الرميحي ، وخالد زيارة ، ومن الممثلات سلوى عبد الله ، ومريم راشد ، وسعاد دهام ، ووداد الكواري ، وغيرهم .

وهذا على الرغم من أن الفرق المسرحية تعتمد على الهواة في جميع التخصصات ، ولا يستثنى من ذلك إلا الممثلات اللاتي يتقاضين مكافآت شهرية من الدولة ، تشجيعا لهن على خوض هذا المجال الجديد .

النقد المسرحي

ومن خلال دراسة مشاكل المسرح في قطر ، يظهر بوضوح غياب الصحافة الفنية التي تهتم بالنقد السليم ، بالرغم من أهميتها في دفع الحركة المسرحية الفنية الى الامام ، وإن وجد ، فهو بشكل غير متخصص ، وقد حدث أن كتب بعضهم نقدا لبعض المسرحيات نتيجة سماعها من بعض اصدقائه ، ولذلك لابد لمن يهتم بالنقد أن يدرك معطيات الحركة الفنية بقطر ، ولا يجب أن يقتصر دور الناقد المسرحي على انتظار عرض مسرحية جديدة ، ثم نقدها ، بل عليه أن يوجه خيال المؤلفين والمهتمين بالحركة المسرحية الى افكار جديدة يمكن الاستفادة منها .

دور الخبرات العربية

ومن المؤكد أن دخول بعض الخبرات العربية أدى الى مساهمة فعالة في الحياة المسرحية بقطر ، وأفاد بصورة غير مباشرة الفنيين العاملين بهذا المجال ، مما أدى الى ايجاد الطريق السليم للعمل المسرحي الذي يعتمد على



الحركة المسرحية في قطر

الفرق الطلابية المدرسية ، خصوصا بعد عودة طلاب المعاهد الفنية المتخصصة .

وفي خلال السنتين الماضيتين اصبح معظم الفنيين من العناصر القطرية .

المشاركة في المهرجانات

ونتيجة للاحتكاك بخبرات الآخرين ، ستفيد المسرح في قطر بالاطلاع على افكار ومدارس ومناهج مختلفة تؤدي الى خلق نوع من التوجيه السليم الذي يناسب إمكانيات وواقع المجتمع .

وقد شاركت فرقة مسرح قطر الاهلي وهي تنتخب للمشاركة في المهرجانات من كل الفرق ، في العديد من المهرجانات ، كما بادلتها الفرق الأخرى العربية عدة الزيارات ، فمثلا شاركت الفرقة في مهرجان الحمامات بتونس بمسرحية «المغني والأميرة» كما شاركت في مهرجان دمشق ١٩٧٨ ، وزارت الكويت .

ومما لاشك فيه ان هذه الزيارات تتيح الفرصة لتبادل الرأي والمشورة ومشاهدة تجارب الآخرين .

ومن المألوف ان تستضيف الفرق القطرية العديد من المحاضرين في مجال المسرح للاستفادة من خبراتهم ، مثل

القصة السويسرية التي [illegible] المسرح [illegible] [illegible] الترجمة .

[illegible]

[illegible] المسرح [illegible] لن تثير قضايا كثيرة لدى الجمهور .

وعندما انتقلت «يا ليل يا ليل» الى الجمهور بخلاف ـ وهي تحكي قصة حدثت عام ١٩٢٠ اي قبل ظهور البترول ـ احس الفنانون العاملون بالمسرحية ان الجمهور كان منسجما تماما مع المسرحية وكأنه يمثل معهم من شدة الانفعال ، ومعايشة التراث الحقيقي . وهذا يدل على ان اننا لو استطعنا نقل التراث وتوصيله بصورة جيدة الى الجمهور ، لكان ذلك شيئا حقيقيا سواء عن طريق الأغاني او الرقصات الشعبية او النصوص المسرحية .

وقد عرضت فرقة مسرح السد (مؤخرا) اول مسرحية للأطفال يعتمد نصها على التراث القطري وذلك بعد تجميع قصص الاطفال القديمة التي كانت تقصها الجدات .

والقصة المأخوذة عنها المسرحية تسمى باسم «الصبيرة» وهي سمكة صغيرة تشبه قصة «سندريلا» ، ولكن ترتبط بالبيئة ، فتعتمد على البحر والصيد ، ويستخدم المسرحية كل الادوات الموجودة باللغتين العربية الفصحى والعامية ، وتعتمد على الاغاني ، والرقص ، والتمثيل الصامت . هذه المسرحية موجهة اساسا للطفل القطري بالحان مثيرة واصوات جميلة بلغة مفهومة للجميـــع .

مكانة المسرح القطري

والمسرح في قطر يجمع بين الجدية والترفيه .. وبالرغم من حداثة المسرح في قطر فان ماقدم على خشبته حتى الآن يبشر بمستقبل مشرق ، لو استطاع المسئولون ان يمسكوا بمفاتيح العمل السليمة

والتجارب هي التي تثبت هذا القول ، فمن خلال عدة تجارب مسرحية يستطيع المسرح في قطر ان يختار لنفسه الاسلوب الذي سيسير عليه ، وان كان خطى الآن يجمع بين عدة مدارس ، فهو تارة يقدم مسرحياته بالعربية الفصحى مثل قيس وليلى ، وتارة يقدم مسرحية تجمع بين التمثيل والرقص والغناء مثل «ياليل ياليل» و «المغني والأميرة» ، و مسرحية «نوبيل بالعقل» وهي جادة وموجهة للمثقفين فقـــط .

وزراء العرب كما رآها على مسرح قطر

الثقافة والفنون

وقد انشأت وزارة الاعلام قسما خاصا بالمسرح داخل إدارة الثقافة والفنون، الذى يعد كما يقول الفنان محمد عوان المشرف على هذا القسم - هو المسئول الأول عن الفرق المسرحية - وذلك تجاه تخطيط الانشطة والاشراف عليها بتوفير المتطلبات، والتسهيلات، [illegible] وتنظيم الدورات واللقاءات، للمساعدة على خلق توجيه مسرحى مناسب، وخلق الكوادر الفنية، وإتاحة الفرصة لهذه الفرق على شكل مشاركة جماعية عن طريق مسرح موحد هو مسرح قطر الأهلى ليمثل قطر في الخارج .. وهناك لجنة معينة لرقابة النص والتصريح بعرضه.



لقطة مسرحية تضم محمد عوان، وعبد الله يوسف، وسارة محمد، وعبد العزيز جاسم، وسعد بورشيد

المخصصات السنوية

وزيادة فى تشجيع فرق المسرح الاهلية، خصصت الدولة لكل فرقة مايقرب من مائتى الف ريال سنويا، يدفع منها حوالى ستون الف ريال إيجارا لمقر الفرقة سنويا، وموازنات كل عرض من ملابس وديكور وخلافه، وما يتبقى يوزع على أعضاء الفرقة وأحيانا المؤلف.

والغرض من انشاء قسم المسرح ليس التدخل فى شئون المسارح الخاصة فهو يمثل جهة متخصصة لتقديم الخدمات حتى لا تصبح هذه الفرق فى معزل وحتى يكون هو حلقة الوصل بينها وبين المسئولين.

وتبنى الدولة الآن مسرحا كبيرا سيتم الانتهاء منه بعد حوالى ستة شهور، وهو يقام بتوجيه من سمو امير البلاد المفدى.

ولا يتبقى فى النهاية سوى الامنيات التى تملأ صدور هؤلاء الشبان، وتتمثل فى أن يصبح المسرح القطرى على مستوى المسارح العربية الراسخة من حيث تقديم الأعمال الجيدة التى ترضى الجمهور والمتخصصين على السواء.

نادية رزق

سامي خشبة

زينب والعرش والرجال

أراد فتحي غانم - مع استمتاعنا بالرواية - أن نفهم الظواهر والأحداث والأفكار ؟

لم يعد غريبا أن يكتسب عمل أدبي منشور (رواية ، أو قصة ، أو دراما مسرحية) انتشارا وذيوعا جماهيريا بين الناس ، عندما يتحول إلى فيلم سينمائي أو دراما تلفزيونية . بل لم يعد غريبا ، القول بأن كاتبا أديبا كبيرا مثل نجيب محفوظ نفسه لم يصبح أديبا جماهيريا ، إلا بعد أن اكتشفه السينمائيون ، فحولوا العديد من أعماله الأدبية إلى أفلام للسينما .. وهذا هو ما فعله التليفزيون أخيرا في رواية فتحي غانم «زينب والعرش» التي نشرت على حلقات في مجلة «صباح الخير» المصرية بين أغسطس ١٩٧٢ ويوليو ١٩٧٣ ، ولكن أحدا لم ينتبه إلى (خطورتها) - وأهميتها الفنية - إلا حينما تحولت إلى دراما تليفزيونية .

ولا شك أن الإحكام الفني الشديد دراميا ومن الناحية النظرية بالإضافة إلى اتقان الأداء التمثيلي إلى حد التقمص الكامل من جانب معظم الممثلين الذين شاركوا في المسلسل - لا شك أن هذه العوامل الفنية هي التي دفعت كل من شاهد الحلقات إلى التساؤل عن أحداث وعن شخصيات الدراما التليفزيونية ، وكأنها أحداث وشخصيات حقيقية وقعت وعاشت بالفعل .

من هو «عبد الهادي النجار الحقيقي» ؟ ومن يكون أصل عبد السلام دياب أو يوسف منصور أو حسن زيدان أو زينب الأورفلي ؟ .. وما هو الاسم الحقيقي لجريدة «العصر الجديد» ؟

وليسمح لي القارئ العزيز بأن أحاول الإجابة ، ولكنها لن تكون إجابة من النوع الذي يتوقعه بشكل كامل . لأننا لو ربما سرنا وذكرنا «شخصية» واحدة ممن يكون هذا أو ذاك من شخصيات الرواية لكانت هذه مغامرة لا يصح أن يتحمل عواقبها واحد بمفرده .. فالكل يتحدثون ! ولكن ستكون إجابتنا محاولة لفهم الشخصيات والأحداث ، وللتعرف على ما تدل عليه حسن فهمنا للرؤية التي قدمها المؤلف .. فالعمل الفني والأدبي حتى وإن اعتمد على كثير من تفاصيل الواقع الحقيقية فإنه ليس تسجيلا للتاريخ ، وهو يقدم «رؤية» ولا يقدم نظرية ولا تحليلا «اجتماعيا - سياسيا» رغم استثناء رؤيته في فهم الحقيقة الاجتماعية التي يتعامل معها . وهو يريدنا مع استمتاعنا بالحكاية ومواقفها الدرامية وتطوراتها - أن نفهم الظواهر والأحداث والأفعال والأفكار التي يحيلنا ويستنتجها ويصفها التي عرفنا من يمثلهم أو سمعنا بهم .. لا أن نضع لهم وثيقة اتهام أو صك غفران ولا أن نصدر بشأنهم أحكاما بالإدانة ، أو البراءة .

العصر الجديد

وليسمح لي القارئ بأن أعود إلى الكتاب (الرواية) فهو الأصل الذي اعتمدت عليه واستخلصت منه الدراما التليفزيونية ، رغم اختلافات طفيفة بينهما وغير مؤثرة في اعتقادي - في المضمون المتضمن للرواية ، فتلك الفصول العديدة في الرواية لأنها [illegible] بالتفصيلات والأكثر توضيحا للتاريخ الخاص بكل شخصية . ومع هذا [illegible] بين الدراما التليفزيونية [illegible] تلك التفصيلات ، [illegible] من جوانب [illegible] الرواية وخاصة فيما يتعلق بالتقابل بين بعض الشخصيات ، والتقابل بين الشخصيات الأخرى .

والواضح أن هناك أسبابا عديدة تدفع إلى الاعتقاد بأن عبارة «العصر الجديد» كانت تصلح عنوانا مناسبا لرواية فتحي غانم التي منحها عنوانا آخر ، ليس له معنى مباشر واضح : «زينب والعرش» .

ولا يدفعنا إلى ذلك الاعتقاد ، مجرد أن «العصر الجديد» هو الاسم الذي اختاره أحد أبطال الرواية المهمين (عبد الهادي النجار) للصحيفة التي أسسها بأموال باشا مفتون بالطريقة الأمريكية والعظمة الأمريكية ، ثم اشتراها عبد الهادي بعد أن رأس تحريرها .. ثم أصبحت مكان التقاء أهم أبطال الرواية والمكان الذي تحددت فيه مصائرهم ، ومكان وقوع أهم أحداث الرواية وأكثر الصراعات بين أبطالها خطورة وإثارة .

ولكن يدفعنا إلى ذلك الاعتقاد ، أن فتحي غانم إنما أراد في الحقيقة ، أن يقدم من خلال هذه الرواية شهادته عن العصر الجديد الذي يمتد في الطول لما وراءها على طول الزمن الذي تغطيه أحداث الرواية . وهي شهادة رجل لم يكن متفرجا أبدا على ذلك العصر ، ولكنه كان فيما تقبله الرواية نفسها - يتفرج ويجمع أجزاء الصور المترابطة المبعثرة ويحللها ثم يعيد التركيب ، بينما هو يشارك فيما حدث وكان في عصرنا الجديد .

اختيار البداية

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هو : إذا كان «العصر الجديد» هو موضوع الرواية ، فلماذا إذا كان العنوان : «زينب والعرش» ؟

لقد ولدت زينب عام ١٩٣٦ تقريبا أو بعده مباشرة . ففي أحد الفصول يقول المؤلف إن زينب كانت تتفرج على موكب الجيش العائد من فلسطين عام ١٩٤٩ وأنها كانت يوم ذاك في الثالثة عشرة من عمرها . وقد كان عام ١٩٣٦ وما تلاه مباشرة ، عاما حاسما في تاريخ وتطور مصر الحديثة .

كما كانت عودة الجيش المصري من حرب فلسطين ، العامل الحاسم الذي قرر مصير النظام الذي أقامته معاهدة ١٩٣٦ بين حكومة يتزعمها حزب الوفد وبين الانجليز ، كما تقررت بتلك العودة ملامح النظام الذي شرعت القيادات الوطنية في الجيش في الإعداد لإقامته منذ عودتها .

شيء ما في تاريخ ميلاد زينب ، يربط بينها كشخصية فنية ، وكمعنى عام في نفس الوقت ، وبين مصر الحديثة أو الرواية .

وقد ولدت زينب ، منحت الأيوبي (الأورفلي في المسلسل التليفزيوني) باسم السيدة زينب تيمنا باسمها ، ولكي تصبح في الرواية معادلة للرمز الذي اكتسبت سميتها في صميم إعتقاد الشعب مصر وفي صلب ومحور ثقافته ، فالسيدة زينب ومسجدها يمثلان رمزا للقاهرة نفسها في ضمير الشعب

عرش الحب

فما هو إذن ذلك «العرش» الذي لم يرد له ذكر في الرواية مطلقا ؟

الإجابة المباشرة التي تلح على ذهني ولا تريد أن تفارقه هي أن «العرش» الذي اقترن باسم «السيدة زينب» الجديدة هذه في عنوان روايتها هو : قلوب الرجال ، حبهم وشهواتهم .

انجبها مدحت بك الأيوبي ، آخر رجل من سلالة الأيوبيين فكانها الحب رمزا جميلا أخفه في سره ولم ينقطع عن تأمله والغرق في عينيه والاستئثار لنفسه بها حتى من دون أمها الفلاحة (خديجة السيم) إلى أن مات .. وفي لحظة موته



فتحي غانم



صلاح حافظ

إذا كان « العصر الجديد » هو الرواية . فلماذا كـــــــان العنوان « زينب والعـــرش » ؟

أوصى بها رجلا لا يمت إليه بصلة دم أو نسب ، هو «عم صالح الأخرس» الفلاح المهاجر إلى القاهرة ، والمتحول إلى عامل أو شبه عامل ، الفلاح المتخلص من الذل والذي لقنه ذات مرة درسا في المساواة والعدالة وعزة النفس .

في اتجاه الحرية

وصالح الأخرس اعتبرها ابنته وعلمها أشياء كثيرة : علمها ألا تتدارك الحياة قسوتها على الأحياء والناس ، وعلمها أن تحتفظ براءتها وقدرتها على امتصاص أية تجربة واحتوائها بالبراءة وعلمها ألا تخاف الشيطان ، وأن تحب الله وتثق فيه . وعلمها أن تصدق ما يمليه ضميرها إليه وعلمها أن تفخر بأصلها (كسليلة للأيوبيين والفلاحين معا) لا أن تتردد بين كره هذا الأصل والخوف منه والزهو به وإدراكه معا مثل أمها . وعلمها أن تحتفظ بالكبرياء الذي ورثته من الأيوبيين (رمز مصر الإسلامية المجاهدة بالسيف لصيانة حريتها وحرية أمتها) وألا تستمر في الذلة والضعف والخوف من الحياة .. الصفات التي ورثتها من أمها الفلاحة ، منزوعة الجذور (خديجة السبع) .

وقد تولى صالح الأخرس حماية زينب ومساعدتها على تبين حقائق الحياة العملية وعلى أن تخطو الخطوات الصحيحة في اتجاه استخلاص حريتها الفعلية من أسر هذه الحياة ، حينما ساعدها على التخلص من زوجها الأول .. .. نور الدين بهنس .. والاقتران بزوجها الجديد وحبيبها الأول يوسف منصور .

المالك والمملوك

ونور الدين بهنس هو زوجها الأول ، تزوجها عام ١٩٥٣ (بعد أربع سنوات من فرحتها على موكب الجيش العائد من فلسطين) .

ومن كان قادرا على أن يملك «زينب» تلك الحين ، غير مثل هذا الموقف البيروقراطي ، مثيل محدثي النعمة من أثرياء الحرب ، نصف المتعلم ، المحروم من أي قيمة أخلاقية ، الساعي إلى اكتناز المال من أي سبيل ، حتى ولو على حساب امرأته وشرفها : النموذج الكامل للبيروقراطية المصرية الفاسدة التي ازدهرت في سوق ما بعد التخطيط السوداء . وفي ظل غيبة أية رقابة على الساعين إلى نفس الفوائد

وفي النهاية لا يتنازل بهنس عن ملكيته لزينب إلا تحت ضغط التهديد بانتزاع ما ادخره من مهوباته التي جمعها من الاختلاسات والرشاوى ومن المتاجرة بالعملات والتهريب ، إلى آخر هذه النشاطات التي تميزت بها فئته الاجتماعية طوال الحقبة الأولى من «العصر الجديد» .

ويتنازل بهنس عن ملكيته لجسد زينب مقابل ثمن حبه الكبير : «نقوده» .

الحب الكذاب

لم أحبها عبد الهادي النجار ، ولكنه لم يقل لنفسه في قلب حبيبها ذلك ، إنه لم يحبها حقا وإنما اشتهاها ، والفرق أن يملكها دون أن يملوها بحاجتها إليه . وقال لها حبها لم يحققها وأن يشاركها الحياة وأن يقوي وجودها وأن يصونها ذلك حبه لها ، كان له معنى آخر غير الحقيقة والمشاركة والصون . كان حبه لها معناه أن يشتهيها وأن يستمتع بها استمتاع المالك بما يملكه ، لا أن يربط مصيره بمصيرها ، وأن يسعى معها إلى مصير إنساني وجميل مشترك لها وله .

لم يقدر عبد الهادي على ذلك . وكان أول ما يتجلى في الرواية عجزه عن حمل الحب ، الذي كانت تطلبه «زينب» الجديدة من مريديها : عجزه الذاتي ، مما تعلمه من أبيه ، وعدم الالتزام بوطن أو بمبدأ وعدم السعي إلا لمصلحته أو الفخر حتى أن العلم نفسه إلا كوسيلة للرزق والتسلط على الآخرين ، واعتبار الوطن ذاته سوقا للاتجار بأي شيء والكسب من أي شيء : الاتجار بالحقائق كما بالأكاذيب ، والكسب من الباشا الوفدي والباشا الدستوري ومن الباشا الأمريكاني ومن دولة ٢٣ يوليو ، بنفس المهارة !

لكل هذا لم يكن عبد الهادي النجار مهيأ لأن يكون رجل زينب ولا حاميها ، رغم أنه رغب بإرادة خائرة أن يكون هو هذا الرجل والحامي بأن يملكها دون أن يتحمل مسئولية تحريرها وتعليمها ، ثم خانته طبيعته أو طبيعة الفئة التي ينتمي إليها من سلالات «المثقفين» المصريين

المغتصب المهزوم

أما حسن زيدان ، نائب عبد الهادي النجار وتلميذه في أحقر جوانبه وأكثرها انحطاطا ، والامتداد الطبيعي لما في أستاذه من مهارات الانتهازية والرياء والكذب والتعب على الحبال .. فكان أحقر شأنا من أن «يعترض» طريق حياة زينب مباشرة وإنما حاول أن يعترض طريق الذي أحبته وأحبها حقا ، لمجرد أن هذا الرجل كان القادر الوحيد على تحريرها .

ولم يعترض حسن زيدان حياة زينب ولكنه قابلها واشتهاها . واستخدم اشتهاء أستاذه عبد الهادي النجار لها .. لكي يحاول تحطيم عبد الهادي ، ثم استخدم حب زميله النائب الثاني لعبد الهادي (يوسف منصور) لها ، لكي يلوث سمعته ويقضي عليه .. ولكنه في المرة الوحيدة التي لقيها بمفردها (في مصعد مغلق) حاول اغتصابها ولكنها هزمته بسهولة وفي نفس اللحظة ، ثم لم تسنح له فرصة أخرى للانتقام منها

لقد جاء حسن زيدان الريفي الفقير المتعلم من مدرسة عبادة الفرد المتفوق وتمجيد القوة المجردة من الأخلاق وادعاء العلم ، واعتبار العلم مجرد حرفة لا وطن لها ، يمارسها صاحبها بإتقان ، وبلا وازع أخلاقي ، حينما سنحت له فرصة الكسب .. وإذا تطلب الارتزاق ، يتنازل حسن عن ذاته المزعومة وعن العلم ، ويتحول إلى أفاق بلا مهارة غير التعب على كل حبل ، ووصولي مستعد لأن يدوس أية قيمة أو إنسان لكي يصل لهدفه .

شبابيك الأضواء

أما أحمد عبد السلام دياب ، فإن بصره لم يقع على زينب أبدا ، مع أنه كان أجدر الجميع .. عدا يوسف منصور : بأن يراها . وبوصفه أحد صانعي ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فإنه كان أحد الذين فرحت زينب على موكبهم في عودتهم الخاسرة والحاسمة من حرب فلسطين . وبوصفه أحد صانعي هذه الثورة أيضا فإنه كان جديرا بأن يشارك عم صالح الأخرس في أبوته الروحية لزينب كما كان أبا لصديقاتها وشبيهتها المسكينة الضريرة «سوسن» ابنته التي لم يرها أبدا في الأخرى لأنه هجر أمها «خوفا» من أن يتحمل مسئولية مآسيها الشين وهنا يجب أن نعترف بأن الدراما التليفزيونية وليس الرواية . هي التي كشفت تلك التقابل بين شخصية حبيبة دياب القديمة (الراقصة زهرة التي أصبحت خياطة شهيرة وسمسارة صفقات كبيرة بين

أزواج زميلاتها الأثرياء من رجال الأعمال في مجتمع مصر السري الحقيقي - في العصر الجديد) - ومن زينب (كلتاهما - زهرة وزينب - كان حبها مسئولية وتوريطا يتحرر فيه الحبيب من أنانيته وسلبيته وجبنه واحتمائه من استقلاله ومن (الأستقلالية) وراء جمود الكلمات الطنانة.

وهكذا أصبح حبيب زينب - يوسف منصور - البديل الإيجابي لذلك الذي عجز عن الوفاء بمسئولية حب زهرة. وأصبحت زهرة صورة قديمة مأساوية من زينب في الرواية، الماضي حيث لم تستطع أن تجد حبيبا يصونها ويتحمل معها مسئولية تحريرها وتحرير نفسه كما أصبحت زهرة - حين تحولت من راهبة تبحث عن الحب والحرية إلى مسيرة تبحث عن الكذب والمعاملة.

صورة أخرى من ضحية السبع... أم زينب. كلتاهما تستخدمان تجربة الذل صورة لإذلال البنت، التي ولدتها كل منهما، وتستخدمان البنت سلعة في سوق شراء الأمن أو السلطة الطبقي.

وهكذا أيضا أصبحت سوسن (ابنة زهرة من سيف) صورة ثانية وأكثر مأساوية لزينب لأنها لم تجد أباها الحقيقي ولا الأب الروحي مثلما كان لزينب والد حقيقي ثرت منه التاريخ والكبرياء وحنون، فقر الواقع الطبقي، ووالد روحي (مصطفى الأخرس) ثرت منه البراءة والإيمان والقدرة على الصمود واحتواء التجربة. فاختارت سوسن الانتحار الذي نجت منه زينب بفضل متعهدته من غير مبالغ - حتى أصبحت مومسة - تجد الحنان والدفء - عند أمه الفعلية لها.

وهكذا يكتشف أحمد عبد السلام زيف الضابط الثوري الذي شارك في صنع بداية جميلة لـ العصر الجديد - ثم أفلت منه الزمام بسبب سطحيته وجموده وتعاليه على حقائق الحياة وبساطة الواقع. ويكتشف التشابه بينه وبين يوسف منصور.

إن يوسف منصور صورة جديدة متطورة له هو: أخلاقي وبريء ومثالي ومشغول بالعمل وبالحرية. ولكن الفارق بينه وبين يوسف أن الضابط لم يكن قادرا على أن يستقبل مسئولية حب أو يتحمل التجربة. فما لم يكن قادرا على أن يفكر لنفسه في إطار الثورة بحرية، وإنما كان يردد ما يقال له دون تفكير، يتلقى الأوامر والمواعظ ويلقنها ويخطف الآخرين نشيجة الواعظ أو الأب العسكري دون محاولة للتعرف على حقائق الحياة والناس والأشياء والعلاقات.

لقد أشرف على تجربة الحب الحقيقي والثورة الحقيقية. ولكنه لم يستطع دخول التجربة لأنه لم يتحمل عبئها ولأنه تعامل مع عناصرها كما لو





لكن يتعامل مع عبارات مجردة أو مع أشياء جامدة أو في أفضل تقدير مع قطع شطرنج يحركها جنونه ليس عليها إلا الطاعة في ميدان القتال. ولذلك وما أعيد هنا في الرواية ـ فشل في حبه للزوجة وعجز عن أن يتجاوز عدو صبح الأخرس في أبوته لزينب عن يكون راشدا لموسعد معشوق وفشل في تحقيق حلمه بأن يحول .. العصر الجديد ـ الى حرية تشارك في بناء حكم الحقيقة والحرية والفن . ويفشل في أن يحقق العصر الجديد عصرا استبدله هو .. وإنما تهزم في كل مواجهة مع عبد الهادي النجار ـ الذي هزمه يوسف بذكاء الهزم حتى أمام حسين زيدان الذي استطاع يوسف أن يعتمد ابنه





يقف ... بالتجربة وتتعامل مع حقائق الأشياء لا مع الكلمات.

الحب والحرية

كانت يوسف منصور قال الوحيد الذي أحب زينب لذاتها . وأحبها لذاتها وأحبها لذاته هو كذلك . إنه موجود لكي يحبها ويرتبط بها ويحملها ويتقدم معها ويسمو بها ويكتشف أنها تملك القدرة على صياغته وبالقوة لمنعه وسلمها نفسه لكي تكتشفه .. يبدو من البداية كأنه وجدها ، وتبدو هي كأنها أصله ومصيره .. وحتى بعد الزواج تتحول علاقتهما الى امتحان للحب وللوعي ، للفكر فيه ميراث الأيوبيين المتزوج بميراث الفلاحين، في دم زينب وزوجها بميراث يوسف ، أفضل ميراث الطبقة تجربة مصر الحديثة حتى

تلك التي لم ... من الطبقة المتوسطة القاهرية التي فقدت العلم دون أن تنفصل عن جذورها .. وهو أمر ... أي قصص مصرية ـ حين يعلمنا تاريخ مصر الحديث أن القضاة كانوا من علامات الاستنارة العقلية والديمقراطية .

تعلم القرآن والأخلاق والالتزام والتفكير بحرية وصمت في جانب خفي من جوانب عالم مصر تقبل العصر الجديد، وحينما جاء ذلك العصر بمنشآته لم يفرق فيه .. وإنما في بوكوبه ... ورفض ما فيه من زيف رفضا دون ضوضاء ولا عصبية . ... في ظله أفضل عناصر ثقافة الأسلاف.

ومنجزات جيل البرجوازية الأول التواري دون أن يحقق أحلامه حتى التقى بوعود التغيير والتقدم بحمل ... الطبقة المتوسطة في تفسيره كأنها من بديهيات الحياة : العلم والاجتهاد والعمل وجمع خبرات التجربة والمثابرة في التعامل والالتزام بمؤسسات المجتمع الرئيسية تقديس والأسرة . إنه تلقائي الذكاء ولكن لا يلغي التجربة ، كأنما ذكاؤه غريزة وتلقائيته براءة ولكنها براءة لا تنهيب أمام المعرفة ولا تضيع إذا دخلت التجربة أو اقتربت من الشجرة المحرمة . ولذلك فإنه لا يخطر دائما وقد يغلب على المرء

فرديته لا ... المزيفة في الحقيقة إنه ليس من النوع الذي ... (هؤلاء عادة يهاجمون في النهاية) ، بل إنه قد ينهزم في معركة ويضطر الى مكتب العون ولكنه لا يشعر أبدا بأنه مهزوم ولا يطلب العون إلا من حيث يشعر أن له جذورا حية . إنه قادر على الإحساس بأنه يملك شيئا أكبر من جزئيات الحياة كلها ، ولأنه واثق أن فلسفته هي التي ... أن تنتصر لأنها هي (الحق) .

وفلسفته هي حرية الشر الكاشف أنها حرية مهددة بالضياع حينما أصبح مطالبا بأن يسلم قياده لمؤامرات عبد الهادي وزيدان ، أو التنظيم ... وفي نفس الوقت ، أصبحت قضية حريته هي قضية حرية زينب التي هددها بالضياع الى الأبد . بامتلاك نور الدين ... لجسدها ومحاولة حسن زيدان اغتصابها ومحاولة عبد الهادي امتلاك روحها ومحاولة ... الهام كمال باسمها الجديد بعد أن تحولت الى ...) الاتجار بها أو اتخاذها أداة بدلا من أمنيتها التي دفعتها الى الانتحار .

وهكذا اكتشفت زينب قبل يوسف .. أن مصيرهما واحد ، وراح يوسف يتصرف بغريزته قبل وعيه ـ على أساس أن حريتهما واحدة ، وأن حصول كل منهما على حريته مشروط بحصول الآخر على حريته ، ربما بمركبات ـ وإرشاد ـ صبح الأخرس ، ولكن ضد محاولة كل واحد من الآخرين جميعا لأن يمتلكهما ، أو يغتصبهما ، أو يتاجر بهما أو يحقق من خلالهما أحلاما عاجزة وبائرة .

سامي خشبة

المسابقة

حل مسابقة من - أين - ما العدد « ٥٦ »

من : ابراهيم عليه السلام
أين : الفلبين
ما : حليبسرين

١ - الويل - الراية - الصقر
٢ - أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
الامام البوصيرى - قصيدة : البردة
٣ - ١٨٨٢ الخديوى توفيق
٤ - عمر بن عبد العزيز
٥ - لا ليست صحيحة علميا ، لأن ملح الطعام هو كلوريد الصوديوم
٦ - مصر
٧ - الكحلية
٨ - شكسبير
٩ - ابن سينا
١٠ - سيدنا المسيح عليه السلام

من . أين . ما

● من ... ؟
احد رجلين ارسلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال لهما (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) اسمه من ثلاث كلمات وتسعة احرف :
٣ - ٩ - ٢ - ٤ - ٨ مايفعله الفلاحون
١ - ٦ - ٧ - ٥ - ٢ اصل شهر

● أين ... ؟
مكان منعزل بدأت فيه شريعة مدنت الناس وارست قواعد الحضارة ومكارم الاخلاق . اسمه من كلمتين وسبعة احرف :
[illegible] ٧ [illegible]
١ - ٢ - ٤ لم يهتد

● ما ... ؟
قانون يسلك فيه التعبير ، ويشرع بعض [illegible] وتركه [illegible] ولا [illegible] الآية اسمه من ستة احرف :
٥ - ٢ - ١ - ٤ من اول الاختراعات التى وفق الله الانسان لاكتشافها
٣ - فعل امر للحماية

الجواب الصحيح

١ - يقع الحجر الاسود من الكعبة المشرفة فى الركن : الشمالى الشرقى - الجنوبى الغربى - الجنوبى الشرقى

٢ - كان عام الرمادة وطاعون عمواس على عهد الخليفة : عمر بن الخطاب - على بن ابى طالب - عمر بن عبد العزيز

٣ - تقع جزيرة شدوان فى البحر المتوسط - الادرياتيك - الاحمر

٤ - وثيقة الماجنا كارتا التى هى اساس الديموقراطية فى بلاد البريطان كانت سنة :
١٧٧٤ - ١٢١٥ - ١٤١٥

٥ - كانت المقصلة التى استخدمتها الثورة الفرنسية لاعدام اعدائها تسمى : الجيلوتين - الفلقة - المنجنيق

٦ - الحمار من الحيوانات المجترة ، هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٧ - اين عندنا اشجتنا ما تعد : اهل البيت وأنسبه الى قائله .

٨ - اى المسافتين اطول : من القاهرة الى بغداد ام من القاهرة الى دمشق ؟ وما مقدار كل من المسافتين ؟

٩ - مجموع زوايا المستطيل :
٢٠٠ درجة - ٣٦٠ درجة - ٤٠٠ درجة

١٠ - مؤسس جماعة الاخوان المسلمين هو :
جمال الدين الافغانى - الشيخ محمد عبده - الامام الشهيد حسن البنا

نتيجة مسابقة شهر يوليو ١٩٨٠ العدد « ٥٦ »

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى والاشتراك لمدة نصف سنة القارئة : نجية احمد حسين ٣٣١ شارع عمر بن الخطاب - خلف نادى الصيد الدقى القاهرة .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى والاشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عادل عبد محمد ابراهيم . قطر الدوحة : ص . ب ٣٠٥٧

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى والاشتراك نصف سنة القارىء : نجم الدين محمد احمد محمود السودان - كوستى - بواسطة السيد / خضر محمد احمد محمود - مخازن النقل

الفائزون بالاشتراك لمدة سنة :

١ - مازن قصون خميس الدوحة / قطر
٢ - امانى مصطفى حمودة : الدوحة / قطر
٣ - يسرى السيد السرى : الدوحة / قطر
٤ - عبد الرحمن حسن عبد الرحمن / قطر
٥ - سهيلة العتمسوة : السلط / الاردن
٦ - عاطف المعايعة : مادبا / الاردن
٧ - فؤاد عبد الغنى محمود : عمان / الاردن
٨ - خالد ناصيف : دمشق / سوريا
٩ - محمود عوض عزايزة : سوريا
١٠ - الصادق محمد عبد الله / السودان
١١ - محمد العربى صالح : دنين / تونس
١٢ - محمود محمد حمدان حمد / الكويت

اعتـــــذار بالبريـــــد

تريث احد اليابانيين مقالا الى ادارة إحدى الصحف المنتشرة ، وبعد يومين تلقى من الرئيس المقال الخطاب التالي من رئيس التحرير :

« سيدي العزيز .. يا أخا الشمس وابن الاهل العريق اسمح للعبد الذليل بمخاطبا ان يتوجه الى ذاتك المحترمة بالحديث ، وهمتنا بقلت القيم الذي تفضلتم وتكرمتم وخصصتم به الصحيفة التي يشرف عليها الضعيف الذي يكتب لكم ولو قرأنا المقال فهوتنا ملاغته ورقعنا ما حوت سطوره من معلومات نفيسة وما تضمنه من فوائد قيمة فيروا الدهر عدى الابد أنها اشتملت به ذاكم المجلة ولقد اعدنا المقال المنشر في صدر هذه الصحيفة وتكتبي يا سيدي قد انظني في الحفلة الاخيرة لو اننا نشرنا مقالكم النفيس لاصبح كل ماينشر بعده قدا سخيفا لا يستحق القراءة حتى تجود علينا بمقال اخر ولا يؤثر هذا في رواج الصحيفة ولهذا ارجو يا سيدي ان يسمح لعبده ان يتحمي خالصا ويرد الله المقال شاكرا ... »



كامل جمري
سورية

أول مرة

اوقفت إحدى الطالبات بجامعة تورونتو سيارتها داخل الحرم الجامعي ، ولما عادت وجدت عليها مذكرة ، مارسيل مكلين ، لقد استخدمت منطقة وقوفي ، ابحثي عن مكان اخر لسيارتك » .. امضاء .. «استاذ الفلسفة» .

وفي اليوم التالي تركت له ورقة على سيارته كانت عليها : سيدي الاستاذ .. كما ترى لقد حولت مكان وقوف سيارتي ، واني عظيمة الامتنان لان مذكرتك ، هي اول ما فهمته من كتاباتك» ..

محمد ايوب
الاسكندرية

كلمات لها معنى

● تذكر ان الحب محطة تستريح فيها لحظات لتبدأ من جديد ، وتحسبه جهدك لرحلة طويلة شاقة .

● إعلم ان الحياة ليست خطيئة وانما الخطيئة هي ان تقول مثل هذا الكلام وان تصدقه

● ليس كل كتاب تتناوله محاولة بريئة لتعليمك فقد يكون هذا الكتاب القتل اروحك من الترنح .

● لا تنفر من شيء لانهم قالوا لك انه خطأ .. وانما احتكم الى عقلك وجرب نفسك .. سر في الطين .. وتعلم كيف تحفظ توازنك .

● في الحياة رذيلتان اثنتان فقط .. ان تكذب على نفسك .. وان تخاف من انسان يمرض مثلك ويموت مثلك .. فتحتمي منهما .. وكن جريء القلب تكن رجلا فاضلا .

● العقل الكبير عقل كالمصفاة .. كالمنخل .. يسمح الدسم بالمرور من خلاله ويحتجز السم .. ولا يرفض شيئا .. انما يختبر كل جديد بعينه الفاحصة

محمد احمد برعو
محافظة البحيرة - ج.م.ع .

من طرائف برنارد شو

عن برنارد شو الشهير وهو يقف كثيرا في احدى الحفلات [illegible] ووجهه [illegible] ثم وصل [illegible] على [illegible] بعد ان كتب تحت العبارة الاولى : اكرر اطيب التمنيات .

والفرق انه ان زار مرة اخرى تلك المكتبة ، فوقع بكتابه على [illegible] بثلاثة شلنات .

يعقوب صويلح
الحسكة - سوريا

السؤال الصحيح



قال رجل لهشام القرطبي : كم تعد ؟ .. قال من واحد الى الف الف والفا .

قال : لم ارد هذا .. كم تعد من السنين ؟ قال اثنين وثلاثين سنا ، ستة عشر في الفك العلوي ، وستة عشر في الفك السفلي .

قال : لم ارد هذا ، كم لك من السنين ؟ .. قال هشام : ليس لي فيها شيء والسنون كلها لله .

فقال الرجل : يا هذا ... ما سنك ؟ .. قال هشام : من العظم .

قال الرجل : ابن كم انت ؟ .. قال هشام .. ابن اثنين .. رجل وامرأة ..

قال الرجل : قل لي بالله عليك كيف اقول ..

فقال هشام : كم مضى من عمرك ؟ .

اوسام فرج ابراهيم
ج . م . ع

الخروج من المــــــأزق

اراد الرشيد ان يفاجيء ابا نواس بزيارته في داره - ولكن قبل وصول موكبه لمحه ابو نواس فوقف خلف الباب حتى اذا دنا الجواد الذي يمتطيه الرشيد من الباب فتحه ابو نواس بسرعة ليقتعد على الزائر العظيم مفاجأته له .. فجفل الجواد ، وسقطت عمامة الرشيد فتطير من هذا الحادث تطيرا شديدا وامر بالنطع والسيف .. فضحك ابو نواس فستغرب الرشيد وصاح به :

ويحك ... اتضحك وانت على ابواب الاخرة ؟؟ ..

فقال ابو نواس : اضحك يا مولاي لانك تقتلني بغير سبب .. الرشيد : انما اقتلك لانك شؤوم الطالع فقد «اصطبحت» بوجهك فسقطت عمامتي !!

فقال ابو نواس : وانا اصطبحت بوجهك فقدت حياتي فاينا اكثر شؤما ؟؟

فضحك الرشيد وقال احسنت ..

رجائي معتوق
سوريا

حاول أن تعرف ●●●



لعبة الخيالة

هذه اللعبة اسمها الخيالة .. وهي من الألعاب الشعبية في بلد عربي يقع على المحيط الأطلسي .. هل يمكنك التعرف على اسم البلد الشقيق ؟

هذا الفنان

لوحة الفنان ولد عام ١٨٨١ .. ومات في عام ١٩٧٣ .. تميزت اعماله بالتطور الدائم واصبح من اشهر فناني العصر الحديث .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد «٩٦»

البلد : سوريا

الفنان الايطالي : موديلياني

الصورة الاولى :

١ ـ مصطفى عبد الله : ج . م . ع

٢ ـ احمد عبد العزيز النجار ـ ٣٠ شارع بورسعيد ـ أسيوط

الصورة الثانية :

١ ـ الشاذلي محمد مهداوي ـ تونس

٢ ـ سعدون الطحان ـ سوريا

هل توافقهم الرأي ؟

● يكره الناس من تضطرونهم الى التكلف معهم .

ـ فيكتور هوجو ـ

● العاري من الفضيلة لاتكسوه ثيابه .

ـ بنجامين فرنكلين ـ

● انا لا ابدل أحزان قلبي بأفراح الناس .. ولا أرضى أن تنقلب الدموع التي تستدرها الكآبة من جوارحي وتصير ضحكة .. أتمنى أن تبقى حياتي دمعة وابتسامة .

ـ جبران خليل جبران ـ

● لايترك الله تحيف إنساناً معرفة تامة قبل أن تقتسم معه ميراثاً .

ـ يوهان كاسبر ـ

حبيب رزق الله

مصر الجديدة ـ القاهرة

ثلاث قفشات

هل تستطيع أن تلتزم بشاشة – ولو مسبقة – حيث تقرأ هذه القفشات الثلاث .. التي تلي :

● احتفظ صاحب إحدى المجلات الى رئيس التحرير ألا يترك صحيفة بيضاء دون أن يكتب فيها شيئاً فسأله :
– لماذا تركت هذه الصحيفة فارغة ؟
– فأجابه : من أجل الذين لا يعرفون القراءة ، وبذلك يكثر قراؤنا ...

● اصطاد صياد سمكة كبيرة وما لبث أن رماها في البحر .. ثم اصطاد سمكة كبيرة أخرى ورماها أيضاً في البحر وفي المرة الثالثة اصطاد سمكة صغيرة ففرح بها كثيراً ووضعها في كيس ، فسأله شخص كان يراقبه : لماذا رميت السمكتين الكبيرتين وأبقيت الصغيرة ؟ فأجاب الصياد : لأن المقلاة التي عندي صغيرة لا تتسع للكثير من السمك .

● سرق لص حماراً من السوق وعاد به الى زوجته ، وفي الأسبوع التالي ذهب ليبيعه ولكنه نام في الطريق ، وحين استيقظ لم يجد الحمار ، فعاد الى البيت فسألته زوجته عن الثمن فقال : بعته بأصل الثمن !

فوزي المصمودي
تونس

كاريكاتير وتعليق العدد « ٥٦ »



– الخياط : يبدو أن التحول الى الصوم سيجعلك تضعف بهذا الشكل .

حواء ناصر سالم
سلطنة عمان

– الخياط : يبدو أن الصابونة التي استحممت بها اليوم ، أخذت الكثير من جسمك لأن المقاسات كانت مأخوذة بدقة

محمد رحمة الله
السودان



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارئ : شوكت بهجت – عمان



كاريكاتير و تعليق

عن التعليق المناسب
لنشره
٣٠٠ ريال



حسن احمد السوس

أطفالنا : من يكتب لهم ؟

اطلعت في العدد (٤٥) من مجلة الدوحة الغراء على مقال بعنوان « الكبار ·· هل يستطيعون الكتابة للصغار؟ » بقلم الاستاذ احمد عبد السلام البقالي ··

قرأت الموضوع مرتين ·· واعدت قراءته ثالثة ·· واحسب انني قد عرفت الاستاذ صاحب المقال ·· في احدى حلقات الجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٦٣ فان لم اكن مخطئا ·· فاني احييه ثلاثا ·· اولا لهذه الصلة القديمة وتذكيري بتلك الفترة من حياتنا ·· واذكر ان من زملائه المغاربة في تلك السنة المرحوم الاستاذ عبد القادر الخلادي الذي واصلني بالمكاتبة بعد عودته الى المغرب ، والاستاذ الهلالي والسيدة بوقالي ·· والسيدة او الآنسة امنة · وغيرهم اقول ··ان كان هو من عرفت فانني احييه مرة للذكرى والزمالة ·· ومرة لكونه من المغرب الذي احمل له اجمل وانقى صورة ·· واعتز بكل من ربطتني بهم صداقة من ادبائه ·· والثالثة وهي اطيب التحايا لاثارته هذا الموضوع باحساسه المرهف وذوقه الرفيع وعباراته الرقيقة التي تنم عن عاطفة جياشة وحس مخلص للطفولة ومحاولته سد فراغ نشعر به نحوها - اقول ان الفكرة في ذاتها جيدة خصوصا وقد اقترنت بالطفل الجدير منا بكل اهتمام ورعاية ·· سيما في تربية نفسه وعقله وذوقه ، وانماء احساساته الجمالية ومواهبه الذوقية ، ومهاراته الفنية ·

وهذا الموضوع اعتقد انه شغل بال المربين كثيرا فالفوا فيه التآليف وحبروا الرسائل ، ودونوا المذكرات ·

وموضوع ادب الطفل جدير بالمناقشة وجدير بالاهتمام ولكن كما ذكر الاستاذ بقالي ·· هو من العسر بحيث لا يستطيع الخوض فيه الا اصحاب المواهب الخاصة ممن يستطيعون تقمص شخصية الطفل ، وتلبس احساسه وانفعالاته ، والغوص الى ما يعتمل في ذاته وهذا لا يتأتى الا لاولئك الذين ، ما يزال بريق الطفولة في عيونهم · كما قال الاستاذ بقالي وقد احسن التعبير وكأني به يعني بذلك الشعراء مرهفي الحس مشبوبي العواطف ·· فهم احسن من يمكن ان يكتب هذا الادب ··واذا قلنا : «ادب» فاننا نعني شمولية الكلمة فنعني القصة ، الشعر ، التمثيلية وما الى ذلك وبالطبع لابد وان يكون لكل فن منها متخصصون واعتقد ان احسن من يمكن ان يكتب ذلك هو المرأة الشاعرة ·· الام ·

كانت هناك محاولات سابقة من كثير من الادباء في كل هذه الفنون ولكني مع الاستاذ في كونها ما تزال قاصرة ··

اذا قلنا : «طفولة »فاننا نعني مرحلة معينة ·· وهي اخطر مراحل العمر الانساني لانها مرحلة التشكل والتقولب والطفل فيها يكون في غاية الحساسية والتأثر اذن فلابد من ملامسته برفق وحذر ·· والا نلقي اليه الا بما هو مضمون المناسبة ـ على الاقل في اعتقادنا ـ ·

وهو في سن الطفولة اما ان يكون في الروضة او في المرحلة الابتدائية ، والمرحلة الاولى هي مرحلة سماعية بالنسبة للقصة والاناشيد والاغاني حيث لم يتمكن الطفل ـ بعد ـ من مبادىء القراءة المنفردة فهي مرحلة تلقين ·· والتلقين ـ في ذاته ـ فن ناهيك عن حسن اختيار الموضوع ·· والمادة ·والمفردات والصياغة ·· الخ

فنحن اذن محتاجون الى متخصصين وهم في بلادنا العربية اقل من القليل ان لم يكونوا مفقودين فنحن بحاجة الى الفنان الذي يفهم الطفل حتى يضع له المناسب من الشعر·· الاغنية ·· القصة ·· التمثيلية · واذا استطعنا ان نجد الفن المناسب والعلم الذي يستطيع ان يعرض هذا النص ببراعة ·· فاننا نكون قد خدمنا اطفالنا خدمة جليلة · احسبني اطلعت على مجموعة شعرية للشاعر الكبير الاستاذ سليمان العيسى تتعلق بهذا المجال ـ وهو مشكور على اهتماماته الجيدة ـ ·

بقيت النماذج الثلاثة التي عرضها الاستاذ بقالي وبصفتي معلما · وامارس نظم الشعر ، واتذوقه احب اولا ان اسأل الاستاذ لمن اعد هذه النماذج اعني لاية مرحلة من مراحل التعلم او التعليم ··

فان كانت ـ ولابد وان تكون ـ للمرحلتين اللتين ذكرتهما انفا ·· فاعتقد انها اعلا ـ من حيث الصياغة ومن حيث الكثير من المفردات ، ومن حيث الطول ـ اعلا من مستوى هاتين المرحلتين ·

النموذج الثالث اخشى ان يعترض عليه المربون ـ لا كاعتراضي الفني ـ يعترضون عليه من الوجهة التربوية فانت تريد ان تغرس «عاطفة» «الرحمة» في نفس الطفل ·· ولكنك سوف تثير «غريزة الخوف» ونخشى ان تعقد «عقدة» بنفسه تحتاج الى «حلال» ·· وحينئذ نكون قد اسأنا من حيث اردنا الاحسان وعالجنا داء بداء اخطر ·

اكبر في الاخ الاستاذ بقالي اهتمامه بالطفل ومحاولة الاسهام في بناء ذوقه وحسه ونفسه ، وحسبه ان يكون الاخلاص رائده ·· ولكل امرىء ما نوى ··

حسن احمد السوس